

BY TOPAZ



حق بين يدي الحق

الجزء الاول من سلسلة
نساء صالحات

بقلم MOUNA LATIFI



حق بين يدي الحق (280) بقلم الكاتبة MOUNA LATIFI

سلام لكل امرأة مضحية ...

سلام لكل امرأة مؤمنة ...

سلام لكل امرأة ...

خلقت المجد من ضعفها ...

ازهرت بالرقيم في خريفها ...

سلام لك انت ...

تصميم الغلاف الرسمي :

TOPAZ

تصميم قالب الصفحات الداخلية :

حلا

تصميم الفواصل ووسام التفاعل المميز :

Aurora

تصميم البئر الاعلاني :

كبرياء عنيدة

التعبئة والرابط الالكتروني :

ضحى حماد

حق بين يدي الحق

منى لطيفي

سلسلة (نساء صالحات)

بدأت التنزيل في

AM 07:05 17 - 09- 10

انتهى التنزيل في

AM 03:15 ، 17- 11 - 5

حصريّة لمنّدى روايتي الثقافية

<https://www.rewity.com/forum/t389451.html>

محاسنها في المواقف التي صادفت موافقتها
مواضيع الرواية... فالمؤمنين عامة يكون
سبب عقابهم في الآخرة محصور بين أمرين
اثنين بشهادة الرسول عليه الصلاة والسلام
.... حين قال.... من يضمن لي ما بين لحييه وما
بين رجليه أضمن له الجنة ... فحين يلجأ
الانسان للصمت يتجنب شقا كبيرا وعظيما من
الذنوب كل ما أريد طلبه منكم بعد
إذنكم ... ان تتفكروا في أخطأ غيركم
وتحاولوا تجنب ما لم تقعوا فيه كما
النصح لمن حولكم بالكلمة الطيبة و حسن
المعشر أسفتة على الإطالته.... فلنبدا
توكلنا على الله.

بسم الله الرحمن الرحيم سلسلتا
نساء صالحات الجزء الأول حق بين
يدي الحق. حصريته لمنتدى روايتي. فليتنق
العبد ربه ولا يبغض الناس أشياءهم... والله
على ما أقول شهيد.

المرجو منكم... القراء الأعزاء... ان تتمعنوا
في القراءة كل حرف أكتبه ... أكتبه من
صميم تفكير عميق ... ومن قلب واقع أصبح
يوجع قلبي انا.... اتمنى أن تعيشوا مع كل
موقف خطأ او صواب وتضعوا انفسكم مكانه
وتفكروا في الحياة كيف ستكون لو غيرنا
من انفسنا القليل ... و ليس الكثير ... حق....
انسانة واقعية كل ما في الأمر أنني نوهت الى

التمهيد

(لله أكبر... الله أكبر... لا إله إلا الله.)

ارتفع آذان الفجر ليعلن عن بداية يوم جديد،
منهيا أحداث الذي قبله، سوى واحد استمر و
لم ينتهي مع بزوغ فجر جديد، صراخ زوجته
المتألّمة بسبب عسر الولادة. ابتلع لعابه فاقدا
آخر ذرات صبره، فقام يزرع الأرض تحت قدميه
ذهابا وإيابا من هول ما يشعر به من رعب. فحتى
هو الحاج أحمد آل طالب، بقلبه الصلب، تأثر
بصراخها المفجع من شدة ما يُعبر عنه من ألم
طال و امتد طوال الليل. (سيد عبد الله !!)....
سيد عبد الله !!) ... تجمد مكانه في وسط
بهو بيته، يتطلع الى السيدة الأربعينية برداء
أسود يحاكي ليلتهم تلك ... (لقد حاولت

سيدي ... الولادة متعسرة يجب اسعافها
سيدي ... لقد نزفت كثيرا) ... رمقها بنظرات
ساخطة قبل أن يقترب منها قائلا بغل، وهو
يرمي بقلنسوة جلبابه الى الخلف أعلى ظهره
... (كنت سأفعل منذ البداية ... لكنك
تشدقت ببراعتك) انتفضت المرأة بخوف
تهتف بأسف (أنا آسف سيدي ... ظننت أنها
ستكون يسيرة كالولادة الأولى سيد...) ...
نحاهها عن طريقه بضجر مغيض، وحمل الهاتف
ليطلب الإسعاف في نفس اللحظة التي علت
فيها صرخات ما كانت للسيدة، بل لمولود
تحرر من سجن مشيمته أخيرا، ليعلن بكل
فخر عن نفسه انسانا قد منحه الله حق الحياة
.... أسرع الى الغرفة بلهفة ما عهدا في

.... بعد 8 سنوات

أمسك يدها يطبق عليها بحميتة أكبر من
عمره، متسللا بين حشود من الناس المتجمعين
وسط ذلك الصرح المبهج، بزوايا المبهرجة
بزينتة كل حسب حرفته، بين فرقة للأهازيج
الشعبية، وأخرى للمسرحيات الساحرة أو
الساخرة، ناهيك عن الألعاب المتألنتة
وبضائع محلية وأجنبية معروضة للبيع
توقف لاهثا حين شعر بتصلب أطرافها، فالتفت
اليها قائلا بنبرة بين الحزم والحنان، فالصبي
على أعتاب النضوج متقهقر ما بين تربيته
الجافة وفطرته البريئة (ما بك ؟؟
... يجب أن نسرع لأعود بك الى البيت)
نظرت اليه بمقلتيها الشفافتين تنطق من بين

نفسه، فهو من أهل مدينة الجبل، من أهل القوة
والبأس، لا يستسلمون للمشاعر ولو لذويهم.
لكن ذلك القلب الصلب شعر بقرب فقد، لم
يكن يحبذه مهما بلغ به الجفاء.... ويا أسفاه
عل حياة لا تمنح الكمال، فهي وان كملت
ناقصة بكل ما فيها ... أسدل جفنيه بأسف
دون أن يرمي المولودة بنظرة واحدة، وانشغل
بمن منحها الحياة، مستسلمة و مسلمة روحها
لبارئها الواحد الأحق بها فإننا لله وإنا إليه
راجعون.

يحمل الى مدينتها الصغيرة رياح بهجة،
تكسر عاداتها الهادئة المملتة. شق ثغرها
الزهري الصغير على بسمتة حلوة مثلها، حين
تذكرت شيئاً لتدس كفها الصغير داخل
جيب عباءتها الساترة لجسدها الطفولي
الضئيل. سحبت كفها المضمومة وفتحتها
كما شفيتها لتتأمل تلك السكاكر الملونة
بسعادة من وجد كنزا، حركتها بمرح تحاول
اتخاذ قرار مهم في حياتها البريئة، بأي لون
تبدأ، أم عليها تركها لوقت لاحق مستمتعة
بامتلاكها لتلك السكاكر النادرة. ليس انها
من عائلة فقيرة، لكنها سكاكر مختلفة
ذات علامة أجنبية، ناهيك عن كونها طفلة
مهملة، ويعتبر حصولها عليها رفاهية لا

أنفاسها المقطوعة (أرجو...ك أ... خي
أريد غزل البن...ات ... لم أذقه يوما)... زفر
بتعب يرمي بائع الحلوى بنظرات حائرة،
فالحرب في أحشائه قائمة.... بين وصايا والده
وبنات أفكاره الشخصية بين الأعراف
ومرحلة طفولته لآزال على أعتاب فراقها ...
تنفس بعمق مقرا أن الغلبة لحرسته النفسية،
فلا بأس في اسعاد فتاة صغيرة ستمضي بقية
حياتها بين جدران القواعد والأعراف. انحنى
الى مستوى طولها ممسكا أعلى كتفها
الصغيرين يقول محذرا (قضي ها هنا لا
تتحركي ...سأعود بسرعة) قارن قوله
بفعله كما فعلت هي، متأملتا المكان حولها
مأخوذة بكل ما فيه، فهو يعد حدث غريب

عمومته في بعض الأحيان، و الحجته أنه
البكر و حامل الشعلة و مسؤولية العائلة. لا
ينكر أنه في بعض الأحيان يشكر به أنه
يتحمل كل ذلك عن شقيقه، لا يتصور مدى
الضرر الذي قد يصيبهما من جراء ما يتلقاه من
معاملة، يكفيهما قسوته، لكن أن تصل
به الجرأة الى جلب العار لعائلته ... الألم في
صدره اشتد متذكرا شماتة بعض من أبناء
عائلته، لولا جده الذي دافع عنه بعد ان تبرأ
من ابنه، و نصبه خلفا عنه مفتخرا به
أجمل من زوبعة أفكاره ،على لمسات ناعمة
خفيفة لفتاة صغيرة، ترمقه بحزن حاكي
خاصته ليكتشف أنه كان يبكي، انتفض
يخفي آثار جريمته الشنعاء في عرفهم، ليلمح

تكون لها في أغلب أيامها. لم تقاوم شهيتها
الطفولية، فوق اختيارها الشغوف على لونها
المفضل، والتقطت الحمراء. لم تكد تدسها
بين شفثيها الصغيرتين حتى جمدت أصابعها
قرب فمها، تتأمل صبيا من عمر شقيقها،
تتذكر رؤيته سالفا في احدى الاجتماعات
العائلية، أو حتى القبليّة، فمدينتها الجبليّة
صغيرة، والجميع فيها يعرفون بعضهم، لكن ما
سلب انتباه الصغيرة هي تلك الدموع
المتدفقة على خده الخشن، في مشهد ليس
بمألوف بين بني عشيرتها.....
نار تحرق أحشائه، لا ليس والده..... لما هو
بالذات؟؟.. بعد كل ما عانه منه، من قسوة و
جفاء يصل للضرب، و أمام ناظر اخوته و أبناء

الكف الصغيرة الممتدة اليه بسكاكر
دائرية ملونة. عاد بأنظاره الى الفتاة المجهولت
له يحاول التعرف عليها دون جدوى، فقالت
بوجوم (خذها ... انها لك ..) رمى
السكاكر بنظرة ترقب ثم عاد اليها قائلا
بحزم يشبه حزم اخيها الأكبر من عمرهما
(وهل ترينني طفلا مثلك كي آكل
السكاكر؟؟).... هزت كتفيها بخفت ترد
بتلقائية معهودة منها كاسمها... (لم أكن
أحب مشاركتها مع أحد لكنك كنت
تبك....)... (لم أكن يا فتاة!!).... ماذا
تقولين؟؟).... قاطعها مستنكرا بسخط
أخافها، فاهتز بدنها الضئيل من الخوف،
ليتذكر صياح والده يهزه بنفس الطريقة

فأردف بنبرة أهدئ .. (كليها ... فهي لن
تنفعني في شيء... على كل حال)... تنفست
بضجر مسدله جفنيها لبرهتها، قبل أن تستأنف
حملة إقناعه بأمر تعتبره بديهي (أنت لا
تفهم ... انها سكاكر نادرة ... تبهجك و
تنسيك حزنك مهما كان بحلاوتها)...
ارتضعت زاوية فمه ببسمة ساحرة و هي تحته
بيقين مؤمن بربه (هيا خذها ...فقد بدأت
تبتسم من مجرد رؤيتها ... فماذا ان ذقت
حلاوتها؟) ... تحولت بسمته الساحرة الى أخرى
صادقة، و هو يستسلم لسذاجة الصغيرة
النقية القلب و السريرة، لمح تحسرها على
القطع التي تناولها فقال بمرح فُرض عليه (ما
بك؟ ... هل ندمت وتريدين استرجاع

سكاكرك ؟؟) ... أومات سلبا ترد (الأمر فقط أنني أحب الحمراء... ولا توجد منها سوى واحدة ... هل يمكنك استبدالها ؟؟) ... راقت له اللعبة لا يعلم لما؟.... هل بسبب براءة تلك الفتاة التي جمعه بها القدر في أشد لحظاته حرجا ؟؟ ... أم لأنها أضفت على جفاء جحيمه بعضا من نسيم تلقائيتها وطيبتها... (وان أحببت الحمراء بعينها ؟؟ ... هل ستندمين وتتحسرين على فقدانها؟؟) ضمت شفيتها منهمكة في التفكير لترد باستسلام عجيب حتى أنها ابتسمت ... (بالتأكيد سأتحسر عليها ... لكن لن أندم كلما تذكرت بسمتك بعد بك.....) ..ترددت حين لمعت مقلتي الآخر بتصميم زاجر فصمتت... (حق

!).... ماذا أخبرتك ؟؟؟) ... قاطعها هتاف شقيقها الحائق. فأشارت للآخر وهي ترمق شقيقها بخوف ترد (لقد كان). (ياسين كيف تترك شقيقتك هكذا ... ألا تخشى عليها ؟؟ ... لاتزال صغيرة) أسرع الآخر مقاطعا صراحتا الصغيرة الغير محبذة، لينطق شقيقها مدافع وهو يمد لها بكيس الغزل ... (أرادت غزل البنات لم أكن بعيدا ...). قام أخيرا من مكانه يقول مصافحا له بود (لم أرك منذ مدة كيف حالك ؟؟) ... بادله المصافحة يجيب بأليته ... (اختلاف اختصاصنا و لم نعد نلتقي كثيرا يا إبراهيم ...). هز رأسه موافقا يقول .. (سمعت انك ستذهب للجامعة ... مبارك لك ...)

مدينته ...فهو من سيتحمل مسؤولية عائلته من
بعد والده، لذا لا لعب في ما يخص العمل و
المستقبل.

بعد مسافة كافية شعر إبراهيم بكفه
المضمومة ليتذكر السكاكرومن ثم
الصغيرة، التي لم يُعد لها الحمراء.التفت يبحث
عنهما، فلم يجد سوى حشود من الناس
تتزاحم، لتلمس طريقها. عاد الى وجهته و هو
يرميها داخل ثغره، فابتسم مستشعرا حلاوتها
الغير مألوفة يهمس لنفسه (محقة يا حق
.... سكاكرك مبهجة و أنا مدين لك
بواحدة حمراء).

رمقه ياسين بحيرة يغامر في سؤاله، فهو
كباقي أهل مدينته قد بلغته أخبار عائلته،
لكن من ذا الذي سيتجرأ على أحد أفراد آل
عيسى، احد قطبي مدينتهم، و المتحكمة
في تجارة المعادن فيها، (شكرا لك
لكني سمعت عنك العكس ... مع أنك من
أوائل صفك).... تنفس إبراهيم بعمق و قد
عاد اليه الوجود يجيب و هو مغادر... (انها
لعنة البكري يا صديقي اهتم بنفسك
...وبشقيقتك الى اللقاء ..).... انصرف
ياسين برفقة شقيقته، يفكر انها بالفعل
لعنة، كون المرء بكري العائلة ...ألم تصبه
هو الآخر؟؟ ... وأول نتائجها تخليه عن
تخصصه المفضل، ليواكب العمل المزدهر في

الفصل الأول

ما زال الناس هكذا : لهم عدو وصديق ،
ولكن نعوذ بالله من تتابع الألسنة كلها
الامام مالك بن أنس.

بعد 12 سنة

بيت آل طالب ...

(حق ... يا حق أسرعي ... هات الشاي
بسرعة !...) التفتت الأخت الصغرى
لحق تقول بقلق وهي تنهي رص الكؤوس على

الصينية ... (هيا حق ... أسرعي ... لا تريدين
سماع عتابها من جديد) حملت الصينية
بمرح تقول ببسمة بلهاء (ستصبح على قليلا ثم
تهدا بعدها ... لا مشكلت) ابتسمت أختها
بتأثر من طيبتها الساذجة، وحملت طبق
الضيافة تتبعها بروية كي لا يظهر عرجها،
فقد أصيبت بكسر في صغرها وكالعادة ثم
اهمالها، الى ان شفي على عوجه وترك لها
ندبة لا تنسى وضعتا الضيافة على
المائدة، واتخذت كل منهما مقعدا.

تحدثت الحاجة ميمونة زوجة والد حق،
ووالدة أختها الصغرى رواح، وهي تقدم كأس
الشاي لضيافتها ... (تفضلي حاجة نعيمة
شرفتنا بزيارتك...) ... تناولت منها الكأس

لاتزال صغيرة انها من عمر ابنتي رواح (...)
.... (وما المشكلت أنا تزوجت في سن أصغر ...
على العموم هي سنت واحدة وينهين الثانويته
... والفتاة ليس لها سوى بيتها وزوجها ...). لم
يبدو على حق أنها متابعته لما يقال، وهي
مركزة على الأخبار المعروضة على شاشة
التلفاز، بعكس رواح التي تتقطع دواخلها
بسكاكين الخزي والخجل، فهي تعتبر نفسها
أقل من الفتيات ان كن من مثل سنها أو غيره.
أردفت الحاجة نعيمة مستمتعة بنظرة
الانكسار في عينين الأم، التي جل أمنياتها
تكن في ستر لابنتها، فسبحان من هو أدرى
بالسرائر، اذ أن الأخيرة لا تعلم امتلاكها
لساطرة على من سلمتها أحشائها لتعيت فيها

باسمته حتى ظهرت سنها الذهبية، وهي تتأمل
الأختين بشفقة مزعومة (شكرا لك ...
عسى الله أن ينعم على ابنتيك بزوجين
صالحين ...) ... زمت الحاجة ميمونة شفقتها
بغل، تدراً به حرجها فهي على علم بسخرية
النساء من خلفتها الوحيدة، مع أنها ورببتها قد
أغدق الله عليهما بجمال يخصصهما، لكن
ينقص بعاهته كل منهما (أمين تفضلي
خذي الحلوى ...) ... لم يكتف لسانها ببعض
الثرة وهي تضيف بمكر ... (ابنتي نجوى
جاءها خطاب للمرة الثالثة ... هداها الله
ترفض في كل مرة ... تتحجج بالدراسة)
كظمت غيظها ترد من بين أسنانها ...
(سامحك الله يا حاجة نعيمة ... الفتاة

شاكلته وابني أيضا نفس الجواب ... عسى أن
يكون زواج ابن آل عيسى فاتحة خير للبقيّة
...) مططت الحاجة ميمونة شفيتها
بتهكك ترد ... (من أين سيأتي الحظ؟؟ انه
زواج مصالح عزيزتي فواحد منهما مجبر
على التنازل للأخر عن المقعد في البرلمان ...
لذا كان النسب القرار الأنسب للاندماج ...)
(وماذا في الأمر يا حاجة؟؟ ... فهما انسب
لبعضهما البعض ... وتبقى المدينة على
وحدتها ...) ثم تنهدت تردف ... (عسى الله أن
يوفقهم ...) ... حل الصمت عليهن فالتفتت
الحاجة نعيمة ترمق حق بنظرات حانقة،
فتلك الفتاة فريدة من نوعها، وكأنها ليست
من بني كوكب الأرض، لا يهمها حديث ولا

فسادا، فحجب عنها الغيظ والحسد مأرب
الحاجة نعيمة الظاهر من جملتها
التالية، والتي نطقها بتلقائية أتقنتها ... (و
الله يا حاجة ميمونة ... له يواسي غضبي من
رفضها للمتقدمين سوى أملي أن تكون من
نصيب هذا البيت...) ... أسرع الغافلة
بالجواب مجاملة وطمعا يشبه طمعها، فهي
الأخرى لديها شاب من عمر ياسين ... (يكون
الشرف من نصيبنا ان حدث و تناسبنا عزيزتي
... هدى الله ياسين ليقرر الزواج أخيرا ... لا
أعلم ما يؤخره ... كلما فاتحه والده وعده
بالتفكير في الأمر ... لكن لا جدية في
حديثه ...) هزت الحاجة نعيمة رأسها
بإهمال مزعوم ... (جميع شباب المدينة على

بسرور حقيقي ... (الوضع سيتغير يا خالتي ...
سيفتتحون جامعة السنة القادمة بإذن الله ...)
... قطبت الحاجة نعيمة ترد بضجر (ولما أنت
سعيدة لهذه الدرجة؟؟ لا أظنك
ستمكنين من ولوجها) ثم تابعت بتشوق
مغيظ ... (ابنتي نجوى لم يسعدها الخبر ...
كانت تأمل في الالتحاق بالجامعة الكبرى في
العاصمة لا اعلم ما يعجبها في الغربية عن
أهلها ... رغم أنها كانت ستعيش مع شقيقتي
هناك بيد أنها ستبقى بعيدة عني ...)
ضحكت حق تقول بسذاجة ... (ابن آل
عيسى...)... (ماذا !!؟؟) صاحت الحاجة
باستنكار، فتلبكت رواح بفرع. قامت حق
تهم بالانسحاب حين لمحت وجه أختها المحمر

مواضيع، لا زواج ولا طلاق، و لا كأن الناس
بحياتهم في مجال فكرها و لا اهتمامها ... و ما
فاجأها حقا أن العديد من شباب المدينة قد
أرادها، الا أن لأمهااتهم رأي آخر، فالجميع في
المدينة يعتبرها بلهاء بسبب صفات عديدة،
تعتبر شاذة في زماننا هذا و يظنون أنه نوع من
الإعاقة الذهنية ورثتها عن والدتها التي
سُميت باسمها ... حركت لسانها من غلها
تقصد حق ... (وانت يا حق ماذا تدرسين؟؟ ...)
... التفتت اليها حق ترد بصدق و كأنها جُبلت
عليه ... (السنة الثانية و الأخيرة في المعهد
تخصص تسيير اداري ...) ... ضمت شفيتها الى
الأمام متشوقه ... (و ما في المدينة غير
ذالك المعهد؟؟....) ... تحدثت حق باسمته

نعيمت لنفسها بعدم تصديق ... (عيسى
...كيف؟؟؟).. ... التفتت الى الجامدتين
مكانهما كصنمين لا يعلمان كيفية
التصرف، فنتشت حقيبة يدها مهرولت، بعد ما
أقلت سلاما ساهم، لترد عليها الحاجة ميمونت
ببسمت لم ترها الأخرى (لما العجلت يا حاجة
... عودي بسرعة لزيارتنا ... رافقتك السلامة
...). ... تنهدت رواح بقلق تهتف ... (يا إلهي
ارحمني ... ما هذه المصيبة؟؟ ...) ... حملت
والدتها الصينية قائلة بتفكه ... (وماذا في
الأمر؟؟؟ ... انها اختك البلاء ...) ... نظرت
اليها رواح بصدمت لأول مرة تتلقى منها ردة فعل
مشابهت حين يتعلق الأمر بحق، فهي عادة تقيم
الدنيا و لا تُعدها، كما تُحملها ذنب الحادث

ربعا، لكن هيهات... فضول النساء ليس له
دواء... أمسكتها الحاجة نعيمت بكلتا يديها
تنطق بخطورة تشع من مقلتيها الحادثتين ... (ما
علاقت ابنتي بعائلة آل عيسى؟؟) أسدلت رواح
جفنيها بأسف يائس، لأن اختها تكمن
بلاقتها في صدقها اللامتناهي، و لم يتأخر
الجواب و مقلتيها تبعث بنظرات اعتذار لروح
لقلته حيلتها، فهي و بالرغم من سذاجتها تعرف
جيذا حين يصيب صدقها أو كما يقولون
بلاقتها، شخصا بضر ما، كأختها المرتجفة
حالا ... (الحقيقت أن ن...نج...). ... (تحدثي يا
فتاة هيا !!) ... حثتها بحدة فانتفضت تهتف
بخوف قبل ان تنسحب هاربت ... (هي معجبت
بابن آل عيسى الأصغر...). ... همست الحاجة

ياسين ... أنا اثق بكفاءتك ...)... ابتسم
الأخير برزانة و اقل الملف يرد بأدب جم ...)
أشكرك حاج زكريا ... لكنه العمل ... لا
علاقة له بالثقة .. أنت رجل ذو تجربة
تفوقني بأعوام لا تحصى لذا أعرض
عليك كل شيء كي أتعلم من ملاحظاتك
الحكيمة ...)... رمقه بإعجاب و بعض من
الحسرة على أمنية شغلت باله، و لم يحققها له
القدر. حاول ..حقا فعل ،و مرتين، لكن في
كلتا الحالتين لم يُرزق سوى بأنثى ..، شرد الى
البعيدة عنه، ثم سريعا ما عاد يرد و هو يربت
على كتفيه بحنو... (بارك الله فيك يا بني
... لقد تعلمت و صرت كفو و أنت....) قطع
استرساله رنين هاتفه النقال، فسحبه يرد

الذي كُسرت فيها رجلها. تعيد على مسامعهم
جملتها المشهورة ” لولا بلاهتها لما سهت عن
أختها لتقع من على الدرج”.... سرعان ما عاد
فكرها الى ما يخص نجوى، فوضعت كفها
على قلبها المسرع كأرنب مذعور تهمس ... (آه
يا حق ... فتحت علي أبواب جهنم ...)..

مصنع المرابط للمعادن ...

مد له بآخر ملف يُطلعه على سير عمليات
تصدير المعادن و غيرها من نشاطات المصنع،
فتحدث الحاج زكريا يقول بضجر ... (لا بأس

بآلية انقلب الى صياح و هو ينتفض من
مقعده... (ماذا !!)... هل جنت أخيرا تلك
الفتاة؟؟)... تنفس بعمق يحول استجلاب بعضا
من هدوءه المفقود، ثم قال و هو يهوي على
مقعده.... (حاضر أبي ... أجل ... أنا قادم
... (ما بك يا حاج زكريا؟؟)... سأل
ياسين و قد بلغ به القلق مداه، ليمسح الآخر
على وجهه بعد ان أرخى ربطة عنقه مجيب
بتعب... (انها صباح ...) رغما عنه تمردت
دقات قلبه على رتابة نظامها، ليلبع ريقه
متمالك ارتباكك قائلا بسكون مزعوم...
ماذا بها الآنسة ص.... صباح؟؟)... حمد ربه
حين لم يلاحظه الرجل الأكبر سنا، منشغلا
بمشكلته التي حلت على رأسه بل على

رؤوسهم جميعا، فهو أعلم بكبرياء أبناء آل
عيسى... (الحمقاء أخبرت إبراهيم انها لا
تحبه و ليست موافقة على الزواج به أي
مصيبة حلت علينا؟...بعد ان اطمأن قلبي و
ظننت أنني اقنعتها...تلك العنيدة المدللة
... (شد ياسين على شفتيه بقوة يمنع
الفرحة في قلبه الغبي، من الطفو على صفحة
وجهه، فيفضح ما فاح في اخفائه لمدة طويلة
جدا، ثم قال بجديّة مبالغتة فيها، ما كانت
إلا ستارا يخفي به ضعفه تجاهها.... (اهدئ يا
حاج ... ففي النهاية هي ابنتك ... و لا أمر
أهم منها...)... أخذ الحاج عدة أنفاس يجلي
بها خلايا صدره و هو يومئ بأسف، ثم قال
يوصيه قبل ان يغادر لمواجهة إعصار والده و

لم يفعلها من قبل، بعد أن استعد نفسيًا لمسألتي
الزواج تلك، والله عالم بمدى رفضه للأمر
بكلية، ثم تأتي الأميرة المدللة لتخبره
بكل صفاقة أنها لا تحبه، ولن تتزوج به، و
الأدهى اعترافها أنها معجبة بشقيقه، ماذا حل
بالفتيات؟ ألم يعد هناك حياء؟ أم ان
انهماكه في العمل أبعدته عن الحياة
الاجتماعية في مدينته حتى تغيرت بهذا
الشكل؟؟، أم كما يقال أن الحاج المرابط
أنجب أميرة مدللة؟؟، على العموم هو مشغول و
لا وقت يملكه ليضيعه في تظاهرات مشابهة،

عائلته... (العمل في أمانتك يا ياسين ... عن
اذنك بني).... راقب انصرافه بشرود
يفكر هامسا لنفسه، بما يقض مضجعه لست
سنوات متتالية، منذ أن توظف في مصنع
المرابط... (ولا بكري آل عيسى نال من
قلبك فمن يا ترى ستحرقينه بنارك و هو
راض و مستمتع؟؟آآه يا صباح ...) .

بيت آل عيسى ...

تهتز الأرض من تحته خشية من غضبه الحارق،
لا يصدق ما حصل حتى اضطر لترك عمله.

أمامه على المائدة الخشبية المستديرة
،المزخرفة ،صينية بلون الفضة تلاتيه
الأرجل مليئة بكؤوس الشاي من البلور الرقيق
الشفاف، متراصتة على شكل نصف دائرة و
البراد^{””} اسم ابريق الشاي في مدينتهم^{””}
الفضي اللون كالصينية، يقف شامخا كقائد
لا يفضل عن جنوده، رفت عينه بشكل خاطف
الى العبوات الثلاث من شاكلة الصينية و
البراد، بترتيب تربوا عليه منذ الصغر، واحدة
لشاي ،و الثانية لسكر، و الثالثة للنعناع،
فجده جبلي حر حتى النخاع، و من عاداته

لذا ما ان أنهت ترهاتها التفت عائدا لعمله، لولا
أن المدللة قد تجرات و أخبرت والدته، التي
لم تقصر و أبغت جده في الحال.... وبالطبع
شقيقه لا ... لن يسمح بذلك، الا
شقيقه، هما خط أحمر، و ليذهب المنصب
الى الجحيم... وولج الى الصالون الكبير ذو
الفراش التقليدي الأصيل، بعكس طلاء
جدران العصري *العنبرة*^{””} أجود أنواع الطلاء
العصري و أغلاها^{””}، لم يجمعه به سوى اللون
الواحد، و هو الأحمر بدرجاته المتفاوتة. لمح
جده في مجلسه المعتاد متصدرا الصالون،

التي لا يحيد عنها هي صنع الشاي بالطريقة
التقليدية الأثيرة، و لكم يعشق ذلك الشاي
من صنع يديه، بل لكم يعشق جلستة جده
المهيبة، و لكم يعشق جده شخصيا، لكنها
تظل من أسراره الدفينتة، الي لا يجب على أي
أحد أن يطالع عليها حتى عقله، الرابض في
جهة و قلبه في أخرى، و ما في هذا الأخير لا
يجب ان يصل الى منطقية عقله العملي،
فيضطر الى تحليله و بالتالي الاعتراف به، لذا
ما في القلب يبقى في القلب... قامت اليه
والدته الحاجة إيّجّة، تقول بقلق من عبوسه

... (بني ... أنا أسفتة لما آلت اليه الأمور...) ..
أوما لها بضيق، يحب طاعتها لكنها حقا
تصعب عليه الأمور في بعض الأحيان... اقترب
من جده مقبلا رأسه، كما أهدى شقيقه ربتة
على فخده قبل أن يتخذ مجلسه بينها، يقول
بعمليته الحازمة ليقطع عليهم السبل
... (الفتاة رافضة لزواج ... انتهى الأمر و لا
نقاش فيه بعد اليوم...) ... هتفت والدته
مقطبة برفض... (و المنصب و المصالح بني
؟؟ ... لا تتسرع في اتخاذ القرارات بعناد...) ...
(أمي !!) نطقها بجديتة صقيعية لكن هادئة،

عيسى كبير عائلة آل عيسى، صامت يراقب
الحديث الدائر أمامه بسكون وصبر. تدخل
إسماعيل يقول بنبرته البحت ذات النغمة
الهادئة السلسة، وكأنه قد تعود على طريقة
حديثه لمرضاه النفسيين، أو على الأغلب كما
يُقرر دائماً، أنه يعتبر جميع الناس مرضى
نفسيين، فمن ذا الذي يخلو من عقد تُرهق
جهازه العصبي؟؟ أو هم يؤدي بسلامة صحته...
خصوصاً في منطقتهم... البيئة النشطة
لتفجير أكبر عدد من الضحايا للمرض
العصبي... بطريقة عيشهم الشاذة، ومعاملاتهم

جعلتها تباع لسانها، فرجلها كما تدعوه تربي
على الحزم و الجفاء، و ان كان يحبها و يحاول
ارضائها، لكن حين يتعلق الأمر بقرار أصدره،
لا يجرواً أحد على الاعتراض أو المناقشة،
حتى جده في بعض الأحيان. تكاد تقسم
على عشقه لبكرها دوناً عن باقي أولاده قبل
أحفاده، تعلم انه يرى فيه نفسه، شبابه،
ويتعوض به على فشله الذريع في زوجها، ابنه
هو البكري. و ما زاد و غطى، أنه سُمي باسمه
فتقلصت الفوارق بينهما. ويبدو أن بعضاً من
تلك الأحيان قد حلت، لأن الحاج إبراهيم آل

الجافة، كما الفضول القاتل والغيبية، و
التفتيش عن الأخبار الطازجة، يصدرن بها
صحفا صراء بألسنتهم الثرثارة، تنطلق من
اجتماعات نسائهم سواء على الموائد الدسمة،
أو في الأسواق أو حتى في أفران التنور الترابي.
فينهشون لحوم بعضهم البعض، مسببين
لأنفسهم فضائح تعتبر علكة لذيذة في
أفواههم، غافلين عن الصف الطويل الذي
يشكلونه، كل يمسك سكيننا خلف ظهر
الآخر، وما هي الا مسألته وقت ليقع كل فرد
منهم بدوره ... (أخي ... أظن أنني....)....(هل

تحبها إسماعيل؟؟).... سأله شقيقه بشكل
مباشر...هذا هو إبراهيم آل عيسى...فكر
إسماعيل ... لا علم له بالطرق الملتوية صريح
ومباشر... ضم شفثيه وأوماً بخفت ثم علل قبل
أن يقاطعه شقيقه من جديد، وبشكل حاسم
لا نقاش فيه... (لم أكن أعرفها سابقا بشكل
شخصي... ثم تعرفت عليها وهي تخصك
نظي لا تقبلها الا كذلك... أنا...) ...
(الفتاة ليس لها نصيب عندنا ... يسر لها الله
في مكان آخر....).... لم تستطع والدتهما
الإذعان وهي ترى صمت الجد الغامض ... (وماذا

تكن من مؤيدي هذه الزيجته؟) ... تجاهل
الحاج إسماعيل حديث كنته المبطن وسأل
حفيده بهدوء دون أن ينظر اليه... (هل فكرت
بالعواقب؟؟ ...) لم يتأخر في الرد يقول
بثقة ... (طبعاً جدي ... سأعود لخطتي
الأساسية قبل ان تقتحمها النساء بخططنهن
الماكرة ...)...ابتسم جده وشقيقه بمرح، في
حين عبست والدته بطفولية من ابنها، الذي
سلك طريقها بالحديث المبطن وهو يردف
باسترسال... (سأمضي في ملف ترشيحي بنزاهة
... ان كان مقدرًا ... مرحباً به وان العكس

بشأن المنصب؟؟ بني انه مستقبلك ...).... لما
يصعب على والدته فهمه بعد كل سنوات
حياته التي عاشها أمامها ... نظر في عينيها
البندقيتين الشبيهة بخاصته، يقول بحزم
تيقنت من صحته ... (لا شيء عندي أهم من
شقيقي ... لا منصب ولا مال ... امي.... الفتاة
ليس لها نصيب هنا وانتهينا ...)
زفرت بضيق ووجهت حديثها لحماها الساكن
متشاغلا بصب الشاي في الكؤوس، ثم إعادة
افراغها في البراد كي تمتزج مكوناته
جيذا.... (لما أنت صامت يا حاج؟؟... ألم

.... فلا اثم الا على الظالمين ... وعلى كل

حال لا يلزمني منصب لأثبت نفسي ومبادئ ...

نيتي اعادتها لهذه العائلة بعدما (...). حل

عليهم الصمت بغيمته الثقيلة، فغير مسار

الحديث ولو كان يصب في نفس الجرح

النازف.... (أردت صلاحيات تخولني لمحاربة

عصابات الجبل لذا أنا أعتمد على الله

ليوفقني حسب نيتي) ... تألق الاعجاب في

مقلتي جده وشقيقه، في حين هتفت والدته

بخوف وحزن دفين ... (يا ولدي ما شأنك أنت

بهم ؟؟ ... دعهم للشرطة قباهم الله رب

العالمين ثم لا تنسى أنك ستقسم

المدينة الى نصفين.... وفي النهاية ستؤول

الكفة الى عائلة المرابط كما العادة ...)

رمقه الجد منتظرا رده باهتمام، كثيرا ما

يخصه به وحده، ليقول بنفس الثقة و الجدية

... (أولا نحن استرجعنا ثقة الناس فينا، ثم لا

تنسوا أنني اصغر سنا من الحاج زكريا ... يعني

الشباب و القوة للعمل الدؤوب ... وعائلة

المرابط تعلم ذلك جيدا ... لذا سعى

كبيرهم لنسب كي يتجنب هزيمة نكراء

قد تصيبهم) قدم له جده أول كأس

معبرا عن رضاه عليه كما اقتضت العادة

بينهما دائما، مصاحبا نظرة الرضى بكلمات

نفذت الى عقله المنطقي الذي حللها وسلم

بصحتها ... (لكن يبقى عليك الزواج بني

.... فالشاب العازب لا يؤثمن في عرفنا ...

الاستقرار كان لزاما يا ابراهيم آل عيسى...)

... مطط فمه فيما يشبه البسمة تعبيرا عن

موافقته، يرمقه بغموض نال استحسانه

والغافلين بجانبها لا يعلمان أن الجد لا يناديه

باسمه الكامل، الا في حالتين احداها لم

تحدث سوى مرة واحدة، لا يريد تذكرها.

فوجه جده حين يغضب يُرعب أوصال صديقه

وعدوه، أما الحالة الأخرى حين يطابق هوى

أفكاره، فيُذكره بما يجمعهما من شبه أوله

الاسم تدخلت الحاجة إيجت بحماس مسرور

تقول ... (سأختار لك ست البنات...) ... أشار لها

بكفه فصمتت ليبعد الكأس عن شفثيه

قائلا بتحذير ... (لا أمي هذه المرة ... أنا من

سيختارها ...) ... (لكن بني ...) ... حاولت

فأشار بسبابته يردف بجديّة (أنا اعلم بمن

ستختارين أمي... شاكلة ابنة المرابط

لقد اخترتها قبل حتى قرار النسب بيننا

مني من وقت العمل أولى به) ... قارن
قوله بوقوفه على رجليه ثم استأذن مغادرا
التفتت والدته الى حماها تقول بحنق
مضحك.... (أعجبك قوله يا حاج ؟؟ ...)
ارتشف من كأسه بتلذذ يرد بتفكه باسم ...
بلى يعجبني ...).. زفرت متنهدة بغل، و
قامت تضرب الأرض بقدميها، منسحبت هي
الأخرى تهمس لنفسها من بين فكها
المطبقين بغل ... (طبعاً سيعجبك كان
ينقصني نسختك منك ... اللهم ألهمني الصبر
...)... نظر الجد الى حفيده الآخر الذي يرمقه

...وأيدت زواجها من اخي علما انه لا يحبها ...
وكانت خطيبة شقيقه بالله عليك أمي
ارحميني) ... ضمت يديها الى صدرها تعود
لعبوسها الطفولي، فاتسعت ابتسامته الجد كما
إسماعيل، وشقيقه يردف بتحذير ... (أنا رجل
مشغول أمي... لا وقت لدي لدع الفتيات ...
أريدها فتاة غير مرثية ... تقوم بواجباتها
وتأخذ حقوقها بصمت... دون أخذ ورد
كثير... فان كنت تعلمين أحدا بهذه
المواصفات ... فأهلا وسهلا ... أما الفتيات
المدللات ... أنا آسف أمي ... يكفي ما ضاع

المظلمتا اليه مردفا ... (مهما ظن شقيقك أنه
وقف سدا بين الماضي و بينكما انت و عيسى
... فالواقع أنكم أبناء في النهاية ...)... أطرق
إسماعيل برأسه مفكرا للحظرة وجيزة ثم
عاد يرفعه لبقية حديث جده الجددي، متفاجئ
به ،فهو لطالما سخر من مهنته كطبيب نفسي
... (أدعو ربي أن تجد علاجا فعالا لكم بن
طيات كتبك يا بني)

.....

بغموض فسأله بمرح لم يغادره بعد... (أئن
تغادر أنت أيضا ؟... أم أنك ستخضعني لجلست
اليوم بدل مجانيك ؟؟؟...)... قهقهه إسماعيل
مجيبا ... (لا كتاب في العالم سيخولني
لفهمك جدي ... أنت كيان نادر ... و الفرق
الوحيد بينك و بين نسختك ... أنك الوالد
... بينما هو الابن هناك تكمن شساعة
الفضوة بينكما ..) . اختفت البسمة من على
ثغره قائلا بسهو واجم ... (بلى أنا الوالد ...
بينما أنتم الأبناء ليس هو فقط بل
ثلاثتكم) ... كان قد عاد بأنظاره

الفصل الثاني

إذا لم يكن للإنسان في نفسه خير ما لم
يكن للناس فيه خير الامام مالك بن
أنس.

بيت آل طالب

للمرة التي لا تعلم تمسك يد أختها بحنو
تطلب منها الصفح، بعد أن رفضت الأخيرة
جميع محاولاتها الحثيثة، لكنها لن تكون

حق ان سئمت او ملت قبل ان تحصل على
مبتغاها. رمقتها رواح بتأمل ساهم، وهي
تسترجع كل ذكرياتها عن أختها الوحيدة،
غريبة حقا هي بصفات الأغرب. ساذجة لحد
البلاهة، حتى أن رواح تظنها في بعض الأحيان
مدعية للبلاهة، كما تتعمد الغباء أيضا،
كأنها رافضة لفهم الواقع البشع، وفي مثل
تلك اللحظات بالذات، ترى في شقيقتها
الغريبة التي تتمثل في شخصها، أجل، غريبة
بين أناس تنتسب إليهم و لا تنتمي إليهم، غريبة
بين مجتمع يدعي قيماً لا يقوم بها، يعتنق

ديناً يترك بعضه أو أغلبه، لتصير حال الأمة
سرا معلنا ، أو سياسته المسكوت عنه. تنهدت
روح بضجر، فمن بين صفاتها الغريبة إصرارها
العجيب لتحقيق ما تؤمن به، (حسنا...يا الهي
حق...على العموم لن أخبرك بشيء بعد
اليوم ...)...هزت حق كتفيها باستسلام ترد
بصدق... (لم أكن أريد الانصات لك عن
تلك الاخبار العجيبة... انت من أجبرتني ...
وأصريت علي لأثبت مقلتي على عينيك كي
تتأكدي من تركيزي أرجوك سامحيني
حبيبتني)... أومات روح مؤكدة تقول (أنت

محقة... أنا المخطئة... لا مشكلت حق ... لا
مشكلت).. لتتهي في سرها بهمس لم يسمعه
سواها (كنت بحاجة لمن يسمعي و
يشاركني ثقل أفكاري المعذبة...). تناهت
الى أسماعهما صوت مناقشات ما، فأسرعت روح
لتتقصى عن الأمر، عكس حق التي التفتت
الى كتبها وهي ترتمي على سريرها، فعادت
الأخرى تقول بحنق.. (ألن تأتي معي؟؟
...يبدو أنه ياسين يجادله أبي في موضوع ما ...
أراهن على أنه الزواج من جديد)....تبلدت
ملامح حق تنظر إليها بتلك الطريقة، حين

قاطعها بحدة فاجأت الكل باستثناء اثنين،
حق المنهمكة في قراءة شريط الأخبار
الاقتصادية أسفل الشاشة، ووالده الذي ارتفعت
زاوية فمه ببسمة ساخرة، كمن يقر أمرا
يعلمه. تهرب منه مجددا وهو يجيب فضول
زوجة والدته ... (ابنة الحاج زكريا رفضته
...) ... ردت الحاجة ميمونة بدهشة متبلدة....
(وهل ابن آل عيسى يرفض؟؟ ... لقد سمعت
عن دلالها .. لكن لم أعلم أنه وصل لحد هذا
السفه).... تغضنت ملامح ياسين من اهانتها
لحبيبة قلبه السريّة، لينقبض ذاك القلب و

هو يسمع حديث والده البارد المبطن ...
(مدللتة ... ولو كانت ابنتي لكنت قصت
لسانها قبل ان يكسر كلمتة ألقيتها وسط
الرجال خسئت من تفعل ذلك ...) ...
تنهد بحدة وقام يضر من أمام والده فلا أحد
يوثره كما يفعل، و بكل برودة أعصاب.
تناظرت رواح مع والدتها بتساؤل لازال متشبث
بملاحهما، لتنتفضا على حدة نبرة الحاج
عبدالله (متى سنتعشى؟؟ أم أن فضول
النساء لم ينتهي جحيمة بعد؟؟ ..) ... قامت
سريعا من مكانيهما، فنظرت الحاجة ميمونة

بلى ستفعل كما أهملتك حتى) ... (هل

ستأتين بالعشاء اللعين؟! ... أم اخرج للبحث

عنه في مكان آخر؟! ... (هز صياح زوجها

أركان البيت، ففرتا من أمامه بخوف بينما هو

يكمل بغضب) نساء حمقاوات.... لا ينالنا

منكن سوى المتاعب و الهم).

.....

منزل المرابط ...

تقلب شفيتها بتأفف واضح بدون خجل حتى من

جدها الماثل أمامها، وجهازه العصبي يستشيط

الى حق المركزة على شاشة التلفاز، وصاحت

تلقي عليها سهام غضبها ... (ألم تسمعي

والدك؟؟ ... قومي لتساعدينا ... بلهاء

!...!) ... رمقتها ابنتها برفض بينما حق قامت

من مكانها تبتسم، لا يبدو عليها تلقي

الإهانة تهتف وهي تجري للمطبخ ... (لا داعي

أمي ... سأجهز الطاولة بنفسي ...) ... التفتت

زوجة أبيها الى رواح تهتف بسخط ... (اتبعتها

.... ستكسر الأواني تلك الغبية ... أو تحرق

الطعام ...). (أمي ... لن تفعل ... انها....)

... استنكرت رواح لتقاطعها بحدة مغيظة ...)

والدها تحديدا. لأن والدتها العزيزة تقف معهم
وهي ترتعد خشية من جدها، وليس معارضة
لها، فهي ضعيفة أمام حب ابنتها والأخيرة
تستغل ذلك بمهارة....(يا عديمت الحياء ...
جلبت لنفسك ولنا نحن عائلتك الفضيحة
...منحت الأعداء فرصة ليشتمتوا بنا ... لكن
اللوم ليس عليك... بل على والدك الذي
أفرط في تدليلك!) (...) ... لهث الحاج أحمد
المرابط من حدة صياحه، فصحته لم تعد
تسعف شدته، مع أنه يقف شامخا بجلبابه
الأبيض الناصع، والعمامة الملتفتة أعلى رأسه

بالحمم البركانية غضبا، من فعلت حفيدته
الشنعاء. نقلت ثقل جسدها الرشيق الى رجلها
الأخرى، متململة من كعب حذائها الأسود
العالي، تنشد نهاية المحاكمة العائلية،
لتأجأ الى غرفتها وتزيل عنها الشالالأنيق،
وتطلق شعرها الحريري من عقاله، ثم تحرر
جسدها من اللباس الساتر المكون من فستان
بلون الكراميل الفاتح، ذو سروال فضفاض
تعلاه كنزة بيضاء طويلة، والذي رغم أناقته
لم ينل رضى الأنسة المدللة. تعلم أنها تمادت
هذه المرة، وقد لا يشفع لها حتى حب والديها،

صفراء ذهبية، *كالبلغة الرجالية* ” خف
تقليدي، منه للرجال والنساء ” أسفل رجليه،
فاقترب ابنه يحي، الأصغر من الحاج زكريا
بسنتين، يسنده وهو يرمق عديمة الحياء
بسهم ناريتا، لو أصابتها لأحرقتها من رأسها
لأخمص قدميها. ... (اهدئ أبي ... متى كان
حديثنا مع النساء؟؟ ... انتظر والدها ...)....
عاد جدها الى صياحه بغل، وهو يقترب منها.
... (إن لم يفلح هو في تربيتها ... سأعيد أنا
تربيتها بنفسي...)... خرجت عن صمتها أخيرا
لتهتف بما صعق الواقفين حولها، فزاد ارتعاد

والدتها خوفا، كما ابنت عمها عواطف
المنكشمة قرب شقيقها الأكبر مجيد، ...
(لا أسمح لك بإهانتة والدي ... ولا بإهانتني
... أنا لست بقرة ربطتموها بساقيت لتتحكموا
في مصيري ... فلا تتصرفوا كالهمج (!...)) ...
شهقت والدتها حين رفع الجد كفه ليضعها،
إلا أن يده تجمدت حين هتف ابنه الحاج
زكريا مناديا باستنكار مفاجئ ... (أبي !!)...
أسرعت الى أبيها لتتدل عليه كعادتها، فأشار
لها براحة يده لتقف وهو يرمقها بخيبة يقول
ببرود ... (اذهبي الى غرفتك وفكري فيما

فعلته جيدا ولا تظنني لم أسمع ما قلته ...

لقد خيبتني أملي فيك يا صباح (...). دمعت

مقلتيها من موقف والدها، فهي مهما بلغ بها

الدلال والحمق، تحبه هو دون عن الباقي

وبشكل هستيري، إلا أن حبها للدكتور غلب

على تعقلها، فارتبكت خطأ قد يكاف

عائلتها الكثير. التفتت مهرولتة تجاه غرفتها

تتبعها والدتها وعواطف، بينما الحاج زكريا

يقترب من والده يقبل رأسه، ويسحبه للجلوس

على الأريكة العصرية وسط بهو المنزل

الكبير، فنطق الأخير بسخط وإن لان قليلا

... (لقد أفرطت في تدليلها يا زكريا ... ماذا

سنفعل؟؟ ... آل عيسى ذوي كبرياء ...).

يحن على ولده هو، فالله لم يرزقه أبناء ولم

يكن من نصيبه سوى اثنتين، أو لنقل واحدة.

لذا يرأف به ولا يلومه على حبه الطافي

لابنته. جلس الحاج زكريا قرب والده

كما فعلا شقيقه وابنه مجيد (هل

حدثك الحاج إبراهيم؟؟) ... سأل الحاج

زكريا، ليجيب والده بقلق ... (لا ... أنا علمت

من زوجتك بالصدفة... وهي تجادل ابنتها

فيما فعلت). تنهد زكريا براحة يرد وهو

يمسح العرق من على جبينه، فالربيع قد نفذت أيامه، وأوشك الصيف على الحلول. ... (جيد إذا لدينا بعض الوقت حتى ن فكر جيدا ...).
تحدث والده يقول بيقين (ابنتك لن تدخل بيتهم ككنت بعد ما فعلت يا بني ...
لذا وجب علينا البحث عن حل آخر) ... أوما زكريا بنفس يقين والده فقال مجيد وقد أتته الفرصة على طبق من فضة ... (ماذا لو عرضنا عليهم شقيقتي بيان؟؟ ...) ... رمقه يحي بعبوس بينما الاثنان يفكران في الأمر بجديّة، فأردف مقنعا ... (بيان لن تعارض ...

والنسب يبقا قائما بيننا ... فتجتمع المصالح). تنهد الجد قائلا بسهو (قد يكون الحل لكن ماذا ان رفضوا؟؟ ... فما فعلت صباح ليس بهين ...). ... هز زكريا رأسه بتعب، يقول لينهي الحديث وينزوي بأفكاره، قبل أن يقرر في أمر النسب ذاك. ... (استعد أبي لنقابل الحاج إبراهيم وابنيه في صلاة العشاء ... نعتذر ثم نطلب منهم مهلة لنفكر في الأمر جيدا ... فالانتخابات لازالت بعيدة ...).

الطابق الثاني في غرفة صباح دخلت
عليهما الحاجة نعيمة تقول براحة ألانت
قسمات وجهها، (الحمد لله عدت على خير
.....). تحركت صباح منتفضة من على
سريرها، ومن خلفها ابنة عمها عواطف، تهتف
باهتمام (ماذا تقصدين أمي ؟؟) ... ارتمت
على السرير تتنهد بتعب وهي ترد ... (سيلتقون
مع رجال آل عيسى في المسجد ...) وقد
يقترحون عليهم عواطف بدلا منك ...)
ابتسمت صباح تلكز ابنة عمها المحمرة،
والمتفاجئة كلها ... (اسعدي يا ابنة العم

سيحصل ما تريدينه ...) ... (شششش ...)
همست بها الحاجة نعيمة بتحذير وهي تردف
... (هل جنتي؟؟ ... قد يسمعونا وتنقلب
علينا الدنيا ... ثم أنتما بعيدتان كل البعد
عن السعادة ... لازالت الخطرة في أولها ... قد
يكون التحكم في الحاجة إيجت سهل
لكن أولادها ليسوا أغبياء). تأففت صباح
وهي ترمي بخصلاتها البنية الى الخلف، تهتف
بضجر ... (أي كان أمي يجب أن نسرع قبل
أن يقرروا أمرا آخر....) ثم اقتربت من
عواطف الجامدة مكانها، لم تصدق بعد أن

أكبر أحلامها على وشك التحقق، تضمها وهي
تردف بحالمية خُطت بإصرار ناري ... (فلقد
قررت أنا وانتهى سنكون كنتين في بيت
آل عيسى مهما حصل).

.....
في صباح اليوم التالي بيت آل عيسى

تسلل بخفتة كي لا يشعر به أحد، وقد
استيقظ من نومه قبل مواعده اليومي. لكن
المكالمة المفاجئة من شقيقه الأصغر شغلت
بأله فلم يستطع النوم تلك الساعتين بعد

الفجر، تقلب على فراشه مفكرا في كل
الأسباب التي قد تجعل الطائر الحر يترك
العاصمة والجامعة ويعود في تلك الفترة
بالذات، وقد اقتربت السنة الدراسية على
الانتهاء. لم يفعلها في العطل، يستغل كل
حجة متوفرة كي يبتعد عن بيت عائلته
ومدينته، عن كل ما يذكره بأب لم ينل منه
سوى صورة طفولية خيالية، وقعت بأشد
الطرق بشاعة وانكسرت، لتتفتت الى ملايين
الشظايا، فيقرر لعق جراحه بعيدا في الجامعة
والرحلات اللانهائية. ليقرر العودة الآن، وبهذا

الشكل الغامض. نجح في خروجه دون ضجرت

واستقل سيارته متوجها الى المطار.... طال

انتظاره وهو يرمق الوالجين من رحلت العاصمت،

حتى ظهر بهيئته المعتادة، بالكاب و....

جحظت مقلتي إبراهيم بجزع، حين لمح

العكاز الذي يستند عليه، بسبب كسر في

رجله الظاهر من الجبس الأبيض الملتف حوله

كما يده اليمنى، أسرع إليه، والدهشة لازالت

عالقته بلامحه الرجولية الخشنة، ثم توقف

أمامه متفقدا كامل جسده بيديه متمتما

بجزع... (ما ... بك ؟؟ ... عيسى!! ... ماذا

؟؟... كيف ؟؟...) أمسكه شقيقه بيده

الحرّة مطمئنا بمرحه المعتاد (لم أمت يا

هيمة على رساك ... أنا بخير ...) تأمله

للحظة بعد أن ناداه بلقبه الذي لا يتجرأ على

مناداته به، سواه ثم سحبه معتصرا إياه بين

ذراعيه حتى تأوه. أبعدته برقته ثم قال ... (هل

أنت بخير ؟؟) ... ولم يمهله ليحيب مردفا ...

(وكيف حدث هذا ؟؟). ... رفع كفه وربت

على لحيته النامية يجيب باسم ... (السؤال

الواحد تلوى الآخر ... أخي أنا بالفعل بخير

... لو رأيت السيارة ستتيقن من ذلك ...

بمناسبة السيارة ... أزال قبعته الكاب وحك

أعلى رأسه يردف بخرج ... (لقد تحطمت

بالكامل ... أنا آسف أخي ...) (على ماذا

تتأسف؟؟ ... الى الجحيم بالسيارة ... لكن

كيف حصل الحادث ولما لم يخبرني أحد؟؟

(...) ... هز عيسى رأسه يقول بمزاح ... (تقصد

حراسك المترقبين لي في كل مكان؟؟....

(لا تعتقد أنني لم أكتشفهم ..سيكون عيب

في حقي ... أنا عيسى آل عيسى ...ها؟ ...ها؟؟

(...) تلاعب بحاجبيه الكثين الأسودين،

فابتسم إبراهيم رغم ألمه من أجله، ثم أمسك

وجهه بين يديه، يقول وهو ناظر الى عينيه

رأسا (المهم أنك بخير وأمامي وأجل ...

أنت عيسى آل عيسى وان حدث ونسيت يوما

.... أعلم جيدا كيف أذكرك هيا

(....) ... سحبه برفق يستطرد يقلد مرحة

بعكس داخله الذي يغلي ... (لا تريد اخباري

بتفاصيل الحادث؟؟.... لا بأس ستقضي

الساعات القادمة وأنت تخبرهم على أي حال ...

فلا واحد منهم سيدعك وشأنك ... استعد

لزوبعتا في المدينة كلها وليس البيت فقط

(...). لم يتحرك من مكانه يتنهد بتعب آسف،

فهو على علم بعائلته المُحبّة، ناهيك عن
فضول أهل المدينة تحت غطاء الواجب
والاطمئنان. لكن وقوفه كان ليأفت نظره
لمرافقه الذي أهمله في خضمّ محادثته مع
شقيقه ... (أخي أعرفك على صديقي ورفيق
دربي ... مُنصف ...) ... نظر الى الشاب قرين
شقيقه الذي لا يختلف كثيرا عنه بهيئته
الشبابية. سروال من خامّة الجينز فضفاض
نوعا ما، وتيشرت أسود، عليه بعض الكتابات
غير مفهومة بحروف لاتينية، وبالطبع شعر
مصفوف تحت قبعة سوداء أو ما يسمى

بالكاب، لا يكمن الاختلاف سوى في ملامح
وجهيهما، فعيسى ذو وجه ممتلئ و حاجبين
كثين أسودين كمقلتيه الغامقتين، و لحيته
الخفيفة. أما الآخر فوجهه نحيف والخصلات
سواء في لحيته المشدبة، الظاهرة من تحت
قبعته، كما الحاجبين المقوسين بتناغم مع
مقلتيه الزرقاوين عسليّة اللون. مد يده
وصافحه بترحيب باسم، وهو يقول بنبرة
رجولية هادئة... (مرحبا بك منصف ... آسف
على عدم انتباهي ... الأمر برمته فاجاني
...)... هز رأسه بلا معنى يرد ببشاشة ... (لا

مشكلتہ أعذرک (...)... أمسک بید

شقیقہ مساعدا ثم تمتہ قبل أن يتحركوا

(ہیا بنا ...).

بالقرب من المعهد ...

لم تتامل حق من مكانها تنتظر رفيقتها

الوحيدة حفصتہ، لقد أبكرت في الوصول

يومها ذاك، لكنها لا تريد التأخر عن

المتحان الأسبوعي، ولأنها لن تجد وقتا كافيا

في البيت لتطلع مرة أخيرة على دروسها، فقد

أثرت الإبكار والمراجعة بالقرب من المعهد.

أنهت ما كانت تفعله وظلت واقفة تنتظر

الفتاة الوحيدة التي خالفت المألوف واقتربت

منها رويدا، الى أن تقبلت حق صداقتها. لما؟؟

ولا واحدة منهما تفهم. قد يكون السبب راجع

لغموضها هي الأخرى، ولكن حق لا تسأل

فهي نعمة الصديقتہ. حتى أنها لم تعلم أنها

متزوجة، إلا بعد أن حدثها يوما رجلا يسأل عن

حفصتہ صديقتها وزوجته هو، حين تأخرت في

الحمامات. لن تنسى حق ذلك اليوم لأنها لم

ترجح له بالمرّة، لكنها لم تسأل واحتفظت

بشعورها لنفسها، تحمد الله أن صديقتها لم
تسألها عن رأيها في الأمر، بل تجاهلته
وكذلك فعلت حق. وتبقى علاقتهما دراسية
محضتة، لكن برباط خفي متين للغاية.
قرقرت معدة حق لتذكرها بضراغها فرمت
المقهى أمامها في الجهة المقابلة من الشارع
بنظرة مترددة، فهي لم يسبق لها أن أكلت
خارج البيت من قبل، مع أن شقيقها دائما ما
يمدها بالمال من أجل احتياجاتها الشخصية،
إلا أنها لا تستعمله سوى بإلحاح أختها روح
حين تجرها جرا الى السوق، وتقتني لها ثيابا

أنيقة. سحبت ورقة نقدية من جيب تنورتها
تنظر إليها بنفس التردد، لكن صوت معدتها
مرة أخرى حسو الأمر وتحركت مسرعة كي
لا تتأخر. توترها من أمر تجربته للمرة الأولى،
أعماها عن حسابات أخرى كتفقد الطريق
قبل عبوره، فلم ترى تلك السيارة الرباعية
الدفعة السوداء القادمة في اتجاهها رأسا، في
رمشه عين شعرت بجسدها يُدفع لتقع على
إسفلت منتصف الشارع، فتحت عينيها برعب
تتلفت باحثة عن حقيبتها والقطعة النقدية
متجاهلة جانب خصرها الذي تلقى ضربة من

حديد السيارة، تنهى الى اسماعها صوت

جوهريا أجش يسأل بقلق (هل أنت بخير يا

آنستة؟؟ كيف تعبرين الطريق هكذا؟؟

...أنا أحدثك) ... أردف حين لم تتحدث وهي

تأمل أشياءها. في نفس اللحظة وقفت سيارة

أخرى من نوع اللوغان زرقاء، ونطق صاحبها

بسخرية لا تُظهر مدى بشاعته إلا لمن يعرفه

عن قرب، كتلك الغزاة المرتعدة بجانبه

.... (صديقتك البلاء صدمتها سيارة ...) ...

شهقت حفصة برعب تلتفت الى الشارع، فهمت

بفتح الباب إلا أن كفا جمدت على قفله،

حين أردف بخطورة باردة (توقفي ...) ...

انتفضت أطرافها وهي تنظر اليه باستعفاف

تهمس ... (من فضلك هلا سمحت لي بالذهاب

؟؟...) ... تأمل ارتجاف شفيتها الزهريتين

ومقلتيها المتزعزعتين بتمتع سافر، للحظة

امتدت حتى ظنت أنه لن يسمح لها بالذهاب،

وسيضيع عليها الامتحان و لن تطمئن على

صديقتها، لكن يبدو انه مشغول مستعجل و

سيعتها، حين التفت الى المقود يهتف بجمود

أمر... (أخرجي !...).

الى القميص الأبيض تحته لتحمر بتلقائيتة
حين لمحت الخصلات البنية لأعلى صدره
فأطرقت برأسها حياء. ضم ما بين حاجبيه وهو
يسأل تلك الفتاة التي لم تنظر إليه ولا لمرة
واحدة، ويظهر عليها الذعر والرغبة في الفرار.
أصابته بالرعب حين ظهرت من العدم وبالكاد
تحكم في السيارة ولحسن الحظ أن مكابح
السيارات الرباعية الدفع قوية، وتنحسر
بسهولة بالإضافة لتمهله في السياقة بسبب
استغراقه في الحديث. مع ذلك هو متأكد من
أنه أصابها برضوض، وكونه أذاها سيؤرقه

(أنا أحدثك يا أنستة ...) ... شلت رجليها وقد
أوشكت على البكاء، الناس قد بدأت في
التجمهر حولها، لكم تكره أن تكون محط
أنظار البشر، لاحظ نظراتها الزائغة دون وجهة
محددة فصرخ ليصرف الحشد حولهما ... (كل
ينصرف الى عمله ... الآن ... هيا !!) ... تنفست
الصعداء حين عادت اشعة الشمس تلامس
وجنتيها فطفقت تنفض ملابسها لتسمع نفس
النبرة الأمرة ... (انظري اليّ يا فتاة...) ...
رفعت رأسها لمستوى طولها لتلمح كتفين
عليهما سترة سوداء ناصعة، تحركت مقلتيها

ويريد الاطمئنان عليها. ... (هل تتألمين؟؟...)
... بلعت ريقها ثم ردت بإيماءة خفيفة، بعد أن
ظنها لن تفعل استدارت بجسدها كي
ترحل فسأل من جديد دون أن يعلم لما (ما
اسمك؟؟ ...) ... توقفت مرة أخرى وهي تنظر
في كل اتجاه غيره، مترددة في اخباره لكنها
تخشاه، فقد يقرر إقامة محضر بحضور
الشرطة، وبالتالي ستتأخر عن دروسها...
(اسمها حق آل طالب ...) ... نظرا الاثنتين الى
المهلة عليهما فابتسمت حق بسرور وهي تتأبط
ذراعها، استغرب فعلتها كما اسمها ليسأل

بحيرة ... (أنت شقيقة ياسين آل طالب؟؟ ...)
... كانت هي من أومات تلك المرة تُسررغبته
عارمة في الضرار. قلبها يقرع كطبول الحرب
من الرعب. نظرت إليه حفصة بريبتة من تأمله
الغامض لصديقتها، فنطقت بحنق (هل
يمكننا الذهاب يا سيد؟؟ لقد تأخرنا ...).
... هز رأسه فهورلنا كمن يفر من عدو، وهو
تأبت في مكانه يراقب فرارهما بسهو، أيقظه
منه صوت زامور سيارته، تبعه هتاف شقيقه
الضجر (هيمة! ... أئن نغادر؟؟؟ ...). عاد
يفتح باب سيارته وذكرى واحدة تلف سراديب

عقله الماضيته... (السكاكر الملونه...)

وخصوصا الحمراء...).

غير بعيد عنهما حفصه تهمس بقلق ... (هل

أنت بخير؟؟ ... هل تتألمين؟؟) ... رمقتها حق

بغرابته فالأول مرة يخوضان في حديث غير

الدراسه، لم تكن مستعدة لتغير آخر،

يكفيها ما عانته يومها ذاك فأومأت بإيجاز،

وهما على عتبة الفصل. تفهمت حفصه

كتمانها لكنها أردفت قبل أن تعود لصمتها

هي الأخرى ... (لا أظنك قد تعرفت على من

صدمك بسيارته انه السيد إبراهيم آل

عيسى...) ... احتلت مكانها وهي ترمي حق

بنظرات فضوليه، لم تنفعها بشيء، لأن

الأخيرة لم تبدي أي ردة فعل، بل جلست

مكانها وسريعا ما اندمجت مع كتبها دون

حرف خارج نطاق الدرسته.

ثانويه الإمام مالك

انطلق جرس الفسحه، وانطلقت معها دقائق

قلبها بالعدو، ماذا تفعل؟؟ أين تختبئ؟؟.

تخشاهما أجل، انها مخيفه مجنونته في انتقامها

أحشاءها. لطالما كانت نجوى زميلتها اللدودة،
حتى أنها تظنها تغار منها بعض الأحيان،
ابتسمت بسخرية تهمس (حمقاء على ماذا
ستغار؟؟) .. تنهدت بقلق تردف حديثها
لنفسها (آه ستظنني معجبة بابن آل عيسى
وتتخذ منه تحدٍ مرهق لأعصابي أنا ففي
النهاية أنا المعاقمة وليس هي ... وسأصبح
أضحوكت) ... تأففت بحزن لتهتز، والمعنية
تدخل عليها الفصل بغل تتميز بها ملامحها
المتكبرة بطبيعتها، تكمشت رواح على
نفسها في مقعدها، والأخرى تميل عليها حتى

(سامحك الله يا حق ...) ... همست بها رواح
وهي تتلفت حولها بخوف انتفضت حين هتفت
صديقتة لها (ما بك يا فتاة؟؟ لماذا
ترتعدين ... ألن تأتي معنا الى الضحرة؟؟
...) ... هزت رأسها بلا معنى وهي ترد ... (لا
شيء ... انا تعبته قليلا ... اذهبي انت ...).
راقبت انصرافها وهي تكمل همسا (سأبقى
هنا ... على الأقل لا شهود على إهانتة أنا
متأكدة انها تستعد لها). بقيت لحالها في
الفصل تفكر في طريقة للفرار عند انتهاء
الدوام، وهي تحاول التحكم في ارتعاد

لفحتها أنفاسها المختلطة بعطرها الفواح.

أسدلت رواح جفניה تشد عليهما منتظرة

الصراخ المعتاد، لكنها فاجأتها حين همست

ببرود وتهديد ... (افتحي عينيك ...

وأسمعيني جيدا ...). أطاعتها وفتحتها، ثم

باعث ريقها من هول الغضب المتأجج من مقلتيها

المظلمتين ... (ما أردته لم يحدث ولم

تسببي لي مشكلت في البيت ... فكوني لمرّة

واحدة في حياتك ذكية وابتعدي عني

إلا عيسى). ... قلصت المسافة المعدومت

بينهما حتى كاد أنفيهما أن يتلامسان، ثم

استطردت بتهديد أشد (عيسى خط أحمر

.... إلا هي الحرب) استقامت واقفت ثم

قالت بشكل مهين، متهكم، وهي ترمق رجلها

المصابة، قبل أن تنصرف بعجرفة (لا

أظنك ندا لي ... ولن تجعلي نفسك محط

سخريّة الناس ...). لم تكن تعلم أنها تكتنم

أنفاسها الا حين زفرت بشدة تحمد الله أنها

اكتفت بتهديدها، ولم تسبب لها فضيحة

وسط الثانويّة، وهي تسخر من مخاوف نجوى،

من هي كي تعتبرها ندا لها وتهديدا، وعلى

من؟؟ عيسى آل عيسى، مدلل آل عيسى

فردت قامتها، ولمع التحدي في مقلتيها، لا
تعلم كيف أو متى كانت لها تلك الشجاعة،
لكنها نظرت رأسا الى مقلتي نجوى الضاحكة
بشماتة، ضحكت جمدت على شفتيها، وحسها
الماكر يُترجم لها النظرة المتحدية الى
جملة مشهورة واضحة كالشمس البادي
أظلم.

وأكثرهم غموضا وغيابا. وقد صدق من قال،
حرب النساء لا شرف فيها، فبعد أن أمنت
جانبا، مدت رجلها أمامها وأفقدتها توازنها،
لتقع على أرض الساحة، وسط أنظار جميع
الطلاب والطالبات، أثناء نهاية الدوام. فبدأ
الجميع بالضحك وكان النفوس لا رحمة أو
رافة فيها، فأينك يا حُسن الأخلاق
وأينك يا إنسانية. أحرقت الدموع مقلتيها
لكنها أقسمت على عدم البكاء، فهي لن
تستعطف شفقة أحد، همت احدي صديقاتها
على مساعدتها، فرفضت ثم قامت بتروي حتى

منزل آل عيسى

(أمي أقسم برب العزة أنا بخير).

نطقها عيسى باختناق من بين ذراعي والدته

الهاعنة، التي لم تسمح له بتحيةة أحد من

عائلته الملمومة حلوهم على إثر صرختها،

وهي ترى فلذة كبدها ومدلها بتلك الحالة

التي يرثي لها، ومنذ تلك اللحظة تتشبث به

بين ذراعيها كما لو عاد رضيعا. تطلع إليهم

من مكانه فلمح ضحكاتهم المكبوتة

بمشقة، فشخر بضجر ليسحبه جده باسمه وقد

تجاوز صدمته هو الآخر بفعل المشهد

المضحك، فاضطرت الحاجة إيّجّة لثرخي

يديها وتسمح لحماها بضمه. ... (حمدا لله

على سلامتكم بني ... اشتقت اليك أيها

الصبي ...). ... انفجر مُنصف ضاحكا، وعيسى

يرد بحنق لَيّن (صبي !!؟؟ ... جدي ؟؟ ...

هل أنت جاد ؟؟ ...). ... اتسعت بسمته الجد وهو

يربت على لحيته حفيده النامية، قائلا بغموض

... (لحيته هذه لن تقنعني بنزوجك ...).

تمعن في ملامح جده العزيزة على قلبه

ليكتشف أن السنوات قد حضرت معالمها في

بشرته القمحية، دون أن تنال من هيئته

وشموخه. ... (ألن تسلم على أيها الطائر الحر
... التفت عيسى الى شقيقه إسماعيل
مستسلما لحضنه هو الآخر، ثم رفع كفه
متنهدا بتعب يهتف بتحذير ... (أريد الجلوس
من فضلكم ... أنا تعبت ...). اقتربت منه
والدته تقول باهتمام وهي تضمه من جديد ...
(لا ... بل ستتسطح على سريرك وأجلب لك
الطعام يجب أن تأكل جيدا كي
ستستعيد عافيتك) نظر إليهم
مستنجدا فقال إبراهيم مؤكدا... (أمي محقة
... الراحة والطعام الجيد) ... ليضيف

إسماعيل غامزا وهو يشير بيده في الهواء ...
(لتحلق في سماء حريرتك سريعا ...) ... هتفت
والدته بسخط وهي تسحبه الى الطابق الثاني،
حيث غرف نومهم ... (لا قدر الله... من يسمح
له بالمغادرة بعد ما حدث؟؟) ... (أمي؟؟!!)
...ضحك منصف بصخب لم يعد قادرا على
كتمانها، لتتحسر بعد ان اقترب منه إبراهيم
متسائل بنبرة هادئة خافتة نوعا ما... (ماذا
حدث منصف؟؟ ... رئيس الحرس أخبرني أنه
تسلل منهم ولا يعلمون شيئا عن الحادث ...).
...ضم شفثيه فظهرت غمازة تتوارى خلف

لحيته الشقراء بحياء، ثم نطق بأسف قلق ...
(أنا أيضا لا أعلم شيئا... تركته نائما في
غرفته لأستيقظ فجرا على رنين هاتفي....
أخبرني ممرض ما في المشفى، أن صديقي
تعرض لحادث ولم يمددهم سوى برقم هاتفي...
حاولت الاستعلام منه لكن عبث لا أكثر مما
أخبرك به) ... تطلعت اليه زوجين من
المقل البنيتا، وواحدة مظلمة كصديقه،
ليكتشف أنه رغم الشبه الواضح بين إبراهيم
وجده، إلا أن الوحيد الذي ورث اللون الأسود
سواء في العينين أو الشعر هو عيسى. تحدث

إبراهيم قاصدا إسماعيل ... (أنا سأغادر....
حاول استدراجه إسماعيل ... أريد تفاصيل عما
حدث من جهتي قد أرسلت محقق وسنرى
...) . انسحب إسماعيل مشيرا لمنصف كي
يدله الى مكان الغرف، في حين قال الجد
لحفيدة وسَمِيه بقلق (أنا مشغول البال بني
...) . قطب إبراهيم بحيرة مستشعرا الهم على
كتفيه الهرمين، مهما ادعى من قوة فأسرع
ليطمئنه كعادته (لا تقلق جدي
...سيكون بخير... أنا) هز جده رأسه من
تحت العمامة البيضاء قاطعا ... (ليس فقط

شقيقك... بل كل شيء... أشعر بان الأمور
كلها تتسرب من تحت أيدينا... وأن الخطوة
القادمة غير محسوب لها جيدا لقاء الأمس
برجال المرابط... .. اقترب منه إبراهيم
ممسكا بذراعه برفق يسأل باهتمام (هل
تثق بي جدي؟؟) ... هتف بثقة ... (طبعاً بني
... أنا فقط...) (اذن ثق بي... أنا لن أتزوج
من بيت المرابط... ولا يهمني اقتراحهم... في
المستقبل يا جدي... اسمعني جيداً واعرني
انتباهك ...) استولى على جميع ذرات
أفكاره وهو يردف بيقين لا يتزعزع... (بإذن

الله في المستقبل سيكون على عائلة
المرابط القلق بشأن اصلاح علاقتهم بنا
والسعي للفوز بنسبنا... .. لذا دعهم يبحثون عن
حل غير زواجي أنا من بيان تلك ... أو زواج
أخي من ابنة الحاج زكريا...) ... انشرح صدر
الحاج إبراهيم وشع الفخر من مقلتيه فقال
بحنو... (لما لا تبقى اليوم من أجل شقيقك
؟؟ ...) .. قبل اعلى عمامته، و استدار بجسده
منسحب، وهو يقول بمزاح لكن ذو مغزى
(لا أستطيع ... يجب أن اطمئن على سير العمل
... ماذا أفعل ان لم أحظى بمدير للمصنع

كالذي لدى الحاج زكريا شاب بارع وأمين

.... في أمان الله جدي ...). قطب بحيرة وهو

يتمته بسهو يحاول النفاذ الى عمق كلماته،

فذكر صديق الطفولة في تلك اللحظة

بالذات ليست مصادفة أبدا. لكنه يثق به

وسيكون خلف ظهره كما يشاء ويتمنى

... (استودعتك الله الذي لا تضيع ودائعه).

.....

بيت آل طالب....

أنهى الحاج عبد الله الشاي فقام يقول وهو

يسوي جلبابه استعدادا للخروج.... (أنا ذاهب

مع بعض الرجال لزيارة بيت آل عيسى ...

يقولون أن ابنهم الأصغر تعرض لحادث) ... وقع

فك رواح بدهشة، ووالدتها تهتف باهتمام ...

(لم أعلم بالأمر.... متى حدث هذا؟؟) ... نظر

اليها بسخط ممتعض وهو يجيب... (لما؟؟ هل

أنت محطرة أخبار المدينة؟؟ كي يصب

لديك كل ما يحدث؟؟) ضمت شفيتها

بحنق، وهو يردف بنفس السخط وقد أسبغ

عليه التجاهل ... (أين حق؟؟ أنا لم أرها

اليوم؟؟) ... لم تجبه رواح المستغرقتة في

عالم أفكارها، فردت الأخرى بانزعاج ...

نائمتة منذ عودتها من مدرستها وهي

نائمتة ... تلك البلهاء... (أنا ذاهب!!)..

قاطع اهانتها بحدة وخرج ...

استقامت هي الأخرى بلهفة تقول لابنتها ...

(وضبي المائدة وأيقظي البلهاء أختك لتغسل

المواعين أنا ذاهبة لزيارة آل عيسى ...)

(انتظري أمي ... خديني معك ...). جمدت

مكانها و استدارت ترمقها بعُجب، فرواح في

حياتها لم تقبل مرافقتها الى أي جمع نسائي،

ودائما ما تتحجج بإعاققتها. (هل أنت جادة؟؟

...). رفعت أنظارها بتصميم وقالت بتحدُّ شع

من مقلتيها البنيتين ... (أجل سأتي معك ...

سأجهز نفسي و أعود ...). ... هزت والدتها

كتفها استسلاما، ثم هتفت كي تسمعها بعد

ان ابتعدت عنها ... (أيقظي البلهاء في

طريقك ... وأخبريها أننا خارجتان ...).

.....

مصنع المرابط ...

مستغرقا في عمله لا يشعر بالعالم من حوله،
تسلل عطر يشعره بكامل حواسه، لينتثله من
ضياعه وهو يرفع رأسه من على أوراقه كي
يتأكد من صحة أوهامه المهلكة... (مرحبا
سيد ياسين ... أنا آسفة لأنتي دخلت من دون
إذن لكنني لم أجد مساعدك في الخارج
...). شلت أطرافه على نفس هيئته، وهو
ممسك بالملف بين يديه مائل على مرفقيه
يستند بهما على سطح المكتب، ووجهه
للأعلى ينظر الى ضالته البعيدة المنال، بحسب

نفسه في حلم أو خيال مهووس جراء تعبته.

(سيد ياسين ... هل انت بخير؟ ...) ... ساورها
الارتباك المعتاد في حضرتة، تجهل سبب
توترها من نظراته الغامضة كلما حدث
وجمعهما موقف ما، وكأنه يحكي قصصا لا
تفهمها أو يشكو بكلمات مبهمته، وهو يرمقها
بطريقة لم يسبق أن رمقها بها أحد
غيره. تنحنج وهو يرمي بالملف ثم استقاما
واقفا يقول بعد ان استجمع نفسه المبعثرة
(مرحبا أنست صباح ... أنا بخير الحمد لله
بما أخدمك؟؟). ... وها هي تلك الرعشة من

جديد حين يشرع في التحدث، نبرة صوته وهو يحدثها لا تشبه الأخرى وهو يحدث والدها باحترام، أو حين يلقي بأوامره بهدوء لكن حازم. نفضت رأسها ثم سألت عما يشغلها ... (أريد أبي ... لم أجده في المكتب ولا المصنع ...) لاحظت ذلك الانزعاج الطفيف الذي حل كضيف غير مرغوب به على ملامحه البيضاء، بعكس أغلب بني مدينتها دوي البشرة القمحية المسمرة من أثر الشمس الساطعة باستمرار... (ذهب في زيارة لبيت آل عيسى ابنهم الأصغر تعرض لحادث ...) ...

وكما كان يخشى استولى الأمر على اهتمامها كليا، تهتف بسرعة وهي تستدير مغادرة ... (شكرا لك ... استأذنيك ...). راقب انصرافها بغيرة تنهش أحشائه فارتدى على مقعده الذي استقبل ثقل جسده برحابة، متمتا بخفوت حارق ... (متى ستشعرين بي يا صباح ... متى ...؟).

بيت آل عيسى

(ما هذا يا رجل ؟؟) ... سأل منصف بدهشة

مراقبان هو وصديقه من شرفته، الحشود

الداخلة والخارجة من بيتهم، يحمدان الله ان

والدته تخبر الناس بتعبه وعدم قدرته على

استقبالهم بنفسه. ... (انها العادة في مدينتي يا

صديقي ...). نطقها بسخرية حيرت منصف

الذي استفسر بفضول ... (لا أظنك تحب

تلك العادة يا عيسى ...). هز رأسه بلا معنى

وهو يجيب ... (إنسى ...) ... ضم يديه الى

صدره مسندا جسده الى حاجز الشرفة قائلا

ببسمت غامضة، ونبرة ذات معنى ... (لقد

كثرت ... "إنسى" هذه ... يا صديقي ... لم

أعد أجد غيرها جوابا من بين شفتيك)

... تهرب من تقريره المبطن الى الجانب الآخر،

من الشرفة حيث يوجد سلم من حديد

مزخرف، يوصل الى الحديقة الخلفية ثم قال

.... (هل تعلم أن هذا السلم كان طريق

خروجي ودخولي الى غرفتي في الصغر؟؟) ...

ضحك منصف يستجيب لتهربه، غير مستعجل

البتة من سبر أغوار صديقه الصدوق، فرغم

تعرفه عليه ومعاشرته له لسنتين، كان

حريصا على ترك حياته الشخصية بعيدا عن
حواراتهما، لم يكن يذكر سوى شقيقه
بإيجاز، وقد اندهش فعليا حين طلب منه
مرافقته الى دياره. لم يكن ليقاوم فضوله،
في كشف الحياة التي هرب منها عيسى
المعروف عنه الشجاعة الى حد التهور بعض
الأحيان، لذا ومن دون تردد وافق ورحل برفقته
.... (إن كان بيت أهلك يعج بالناس هكذا
دائما فلا ألومك اطلاقا ...) ... أسرع اليه
حين لمحهم يهيم بتسلق الدرج الحديدي، و
ساعده نازلا برفقته ... (أجل لطالما كان بيت

أهلي يعج بالناس لدرجة لا تطاق في
بعض الأحيان ...). أرشده الى المقاعد
البلاستيكية الملتفتة حول طاولة مستديرة من
نفس الخامرة، تحت أكبر الأشجار المنزوية في
تلك الحديقة ثم جلسا ومنصف يقول بمرح
مازح ... (فهمت أنك ثري ... لكنني لم أكن
أعلم أنك من الأعيان ...) ... رفع أحد حاجبيه
الكثين كرد يعني به أنه استفز، فضحك
منصف مرة أخرى، حتى قاطعه عيسى مشيرا
الى باب ما، قائلا بحنق مزعوم (ذاك باب
المطبخ ... اذهب واطلب من الخالدة حليمتة شاي

وبعضاً من "الزَّمِيْطَة" اشتقتها كثيراً /// حلو

مكون من المكسرات المطحونة كاللوز

والجوز والفضول السوداني وأنواع من الدقيق

والحبوب المحمصَة ... يمزج الكل بعسل

النحل وزيت الزيتون أو زبدة البقر أو هما معا ///

(...). رفع رأسه يتأمل أوراق الشجرة مستمتعا

بتلك الأشعة المتسللة بينها، فتسرح ذاكرته

إلى أخرى ماضية بين أشجار كهذه تماما،

ذكرى أسرت طفولته لينصدم بانكسارها

فوق رأسه. تنهد بأسى ثم التفت إلى يمينه،

حيث تناهت بعض الأصوات النسوية إلى

سمعه.

(أطلقني يدي !!) ... زمجرت رواح بغل وهي

تنفض ذراعها من بين براثن نجوى الغاضبة

(أخبرتكم يا غبية ... لا تتحديني !!) (...).

تجاهلت رواح ارتعاد أحشائها وتخصرت ترد

ببرود، فمشهد وقوعها وسط زملائها وسخريتهم

منها لازال يُشعل النار في صدرها ... (لما ؟؟ ان

كنت بالفعل معاقتة ناقصة كما تقولين

... مما تخشين ؟؟ ..ها ؟؟ ... لما تهتمين بوجودي

من عدمه ؟؟ (...). للحظة فقط لمحت بعض

الهدف.... (ماذا يحدث هنا ؟؟؟) ... كلتاها

تجمدتا بشكل مضحك بفكين مدلهين

ببلاهة، وهو يرمقهما بريبتة يحاول الثبات على

عكازه. لم يصدق ما يراه حين لمح العدائيتة

التي يتشاجرن بها رغم خفوت صوتيهما، لكن

الهواء المشحون حولهما قد طاله في مكانه،

لذا أسرع متحاملا على ألمه كي يصل اليهما،

خصوصا وان احداهما، الطويلتة بسبب كعبها

تقترب من الأخرى بنظرات ناريتة تكاد

تأكلها... ما بهما الآن؟؟ لما هما متسمرتان

هكذا؟؟... (هل رأيتن شبح؟؟) ... نطقها

التردد في مقلتيها، محته بإرادة من حديد وهي

تقترب منها قائلة بتشفي ... (كلما ستفعلينه

أنك ستستدرين شفقتة بإعافتك

ليتكرم عليك ببعض الاهتمام ...)

...كاذبتة!! ...صاح بها فكرها، بل سينجذب

الى شخصيتها البريئة التي يزيدها الحزن في

ملامحها الهادئة بهاء، ستلفت نظره كما تفعل

دائما رغم عرجها وبساطتها، ثم مع أول كلمتة

من نبرتها الرقيقة، سيقع صريع الاعجاب

بها... ابتسمت بظفر حين لمحت الندى معلق

برموشها البنية الكثيفة، فعلمت أنها أصابت

عيسى بأليّة الى التي أخبرته باسمها، كي
يرى رد فعلها الذي لم يتأخر، بعد أن نسيت أمر
مصافحته ولوحت بيدها في الهواء ... (أنتِ من
يدفعني دفعا لإهانتك ... لأنك بالفضل غبيّة
لا تفهمين!). زمجرت رواح بغل قد بلغ مداه
تهتف بحسرة ... (ماذا ان أتيت الى هنا؟
...الجميع هنا ... أنت الأناييّة لا تشعرين
بأوجاع أحد ... لا ترين سوى ما تريدينه فقط
...). شمخت نجوى بتكبر ترد ... (لن
تحصلي على شفقتي كما تفعلين مع الكل
...أبدا ... أنا أعرفك جيدا ... مجرد قناع

بسخرية ليقوس حاجبيه دهشة، والمدعية
لشجاعة بينهما رغم ارتعادهما الواضح، تجيب
بسهو مضحك ... (تماما ... لا بد أنه شبح ...).
(ماذا؟!) ... تساءل عيسى بجهل، فانتفضت
نجوى تمد يدها بابتسامته متكافتة تدرى بها
توترها. (لا تهتم بها ... انها غبيّة ... أنا
اسمي نجوى ... مرحبا عيسى) ... استغرب من
جراتها ينظر الى كفها الممددة في اتجاهه،
لتلفت الأخرى انتباهه وهي تهتف بشراسته لا
تليق بنبرتها المرتجفة ... (أنا لست غبيّة ...
كفى اهانات ... أنتِ لا تطاقين ...). انتقل

رمقتها مقطبته بحيرة من كلماتها، لتفهم حين

انطلق السؤال من فم شخص قد نسيته تماما.

... (ماذا أفسدت يا آنسة؟؟... على رسلك أنت

تخيفينها...). تميزت ملامح نجوى غيظا وقد

حققت رواح بضعفها مأرب جديدا كما

أخبرتها، فقالت الأخيرة بحنق طفولي، تسال

الى نقطة وسط صدره المتألم من الرضوض....

(أنا لست خائفة!...) ... ابتسم عيسى بمرح

فُرض عليه، فضمت نجوى يديها الى صدرها،

تتأملهما بنظرات حادة أربكتها لتستطرد

بغيظ ... (ما الذي يضحك يا سيد؟؟.... هل

كي تحققي به مأربك ...) ... عضت رواح

شفتها السفلى بغيظ، فهمت بالرد لكن وكان

الكلمات انحسرت في جوفها، كما الدموع

التي لمعت بها مقلتيها دون أن تسقط. لم يعد

المشهد ممتع لعيسى كما كان قبل ثابته

فتدخل يقول بمهادنة ... (اهدئا من فضلكما

...) ... تذكرت نجوى وقوفه معها فانتفضت

لتتذكر لما هي هناك من الأساس، لكن

الحقد سريعا ما عاد ليطفئ، وتصيح من جديد

على رواح الساهمة بين أمواج بؤسها. ... (أرأيت

؟؟ ها انت تفسدين كل شيء بغبائك ...)

تتسلى على حسابنا؟؟ ...). اتحدت أنظارهما

عليه، فقال رافعا يده المكسورة بجبيرتها

استسلاما يقول ... (هل أنا المخطئ الآن؟؟) ...

هتفت نجوى بغضب من الموقف كله، فخطتها

قد فشلت حتى قبل أن تجد فرصتها للتنفيذ

... (ستدفعين الثمن غاليا ... يا رواح غاليا)

... ليردا رواح وعيسى في نفس اللحظة معا، هي

بتحد وهو بتساؤل... (هات ما عندك!!) ...

(ماذا فعلت؟؟). ... تجاهلت نجوى تحدي رواح،

والتفتت الى عيسى ترد بتظلم مزعوم ... (انها

...)... تدخل منصف المراقب للوضع الغريب

منذ مدة، حاملا صينية الشاي بين

يديه، لقاطعهم بعد أن شعر بالتعب من ثقل

الصينية ... (هل تريدون الشاي؟؟) لم

يلتفت له أحد ونجوى مسترسلة في تمثيلها،

بينما رواح تراقبها بعينين جاحظتين صدمتا

... (تمثل الرقعة والبراءة فتسبب لي المشاكل

دائما ... تتبعني أينما ذهبت ... وتغار مني ...).

... أدار عيسى راسه الى رواح المصدومتا

بشكل مضحك، بضمها المفغر ومقلتيها

تكادان تقفزان من جحريهما، ليسأل بتسليته

لم يلاحظها سوى صديقه المتململ في مكانه.

... (هل هذا صحيح يا أنستة؟؟). ... استشاطت
أعصابها من الإهانة فهتفت تصب جم غضبها
عليه، لا تعلم لما تشعر برغبة في ذلك ...
(وأنت ما دخلك؟؟ ...) ...نطقت نجوى مستغلت
الوضع (أرأيت أخبرتك ...انها منافقة ...).
تجاهل نجوى يقصد الأخرى ليستفزها أكثر
... (ان كنت بالفعل بريئة ...دافعي عن
نفسك ...) ابتسمت نجوى بتسفي، فضمت
روح شفيتها ترمقهما بقلب على وشك
الانفجار، ولسان ثقل من الظلم ليتدخل منصف
مرة أخرى وبنبرة أعلى ... (هل تريدون الشاي

؟؟؟ ...) (لا !!) ... كان ذلك جواب
الثلاثة دفعة واحدة، فقال منصف يدعي
الخوف ممازحا... (يا إلهي أنا آسف ما
بكم؟؟). لم يجد عيسى بنظره عن وجه روح
الذي تتوالى عليه المشاعر بين الارتباك
والدهشة والغل مع نفحة من الحزن العميق،
ليقول بنبرة أصبغ عليها الجدية ... (أظن
أنكما لن تعلماني بسبب عدواتكما
كما لن تشربا الشاي معنا ... اذن هلا تفضلتما
وأخبرتmani على الأقل من أنتما؟؟...) ...
عادت نجوى الى الابتسامة برقة في وجهه،

برسميتا ... (شكرا لك ... عن اذنك لقد
أكثر من الوقوف...)... تنحنحت بحرج ثم
تمتت لهما بتحيةة منمقة، وهي تستدير دون
أن تنسى التمايل في فستانها وبكعب حذائها
العالي. ... انفجر منصف بالضحك وهو يضع
الشيء على الطاولة ثم قال ... (بنات مدينتك
يبدوا عليهن الجنون يا صديقي ...) هز
عيسى رأسه بلا معنى، وهو يريح أطرافه
المرهقة، بينما عقله راح في رحلة مع رواح.
.....

بينما رواح رفعت وجهها تقول قبل أن تعتدل في
وقفها، كي لا يظهر العرج... (عن اذنكم
...)... لكن للأسف بسبب توترها لاحظته
الجميع، لتطلق العنان لدموعها بعد أن غابت
عن أنظارهم. ... تحدثت نجوى برقة انكشف
ستارها إن كان لعيسى أو منصف الساهمين في
المنصرفات بأنفة وقوة لا تليق بضعفها... (أنا
حقا تشرفت بمعرفتك وحمدا لله على
سلامتك ... لقد خفت عليك حين علمت
...لذا أتيت مع عائلتي لنطمئن عليك ...)
غمزه منصف دون ملاحظتها، فقال عيسى

مساء بيت آل عيسى ...

انتظرت السيدة نعيمة برفقة ابنتها صباح
وابنة سلفها عواطف، الى أن خرج آخر ضيف
كي يستكملن باقي مراحل خطتهن.
تمكنت أخيرا من التحدث قاصدة الحاجة
إيجة التي عاملتهن بجفاء منذ دخولهن، تقول
باعتذار ... (حاجة إيجة ... أرجوك صديقتي
لا تغضبي من فعلت ابنتي ... انها ابنتك أيضا
.....). حانت منها نظرة الى صباح قبل أن ترد
بسخط ... (كذلك اعتبرتها دائما ... قبل أن
تكسر بخاطري وترفض ابني ... وأيُّهم؟

...البكري...) ... لكزت ابنتها بخفة فقامت

تضم الحاجة إيجة تتوسل برفقة مزعومة ...
(سامحيني حبيبتي ... أنا لم أرفض الزواج من
عائلتك ... بل انه شرف لي ... لكني معجبة
بابنك الآخر ... هل يرضيك أن اتزوج برجل
وقلبي مشغول بشقيقه ؟؟ ... أجيبيني خالتي
...). .. لانت ملامحها قليلا وهي تقول ... (طبعا
لا ... لكن ...). .. قاطعتها بأن قبلتها على
وجنتها، والحاجة نعيمة تتدخل بمكر ...
(ستظل ابنتك إيجة ... ونهديك أخرى معها
... رأيت كم انت غالية لدينا ؟؟ ...). .. نظرت

أوداجها وهي تقول بثقة ... (بلى أنا والدتهم ...

ولن يخيبوا رجائي ..) ... ابتسمن بانتصار،

فقامت الحاجة نعيمة مودعة. رافقتهم

الحاجة إيجة الى الباب الداخلي للمنزل

الكبير، ليلتقين بإبراهيم العائد من عمله،

هتفت والدته باسمته تقول برجاء بعد أن لمحت

تغضن ملامحه من رؤيتهن ... (بني ... أنت تعرف

الحاجة و صباح ... أما هذه الفتاة الجميلة فهي

عواطف ... ابنة السيد يحيى ...). ... تلبكت

عواطف تفرك كفيها ببعضهما، في حين هو

له يرمقها بنظرة واحدة، يتمتم بتحيةة غير

إيجة الى عواطف المحمرة بحياء فابتسمت

بتوتر تقول ... (لقد بلغني الحاج باقتراح

عائلتكم ... أنا أتشرف ببناتكم فأنت خير

من يعلم بمعزرتكم لدي ... لكن الرأي رأي

أولادي وجدهم ... ولا أستطيع كسر كلمتهم)

... عبست صباح في وجه والدتها، فقالت

الأخيرة لتقنعها. ... (أنت الخير والبركة ... و

طبعاً لن يستطيعوا كسر قلبك ... أنت

والدتهم ... إن ألحيت عليهم سيقبلون ... فأنت

سيدة آل عيسى ... لست بهينة ...). ... تعمدت

تغديت جانب الغرور في شخصيتها، لتنتفخ

مفهومة لينطلق بعدها داخلا الى المنزل.

عادت الحاجة ايجت وهي تدعو ربها أن

يستجيب أولادها لأمانياها، فحديث الحاجة

نعيمت مهما أعجبت به وصدقته لحظتها ليس

حقيقيا، أولادها ذوي شخصيات قوية ولن

يرضخوا لها بسهولة... (ما معنى وجودهم هنا

أمي؟؟)... هتف إبراهيم بغضب أعمى،

فردت تتمتم بتوتر... (زيارة أداء واجب بني

.... ما بك؟؟)... تجمع باقي العائلة على إثر

نبرته الحادة رغم هدوئها، وهو يستطرد

بسخرية.... (أداء واجب... أنظري الي أمي

...وأقنعيني... بأنهن لسن هنا ليقنعنك

بترتيبهن الجديد... وكأننا دمي يحركنها

كيف يشأن...). تلبكت أكثر وهي ترد ...

(حشاك بني... من يستطيع اللعب بك ... انت

بكر آل عيسى.... لذا هم متمسكون

بنسبنا...). ... بسط إبراهيم يديه مبتسما

ببرود، يهتف و الجميع مراقب بصمت ... (هذه

البداية..... هم متمسكون بنا لدرجة أنهم

سيزوجنا اثنتين من بناتهم وليست واحدة فقط

...أليس كذلك؟؟)... مال منصف على

صديقه يسأل بهمس ... (ماذا يقصد؟؟)... رد

عيسى بنفس الهمس ... (لاحقا ... لأنه موضوع

له تاريخ ...) ... همس من جديد دون أن يزيح

عينيه عن المشهد أمامه ... (هل الجميع في

مدينتكم غاضب؟؟) ... لاحت السخرية على

جانب ثغره وهو يجيب ... (مرحبا بك ...)

تدخل الجد مقتربا من حفيده المستشيط،

وقد امتزجت حمرة الغضب بالسمرة

المكتسبة على وجهه ... يقول بحنو

... (اهدئ بني ...) ... تشجعت حينها والدته

لتقول (يا حاج كلمه أنت ... العائلت

متمسكت بنا ... وتعرض علينا بناتها ... أليس

هذا صعبا كفاية؟ ... ثم هذا كله من أجل

مصالحته كي يضمن نجاحه في ...) ... تلك

كانت وجهة خاطئة لأنها أتت بنتائج

عكسية، حين هتف إبراهيم بألم ظهر على

ملامحه التي تشنجت ... (أنا لا احتاج لأحد

كي أنجح أنا ناجح بفضل ربي ثم مجهودي

أمي ... لذا هم متمسكون بي ... أنت تذليني

هكذا ... يا إلهي لما لا تفهميني ...) ... هم

الجميع بالتدخل فرفع يده ليتوقفوا، ثم

استطرد بعد أن أعاد الجمود لملامح وجهه

الصلبة ... (على العموم ... أنا سأزوج ...) ...

رمقوا تغيره بدهشة فحاول شقيقه الدكتور
التدخل، لكنه قاطعه بالتكلمة التي لم
تخطر لهم لا على بال ولا على خاطر.....

بيت آل طالب

التفوا حول مائدة العشاء، والشباب الثلاث كل
في عالمه. حق صامتة كعادتها، الا أن
أفكارها في صخب، من الألم الذي تشعر به
في جسدها لا تجرؤ على اخبار أحد، فتفكر
في طريقة لتحضر مرهم الرضوض من

الصيدلية، لينهرها عقلها البسيط بشدة، فما
جلب عليها المشاكل سوى جرأة لم تكن
معتادة عليها، فماذا كان سيحدث لو بقيت
بالجوع حتى تعود الى بيتها؟؟...تنهدت
بخفوت في نفس اللحظة التي تنهدت فيها
رواح، وهي تعيد المشهد في دماغها مرارا
وتكرارا، تحمد الله أن والدتها لم تلاحظ
احمرار مقلتيها لاهية عنها بفخامة منزل آل
عيسى، فرغم كونهم لا يسكنون القصور بما
يناسب ثرائهم، إلا أنهم عوضوا ذلك بتأثيث
فخم وعصري لمنزلهم الكبير... عيسى ...

تذكرت تسليته على حسابها فاسترسل

الشیطان یخيل لها ضحكهم الساخر عليها،

بعد أن لمحوها عرجها، جعلت شفيتها غلا

وشعرت بكره ناحيتهم جميعا. كرها تسلل

الى قلب القابع أمامها لنفس عائلته المعني،

بسبب غيرة اجتاحت أحشائه رغما عنه، و

نفس الشيطان يستعرض صورا يقحمها في

خياله عن تودد حبيبته لأبناء آل عيسى، بل

تمادى ليخيل له مصالحتهم و اتفاقهم على

النسب من جديد، فيراها بين أحضان إبراهيم

آل عيسى. انتفضوا جميعا باستثناء والدهم

المنهمك في الأكل، دون أن يغيب عنه حال

عائلته المائل ويقول بتهكم ساخر... (بسم

الله عليكم وحواليكم ... لا تخافوا انه

فقط الهاتف ... لن يأكلكم اللهم أجرنا

... مجانين (!)... تفقد ياسين شاشة هاتفه

فقرر عدم الإجابة على الرقم المجهول، لكن

إلحاح رنينه مرة بعد مرة، أجبره على الرد

لتجحظ مقلتيه حين أته النبيرة الواثقة

الرزينة عبر الهاتف. استغرب الجميع رد فعله

كما حديثه المبهم الرسمي، فصمتوا متابعين

له باستثناء حق المطرقة على طبقها تخفي

بنفس دهشته(طلب مني أن استأذنك
لحضورهم في زيارة لنا غدا ...). ... انتبه والده
باهتمام يسأل بريبتة ... (وما الذي سيحضر
عائلة آل عيسى لزيارتنا؟؟).. ... رمق حق التي
انتفض قلبها رعبا، حتى شعرت ببوادر إغماء
وشيك ثم قال ... (النسب يا أبي...)
(ماذا؟؟!!) ... نطقها الحاج عبد الله باستغراب
ودهشة، ليهز ياسين رأسه بتفهم يرد ...
(إبراهيم آل عيسى يريد الزواج من شقيقتي
حق ...).

ملاحها المتألّمة. أقفل هاتفه وظل مبجلق في
الفراغ أمامه، فسألت زوجته والده بفضول قاتل
... (ما بك ياسين؟؟ هل المكالمات مهمة؟ ...)
نظر إليها غير مستوعب، فقال والده بنفس
سخريته ... (أجب فضول النساء ... لأنها ستموت
ان لم تخبرها ... ستقع صريعة أمامك...)
عبست بحنق فتنهد ياسين قائلاً بغير تصديق
... (انه إبراهيم آل عيسى) ... التفت حوله
الأنظار متوحدة، من بينهم حق التي قرع قلبها
من شدة الخوف، متذكّرة الاسم الذي نطقته
صديقتها ولم تهتم حينها، ليستطرد ياسين

الفصل الثالث

ما زهد أحد في الدنيا إلا أنطقه اللهب
الحكمة الامام مالك بن أنس.

بيت آل عيسى.

(على العموم أنا قررت الزواج) ... اتحدث

الأنظار تجاهه مستغربين القرار المفاجئ ليس
كلياً، لكن بتلك الطريقة، والتوقيت يعتبر
غريباً شيئاً ما. رغماً عنها سألت بلهفة أم وشبح

الابتسامتة يتشبث بجانب شفيتها ... (حقاً يا

ولدي؟؟ ... ومن تكون؟؟) ... تلك الثانية

التي ضم فيها شفيتها قبل أن يجيب

والدته، أعلمت جده أن العروس لن تنال رضاها
وموافقتها. (انها ابنة آل طالب شقيقها

ياسين صديق طفولتي ومدير مصنع المرابط

(... حل الصمت للحظة قبل أن تشهق

والدته بذعر تهتف ... (أيهما؟؟ ... البلاء أم

العرجاء؟؟) ... (أمي!) ... هتف إبراهيم

باستنكار لائمه، والجميع مستغرق في

التفكير وكأنهم يبحثون في ذاكرتهم عن

يراقب بصمت متمعن بينما إسماعيل يتقدم
مستفسرا برزانة... (أخي... هل أنت متأكد من
قرارك؟؟) ... زفر إبراهيم يجيب بتعب ...
(أنت أيضا إسماعيل ... إنها ...) ... قاطعه
شقيقه مصححا (أنا أعني رغبتك بالزواج
ككل ...) ... هز رأسه يرد بثقة ... (أجل انا
واثق ...) ... عادت والدته للتهاتف بحنق غير
مصدق ... (هل جننت بني؟؟ ... المدينة ملنا
بالفتيات ... لما هي بالذات؟؟ ... هل تريد
فضحي؟؟ أنت تعاقبني لأنني وافقت عائلة
المرابط على اقتراحهم؟؟ ...) ... مسح

المعنية، باستثناء منصف المبحلق ببلاهة
يحاول مجارة الحوار. (سأتزوج من الكبيرة
واسمها حق يا أمي اتقي الله في الناس ولا
ترميهم بألقاب ...) ... ردت والدته والذهول
لازال يعلو وجهها وحديثها (استغفر الله يا
ولدي ... لكنه ليس لقباً بل الفتاة بله...) ...
(أمي!!) ... بدا الاحمرار على وجهه قان، من
شدة ما يكبت من غضب لأجل والدته الغير
مستوعبة على الاطلاق لما ينويه بكرها.
استوى الجد على أحد المقاعد في البهو
الكبير لمنزلهم، دون التفوه بحرف واحد،

إبراهيم على وجهه يرد بهدوء يُحسد عليه ...
(أمي... أنا قررت قبل أن ادخل مع هذا الباب
... لا علاقة لك بالأمر انه يخصني أنا
وحدتي...). نطق عيسى بسرور من وجد ضالته
أضنته حتى فعل ... (أجل... حق آل طلب ...
لقد تذكرتها ... كانت زميلتي طوال سنوات
دراستي... الابتدائي والاعدادي والثانوي ...
أجل... حق البلاء ... أوووبس!...). نظر الى
شقيقه المحقق بحدة يستطرد متلبكا ...
(آسف!... آسف! ... الجميع يلقبونها بذلك ...
لكن لو سألتني عن رأي هي أبعد ما يكون

عن ذلك).... رمقوه بتركيز في تلك
اللحظة، باستثناء والدتهم المنشغلة بصدمتها
يُردف بحيرة ... (مجتهدة ... ذكيتا ... لكن
في الدراسة فقط ... لا تختلط بأحد ...
صامتة... لا يستهويها أي شيء آخر غير
الدراسة ... كانت دوما المفضلة لدى
المدرسين... وتثير حنق زملائها ... بل تثير
حنقي انا شخصيا لأنني مهما حاولت من جهد
لا أصل لمستواها ... لا أحد فعل ...). غامت
مقلتي الجد في تفكير عميق والأمر لازلت في
هتافها الحائق ... (لا يهمني ... كل ما يهمني

إليه قائلاً ... (أوووف ليا رجل حُججك لا
تنتهي ...). ... رفع حاجبه الكث الأسود يرد
بمرح انتقل إليه (طبعاً ... ولن تنتهي) ... التفتنا
منتفضين على اثر صياح والدته الغاضب ... (أنا
لن أقبل بهذا الزواج مهما حدث ... ان رفضت
ابنته المرابط فلا مانع لدي ... المدينة بل
الدولة بأكملها أمامك ... اختر من تعجبك
شرط أن تكون فتاة كاملة لا غبار عليها) ...
نظر الجميع إلى إبراهيم منتظرين رده الذي
تأخر قليلاً وهو يتأمل والدته بصمت مريب، ثم
قال بنفس الهدوء الذي يخفي الكثير ... (وأنا

هي الفضيحة التي ستلحق بي بين النساء...
حين يتهامنن سخريته ... كنتها البلاء جاءت
... كنتها البلاء فعلت ... كنتها البلاء
ذهبت ... يا ربي ارحمني). زفر إبراهيم
بسخط بينما منصف يميل من جديد على
صديقه يقول بمرح ... (اذن التي حصلت على
المركز الأول فتاة ... يا حبيبي ... ومن كان
يتشدد بكونه دائماً المتصدر لفصله ...؟)
... قلب عيسى شفثيه بتذمر يرد ... (لا تحسب
... انها آلت ... كنت دائماً أشك في كونها
انساناً ...) ... ضحك منصف من صديقه يشير

يا أمي رضاك يهمني ... لذا اختاري بين أمرين

... إما ابنة آل طالب أو لا أحد غيرها ...

جحظت مقلتيها تسأل بريبت صادمت ... (ماذا

تقصد؟؟) ... ابتسم ببرود يرد (كما فهمتي

أمي إن لم أتزوج تلك الفتاة ... لن أتزوج

غيرها ... لك الخيار يا أمي ... عن اذنكم)

.... رمى جده بنظرة غامضة وهو ينصرف،

ليُضيق الأخير مقلتيه قبل أن يستقيم واقفا،

ويقترب من كنته هامسا بعتاب ... (تذكرني

أنه رجاك كما تحبين دائما مناداته ... لقد

منحك والعائلة الكثير من نفسه التي سلب

منها أبوه وبقسوة ... تذكرني أنه لم يطلب

شيئا لنفسه من قبل ... إعد ليها بميزان قلبك

.... هل هو أحق أم اجتماعات النسوة

الفارغتها؟؟) ...). لاحت بسمت نصر على جانب

ثغره حين لمح مقلتيها المنطفئتين شفقت

وحنانا، على شباب ولدها الضائع، فهل ستكون

سبب في ضياع ما تأخر منه... سحب عيسى

منصف يهمس بمرح ساخر وهما منصرفان

(هيا لقد قضي الأمر... وحق الببل... أستغفر

الله أقصد حق آل طالب ستصبح زوجة

أخي ...) ... استسلم منصف لجر صديقه

مستغربا، وكله إصرارا كي يُشبع فضوله من
غموض أهل صديقه. تلفتت حولها فلم تجد
سوى الدكتور يبتسم في وجهها فهتفت بحنق
... (هل تعجبك قرارات شقيقك الأكبر؟).
... هز رأسه بياس يرد بهوادة حانيتها ... (لا يهم
إن كان يعجبني ... انها حياته لذا يجب أن
يعيشها هو كما يحب ...) ... ضمت شفيتها
بحنق، ثم ردت تلوح بيدها أمام وجهه ...
(تخبرني بأن لا أتدخل في حياته بذلك
الأسلوب الذي تسحر به مجانينك...) ضحك
إسماعيل وهو يفعل أكثر شيء يجعلها

تستجيب له بطريقة لا تفعلها حتى مع
إبراهيم، رجلها القوي الشخصية، ضمها حتى
اختفت بين ذراعيه يحتوي جسدها وآلامها ...
(أما حبيبتي ... متأكد أنا من حبك
لإبراهيم ... فلا تحزني قلبه ودعيه يسعد
كما يسهر على اسعادنا دوما ...) ... صمتت
تفكر فيما جرى فانسحب ولدها بعد برهة من
ضمها لتهمس لنفسها بمكر ... (أنا لن أخسر
أحد أولادي أبدا ... لكنك يا ابنة آل طالب
البلهاء ... ستدخلين رغما عني ... وأنا لا أفعل
شيئا رغما عني ...) ... ضمت شفيتها السفلى

مستغرقة في تفكيرها ثم همست تنصرف
بحنق... (استغفر الله... لكن الناس ينادونها
بالبلهاء ... لست أنا من لقبها بذلك...).

غرفة إبراهيم...

لم يغير ثيابه بل وقف أمام المرآة الكبيرة
في غرفته متأملا قامته الطويلة، ثم ملامح
وجهه، ليرتفع بنظراته قليلا الى خصلاته
البنية، التي رحمت عذابه المضني بأن ورثت
لونها من والدته، ولو كانت حادت الى القتامته

لكانت عذابا له ولعائلته، فمهما أخبروه
بمدى شبهه بجده يعلم جيدا ما يخضوه أو
يتجنبون ذكره. قست نظراته لانعكاسه في
المرآة، وكأنه ينظر الى من اتخذت ملامح
وجهه شكله في صلابتها وقسوتها، قسوة لم
يُفلح في غرسها قعر قلبه الفتى آنذاك،
والزمن يشهد حرصه على ذلك، وقد أوشك
بالفعل، قبل أن يقلب عليه القدر أمواجه
العاتية، فيختفي من حياتهم دون أن يختفي
أثره بالكامل. ... (أنت لا تشبهه في شيء يا
بني ...) أسدل جفنيه متنهدا بعمق ثم

وسط صحراء قاحلة....(هل سؤالي صعب لهذه

الدرجة؟؟؟).. انتشل نفسه من سراب سهوه

والتفت اليه قائلاً بجديته ... (إن كان

الاجتهاد في الدراسة والخلق الحسن كما

الانعزال عن تفاهات النساء بلاهت فأنا أرحب

بذالك... صدقني وددت لو كانت كل نسوة

الأرض مثلها ... لكنا ارتحنا من مشاكل عدة

....). ضحك جده حتى ظهرت نواجده،

فابتسم إبراهيم رغم كآبة نفسه...(أنت محق

بني....لكن لا نستطيع العيش من دونهن

...أليس كذلك؟؟).... تحدث إبراهيم برقة

التفت الى من يعتبره والده الحقيقي، سنده

ورحمة الله المرسلت إليه. جلس على الأريكة

في القسم الجانبي لغرفته فجلس جده بجانبه

يقول بهدوء وفهم عميق لشخصيته...

(سأعتبرها خطوة محسوبة.... إن أحسنت الرد

على سؤال واحد فقط ...). أدار رأسه تجاهه

منتظرا ليرد بجديته ... (هل تعتبرها بلهاء؟؟

...). غامت عيناه يرمق نقطة وهمية، فيرى

الزينة المرسومة في طلاء الحائط أمامه

تتحول الى حبات مستديرة ملونة، واحدة فقط

حمراء، تجلب معها ذكرى لشربة ماء عذبة

يقول ... (أنت فعلت ... لم تتزوج بعد وفاة
جدتي ...) ... تمالك ضحكاته وتحولت
البشاشة على وجهه، الى حنان ووله عميق ...
(حينما يجد الرجل المرأة التي تملأ قلبه ...
يستغني بها عن باقي النساء ... حتى إن لم تعد
تشاركه الأنفاس وجدتك هنا) ... أشار
الى قلبه يردف بنوع من الحسرة ... (ملائته
حتى فاض بحبها ... لكن للأسف لم أعلم
بذلك حتى تركتني ... لأكتشف بعدها أن
لا امرأة تشبهها ... والأدهى أنني كرهت تجربتها
البحث عن مثلها ... لذا اكتفيت بذكرها الى

أن ألحق بها ...) . ربت حفيده على كتفه
يهمس بعتاب ... (أطال الله في عمرك جدي
...) ... ابتسم يرد ... (مهما طال يا بني ...
نهايته محتومة ...) . هز إبراهيم رأسه بتأكيد
يأئس فأردف جده يوصيه ... (اسمعني بني ...)
... انتبه اليه وهو يستطرد ... (لقد تربينا على
قسوة هذه الجبال ... لم نتعلم عن المشاعر
سوى أنها ضعف ... لذا أتحمل الشيء اليسير من
حال والدك ... تركته لجدك رحمه الله
فرباه على نفس المنوال ... لكنه لم يكن
محظوظا كباقي عميك بسبب الصبابة

السيئة التي حامت حوله حين علموا أنه

الوحيد الباقي من أبناء آل عيسى بعد أن هاجر

أخويه... وسيرث مقعد السلطنة كما الثروة ..).

احتدت نظرات إبراهيم فأردف جده مضرا ...

(أنا لا أدافع عنه بني ... لكن ما أريد قوله

...أنتي ضيعت قسما من عمري في الجفاء الذي

تعلمته من والدي وأجدادي... فلم أسعد المرأة

التي أحببتي وأحسنت معاشرتي ... ولم أعي

ذلك إلا حين فقدتها وفقدت أولادي الذين لم

أربي فيهم الحنان ليعاملوني به ... أحمد الله

أنه منحني فرصة أخرى فيكم ... ولم أضيعها

... لذا بني اسمع نصيحتي ... لا أنكر أمنيتي

في أن تعيد أوج العائلة و سمعتها من أجلك

أنت قبل نفسي ... لكن لا تتزوج من أجل

سلطنة أو أي طمع سوى لأمر واحد ...إنشاء أسرة

مع فتاة تبادلها المشاعر الطيبة ... لقد أنهيت

ما جئت من أجله وأنا أساند قراراك مهما

كان...). خطى جده مغادرا الغرفة بعد أن

ريت على رأسه، فتوقف بجانب الباب حين قال

حفيده بغموض ... (جدي !... اطمئن ... لم

أكن لأظلم فتاة من أجل المصالح ...). التفت

جده مكملا طريقه يبتسم بسعادة قلّ ما

ناغشت قلبه. أبدل إبراهيم ملابسه وهو

يسترجع حديث المحقق حول حادثة أخيه،

ويذكر أن جده لن يعجبه ما سمعه أبداً،

ويذكر نفسه بوجوب التحدث مع أخيه عيسى

قبل اتخاذ قرار. دق باب غرفته فالتفت ليجد

والدته تدخل وهي ترمقه بعتاب، ادعى

الوجوم وهو يرتمي على سريرته فقالت ... (ألن

تأكل بني ؟؟) ... تنهد وهو يجيب ممسداً بين

عينيه تعباً ... (صدقيني أماه ... رأسي عامر

لحد الشبع عن باقي أعضائي الأخرى). رقت

عينها بحنو جارف تهتف وهي تجلس جواره

على السرير. ... (ما بك بني؟؟ ... لما أنت

مرهق؟؟...). نظر إليها يقول بصدق (الكثير

أماه ... الكثير ... أعانني الله عليه ...).

ضمت شفيتها برفض يكاد يلمح، فهي تعلم

يقينا أن ولدها لن يبثها شكواه، إن كان لا

يفعل مع جده أقرب الناس إليه، لذا غيرت

الحديث إلى ما جاءت من أجله تقول بهوادة ...

(أخبرني يا حبيب أمك... لما تلك الفتاة

بالذات؟؟)... ألقى برأسه إلى الخلف يقول

بيأس ... (ليس الآن أماه ... من فضلك ...).

ارتأت المحاولة من جديد عسى أن تعدله عن

رأيه... (يا ولدي ... فكر جيدا ... انها لا تليق
بك ... انت في حاجة لفتاة محنكة واعية
تجاري منصبك ككبير العائلة، وصاحب
أكبر حصّة من مصنع آل عيسى ضف على
ذلك المنصب الذي بإذن الله ستريحه ...).
التفت اليها يرد بتهكم ... (ومن تلك التي
تناسبني أماه ... ابنة المرابط؟؟) دافعت رغم
السخرية في نبرته ... (بالتأكيد بني فابنة
يحي أكملت تعليمها الجامعي ... بل يقولون
أكثر من ذلك ... وان لم تعجبك غيرها
الكثير ... طبيبات وأستاذات... لما تستقل

بنفسك وترضى بفتاة أقصاها المعهد اليتيم
في مدينتنا ولم تكمله بعد حتى؟؟) ... لم
تلاحظ الألم في مقلتيه والسخرية تنضح من
ضحكته الباردة يقول ... (رباه يا أماه ...
عنادك أعماك عن حقيقة أنك تهينني مع
ابنة آل طالب ...). شهقت فزعت تهتف
باستنكار (أنا أهينك!!) ... كيف وأنت ولدي
الأحب الى قلبي!!؟؟) ... فقال مضرا
سهوها عنما حُرم منه من أجلهم ... (هل نسيت
أنني خريج ذلك المعهد اليتيم؟؟) ... مرت
سحابة ادراك ثم ندم عبر مقلتيها وسرعان ما

هتفت... (لكنك ابن آل عيسى... وكنت

الأول على دفعتك...)... ضحك بمرح حقا

أنت متأكد أنك تريد البلاء زوجة لك؟؟

تلك اللحظة، وهو يحاصرها مشفقا على عقلاها

... انتفض مكانه جالسا يقول بحزم منخفض

الطيب رغم كل زلاتها.. (أمي... انت تناقضين

النبرة... (أماه.... لا تنسي وأنت تقرئين وردك

نفسك... ألم تسمعي عيسى؟؟ ... لقد كانت

اليومي... حين تصلين للآية الحادية عشر من

الأولى على دفعتها كذلك... لكنها مثلي لم

سورة الحجرات... بسم الله الرحمن

تحظى بفرصة لتكمل في الجامعة...). همت

الرحيم... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَلَيْسَ خَيْرَ قَوْمٍ مِّنْ

بالتحدث فقاطعها يندس تحت اللحاف قائلا ...

قَوْمِ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ

(من فضلك أمي... أنا تعب وقراري لا رجعت

نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ۗ وَلَا تَلْمِزُوا

فيه ... تصبحين على خير). ...ضمت تقاسيم

أَنفُسَكُمْ ۗ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ ۗ بِئْسَ الْإِسْمُ

وجهها تقول بحنق ... (ستنام باكرا هكذا

الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۗ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ

هُمُ الظَّالِمُونَ ... أن تستغفر لرب العالمين..).
قلبت شفتيها بحنق أقرب لطفولية وهي تهتف
بسخط ... (حسنا أنا موافقت ...)...قوس
حاجبيه دهشة يسأل ببلاهة ..(على ماذا؟؟).
رمش بجفنيه وهي ترد بنفس السخط (على
زواجك من الببل... أستغفر الله ...من ابنة آل
طالب). ارتخت شفتيه رويداً في ابتسامته
متمهلت وهي تكمل ... (في النهاية لا يهمني
سوى سعادة أبنائي...لذا لا مانع لدي على
اختيارك ...).اقترب منها مقبلاً رأسها يهمس
بجواب أذنها ... (متأكد من ذلك ... أدامك

الله فوق رؤوسنا).لم تستجب له تكتم لهفتها
عليه وهي تزم شفتيها، بينما إبراهيم يتناول
هاتفه من على المنضدة الجانبية، فقالت
مستفسرة... (ماذا تفعل؟؟).. رد باسمًا بمكر..
(سأهاتف ياسين كي يتوقعوا زيارة رجالية
غدا بإذن الله)... هتفت ممتعضة ... (بهذه
السرعة؟؟ ...ألم تكن نهما للنوم قبل قليل
؟؟) ... ضحك وهو يطلب الرقم قائلاً بمرح
غريب عليه... (أدق الحديد وهو ساخن ...
أخشى عليه من نفخك ليبرد) ... استقامت
واقفت تهتف وهي مغادرة ... (لا تخف لن يغير

رأي سواك فقط فلتفعل ما شئت لطالما

فعلت) ... (ياسين آل طالب ... أنا إبراهيم آل

عيسى ...). أقفلت باب غرفته تهمس لنفسها ...

(يبدو متحمس للأمر ... هل أحبها بالفعل؟؟

يا ليتني أستطيع سبر أغواره كما يفعل جده

... كيف فعلتها يا ابنة آل طالب؟؟ ... كيف

حصل وأقنعتة بالزواج منك دوناً عن نساء

الأرض ... وأنت البلاء بين ساكنيها؟؟). زفرت

بحنق تستغفر (استغفر الله كان ينقصني

ذنوبها أوووف).

.....

بيت آل طالب

لم يكد ينهي جملته ليلتفتوا الى التي وقعت

على الصحن أمامها ورواح تصيح باسمها

... (حق!!!)، أسرع اليها ياسين يحملها بين يده

ليسوي جسدها على الكنب، يهتف بهلع وهو

يربت على وجنتيها ... (حق ... حق ... أنت

بخير؟؟ ... أجيبيني حق ...) ... نظر الى

الوجوه القلقة من بينهم والده الذي يظهر

عليه عدم تجاوز صدمة الخبر، ثم طلب من

رواح احضار عطر او قطعة بصل ليعود مستأنفا

محاولاته لإيقاظها، تدخلت زوجة أبيه ميمونة

جانبا تغمغم ... (ليلة دلماء؟؟ ... يا ليت جميع
ليالينا بنفس السواد ...). (بماذا تغمغمين
يا امرأة؟؟ ...). انتفضت ميمونة تتمتم بخوف
... (أبدا ... كنت أقول لياسين أن يُقرب العطر
جيذا من أنفها ...). شخر بعدم رضى فقال
ياسين بقلق ... (سأحملها للمشفى إنها لا
تفيق...) قطب والده وقد تمالكه نفس القلق
لتقول زوجته بسخرية مبطننة ... (لا تخف انه
دلع فتيات ... جرب البصل سيوقظها حتما) ...
تجاهلها ياسين وهو يحمل شقيقته متوجها الى
سيارته، ليتبعه والده ورواح تبكي بصمت.

لم تفق هي الأخرى من صدمتها (يحق لها
الإغماء ... إبراهيم آل عيسى يطلبها لزواج ...
يجب أن تموت من الصدمة ليس فقط الاغماء
...). تجمدوا يحدقون بها لتستطرد بنفس
دهشتها وكأنها تهدي ... (ماذا؟؟ ... ألا تعون
عظم الأمر؟ ... بكر آل عيسى يطلب جق
البلهاء لزواج ...). صاح زوجها بسخط وقد
نفذ صبره ... (ماذا بك يا امرأة؟؟ هل جننت
أخيرا وفقدت كل ذرات عقلك المفقود؟؟ ...
أزيحي نفسك من أمامي قبل أن ارتكب فيك
جريمة في هذه الليلة الدلماء ...). تنحت

مستنكرة ... (من فضلك أُمي ... هي لم تفعل

شيئا ... بل العتب عليكم لأنكم أهملتم

علاج رجلي ...). ... انسحبت رواح الى غرفتها،

بينما والدتها تعضض شفرتها السفلى غلاماً،

تتذكر اليوم الذي كُسرت فيه رجل ابنتها.

دارت بها عند العطارين، فالمستوصف الذي

كان في المدينة حينها لم يكن به طبيب

عظام. أخبرها الذي هناك أن رواح تلزمها

عملية لزرع مثبت للعظم يساعده على عودته

لمكانه، وتلك العملية لا تقام سوى

بالمشافي الكبيرة في احدى المدن الكبرى.

لكزتها والدتها تقول بسخط ... (على ما

تبكين؟؟ حظها من السماء حق ابنته حق ...

ستتزوج من أغنى عائلات المدينة ... ومن

بكرهم ... عيني عليك أنت ...يا ابنته قلبي

(...). نطقتها بشفقة لتجيبها رواح بحزن وخوف

صادق على أختها ... (ألم تري شكلها؟؟ ...

شاحبة شحوب الأموات...). ... عادت تلكزها

في كتفها تهتف بنفس السخط. ... (هل أنت

غبية؟؟ ... تبكين على من تسببت بعاهتك

وهي ستتزوج من رجل تحلم به جميع فتيات

المدينة؟؟) ... مسحت دموعها ترد بقهر

ضربت رأسها بحدة تلعن غباءها، فهي السبب
في تراجع زوجها عن أخذها الى العاصمة،
وياسين لم يكن حاضرا ليُصر على ما يخص
الفتاتان كما يفعل دائما، فلم تجد شاعرة
لنشلها أفضل من حق التي لم تكن حتى
برفقتها كما تدعي، بل كانت في المطبخ
تغسل المواعين بينما هي مجتمعة مع احدى
النسوة، يتجادبن أطراف الحديث عن القيل
والقال، لينتفضن على صوت رواح وهي تصرخ
بأعلى صوتها، أسرعن إليها فإذا بها وقعت من
على كراسي رصتها فوق بعضها، كي تصل

الى أعلى الخزانة تبحث عن لعبتها الضائعة.
جن جنونها وخشيت من لوم زوجها الحانق
طوال الوقت، فلامت ابنته فهي تشعر بحبه لها
مهما تجاهل وجودها وذلك يزيد من غيرتها
وغيظها. نفخت بضجر تهتف بسخط
(ستتزوج البلهاء من ابن آل عيسى ... وابنتي أنا
... ماذا سيحل بها ؟؟). وانسحبت هي الأخرى
الى غرفتها تتأكلها أفكارها، في التخطيط
لما تظنه فيه الصلاح لابنتها.

بيت آل عيسى

(منصف لقد انتصف الليل ... اذهب للنوم) ...
ارتمي يجاوره على السرير، يقول بمزاح مرح ...
(لن تتخلص مني يا صديقي ... أنا مصر على
معرفة قصة عائلتكم ... والآن). رmqه
بانزعاج، فضم قسمات وجهه يمثل الاستعطاف
بشكل ساخر ... (لا أحب جهلي لما يحدث من
حولي كالأطرش في الزفت كما يقولون
...). ضحك عيسى فألح عليه يسأل بفضول ...
(ما علاقة عائلتكم بعائلة المرابط ؟؟ ...
ولما شقيقك رافض لنسبهم ؟؟). ... أراح عيسى

يده المكسورة جانبه، ليسبح في دهاليز

الماضي الغابر يقول بتحذير. ... (لتفهم
العلاقة بين عائلتي والمرابط يجب أن أبدأ منذ
البداية ...). ... انقلب على بطنه مشيرا الى
أذنيه يقول بشكل مضحك، والبسمت
المتحمسة ممتدة على شفثيه... (كأي أذان
صاغية....) ... (مدينتنا كانت جبالا مهجورة
قبل قرون مضت ... جدي الأكبر من أوائل
الناس الذين هاجروا إليها... وكان اسمه
عيسى نسبة للنبي عيسى عليه السلام ...
فجده الأكبر يقولون عنه من سلالة سيدنا

عيسى عليه السلام المههم... ملك جدي

الأكبر عيسى الكثير من الأراضي

الجبليته.... وأسس لنفسه عائلة امتدت

جذورها الى أعماق هذه الأرض فنصبته

القبيلة التي تكونت بعدها كبيرا عليهم

نظرا لأصله العريق وكونه الأقدم بينهم على

هذه الجبال ... وهكذا ظلت عائلتنا تتوارث

المنصب كما تتوارث الأرض والمال (...).

صمت قليلا ليتنفس ويريح صدره، فهتف

منصف بمقلتين تتقد حماسا ... (وماذا حدث

لاحقا؟؟؟) ... (في عهد الاستعمار ...

اكتشف المستعمر مدى غنى هذه الجبال

بالمعادن المختلفة كالحديد والزنك وغيرها

.... وطبعا لم يستطيعوا سلب الأراضي من والد

جدي كما فعل بغيرها.... لأنه ذو نفوذ واسع

كما عرف بشدته وقوته ... فعرضوا عليه

المشروع ليشاركوه ... حصلوا على موافقته

لكن بشروط كي يضمن حقه وكذلك فعل

.... ككل شيء جديد تنجذب اليه الأعين

والمطامع، استقطبت مدينتنا المستثمرين من

كل حدب و صوب ... أهمهم كان والد أحمد

المرباط فهو يُعتبر من سلالة أحد مؤسسي

الدولة المرابطة ... ليرثوا منهم الشرف

وئصبوا كذلك من الأعيان ... أتى بعائلته

بعد أن قرر الاستقرار في المدينة الهادئة

وذاث الهواء النقي والصحي والمستقبل المزهر

... لكن كما يقولون ... كيف تجمع أسدين

في قفص واحد؟؟). تحرك منصف جالسا

يسأل بجديته يضم ما بين حاجبيه الشقراوان

... (ماذا تقصد؟؟). ... تحرك عيسى بحذر

يريح أعضائه من التتمل قبل أن يجيب ...

(انطلقت منافسة صامتة بين عيسى آل عيسى

والد جدي.... وزكريا المرابط والد أحمد

المرابط حيث اشترى الأخير جميع ما

استطاع من أراضي لا تنتمي إلينا وبكل طرق

الاقناع السلمية، لأن أي اجبار منه كان

سيلقى من جدي العقاب الشديد ... بعدها

حاول كسب ولاء أهل المدينة كي يفوضوه

أمرهم لكنهم رفضوه بشدة واختاروا جدي

إلى أن (...). صمت عيسى وقد علا الوجوم

وجهه الأسمر، فحشه صديقه بحذر ... (حتى

ماذا؟؟) ... طال الصمت لبرهة ليفاجئ منصف

من اكمال حديثه بشكل طبيعي ... (تطورت

المدينة وأصبح لها مقعدا في البرلمان بعد

الاستقلال ... وطبعا كان الجميع متأكد من
فوز بكري آل عيسى كما العادة إلا أنه
أحدث فضيحة قلبت موازين ثابتة لقرون ...
فقدنا ثقة الناس بنا ولحق بعائلي الخزي ...
ولم تكن عائلة المرابط لتدع الفرصة تطير
من يدها ... فترشح بكرهم زكريا المرابط
مقابل جدي الذي اضطر ليملأ مكان ابنه ...
ولك أن تتصور لمن الغلبة) ... زم منصف
شفتيه مفكرا ثم سأل ... (ما هذا الذي فعله
... مهمم ... ما اسمه؟؟ لم تخبرني باسمه...)
... لمح قسوة غلقت مقلتيه المظلمتين، فظهرتا

كبلور أسود جامد كجمود نبرة صوته وهو
يرد ... (اسمه يونس آل عيسى ... واذهب لنوم
منصف لقد تعبت) ... ضيق منصف زرقاوتيه
مستشعرا تهربه من السؤال، فغيره لآخر يقول
... (ما لا أفهمه ... لما عائلة المرابط الآن
تسعى لنسبكم؟؟). ... غامت مقلتي عيسى
بحنو غريب يقول بفخر ... (لأن أخي قدم
سنوات شبابه ليعيد للعائلة شرفها ومجدها ...
ويبدو أنه على الطريق الصحيح ... لأنه ما إن
نوى الترشح هذا العام ... جادله زكريا
المرابط يتعلل بانقسام المدينة الى حاضين

قد يُنتج شجارات وتعصبات ستؤدي بالمدينة
... لذا حاول إقناعه بإمكانية تخليه هو عن
الترشح لو قبل بنسب يجمع العائلتين (...). هز
رأسه بتفهيم يقول بتقرير... (اذن هو غير
متأكد من فوزه ... وفكر في طريقة يُبقي
فيها السلطة في إطار عائلته)... أوما عيسى
يقول باسمًا بمكر ... (إلا أن مدلت زكريا
المرابط قلبت عليهم مائدة المفاوضات ...).
عاد منصف يقطب بحيرة فاستطرد يقول ...
(رفضت أخي إبراهيم ... بحجة أنها تكن
مشاعر لأخي إسماعيل ... لذا انتقلوا الى

اقتراح آخر ... ابنة شقيق زكريا ... يحي
المرابط ...). ... ضحك منصف ساخرًا يرد
... (إنها فعلاً جريئة لتقوم بفعلة كتلك ...
لكنه عرض لا يقاوم ... عروسة وأخرى
هدية ...). ... ضحك منصف وهو يتلقف
الوسادة الصغيرة التي ألقاها عليه عيسى وهو
يبتسم مفسراً... (الحاج زكريا المرابط ربي
ابنته على الدلال ... فهو ليس من أهل مدينتنا
الذين لا يعرفون معنى للمشاعر ... لكن أخي
لم يقبل بكل تلك الترهات ... وهو مصمم
على اثبات نفسه بنفسه ... إنه حقاً مثل

أجدادي آل عيسى ...)... حل عليهما الصمت
يبدوان غارقان في تفكير عميق، فكان أول
من تحدث منصف ينطق بنتيجة وصل اليها
(بما أن زكريا المرابط والد العروس هو من
ترشح حينها اذن نده من عائلتكم ... والدك
أم عمك؟؟) ... أجفل عيسى وقد اسود وجهه
في لحظة، ليرفع منصف يديه باستسلام
معتذر ... (حصلت على جوابي ...أسف ... لن
أعيد السؤال مرة أخرى ...). تغضنت ملامح
عيسى فأردف منصف بمرح عله ينسيه جرحا
غائرا تسبب في فتحه ... (برأيك ماذا

سيكون ردهم حين يعلمون بزواج
شقيقك؟؟؟). لم يتغير مزاج صديقه وهو
يرد بوجوم ... (فليفعلوا ما يشاءون لا
يهمني ولا أظنه يهم شقيقي على الإطلاق ...
تصبح على خير منصف أنا تعبت ...). استقام
واقفا بتفهم، وانسحب بعد ان ألقى عليه
التحية، لم يكذب يخنفي من أمامه حتى غرق
في بحر ذكرياته المؤلمة، إن كانت البعيدة
أو القريبة على حد سواء.

المشفى ...

تقدم ياسين بخطوات سريعة تجاه الطبيب
وكله نظرات متلهفة قلقلته، رمقه الأخير
بعملية وهو يقول ... (اطمئن انها بخير ...

لكن كان يجب احضارها للمشفى حين
تعرضت لحادث...) تقوس حاجبي ياسين بحيرة
مندهش، فاستطرد الطبيب باسماء ... (أجل هي
لم تخبركم ... لقد صدمتها السيارة فتسببت
برضوض جانب بطنها لا شيء خطير إذا عولج
في حينه ...) ... تحدث ياسين بشيء من

العصبية ... (هل صدمها أحد وهرب؟؟) ... أسرع

الطبيب مفندا ... (لا ... لقد سألتها نفس

السؤال ... هي من اخبرته أنها بخير ... كانت
تخشى على امتحانها ... الفتيات...) ... نطقها
بمرح ثم استطرد قبل أن ينسحب. ...
(يمكنكم أخذها الى البيت ... فقط القليل
من الراحة ...).

(كيف حالك أختي؟ ...). نظرت اليه حق
بمقلتين ناعستين تجيب بتعب ... (بخير أخي
... أنا بخير ...). جلس جوارها يهمس بعتاب
وقد رق قلبه لضعفها، لكن تبقى تربيتهم
اللعيبة حاكمة فلا يستطيع لمسها، أو حتى

النطق بكلمات التحبب كي يسترضي قلبها
... (لما أخفيت أمر الحادث ... لما لم تخبريني
حق؟؟). ردت بصدقها المعتاد ... (لقد خفت
.... من غضب أبي ... ومن تضيوت الامتحان ... أنا
أسفرت حقا ... لم أرد ازعاجكم ... هز رأسه
مشفقا لحالها، يتمنى لو يفهمها أكثر، ليس
أنها بلهاء كما يلقبونها، لكنها فعلا مختلفة،
يحبها بل يعشقها، لأنها صورة عن والدته التي
لم يشبع من نبع حنانها المتدفق بسخاء. يخشى
عليها من زمن ليس لأمثالها، تذكر ابن آل
عيسى فقال مستغلا غياب والده الذي أعلمه

بانتظارهما في السيارة بعد أن اطمأن، يخفي
مشاعره كعادته يعتبرها ضعفا. ... (حق؟؟؟)
... فتحت مقلتيها لترمقه تنازع رغبتها في
النوم، فاستطرد ... (هل تعرفين إبراهيم آل
عيسى؟؟). ... غادرها النوم بغتة واتسعت
مقلتيها لتقول بتردد ... (هو من صدمتني
سيارته ...). ... عادت اليه دهشته وهو يقول
بتقرير ... (هكذا إذن تعرف عليك....). لم
تفهم قصده أم لم تهتم فقال يسألها من جديد
... (هل سمعت ما قلته قبل أن يغمى عليك؟؟)
... بلعت ريقها بتوتر وهي تومئ بإيجاب، فقال

بجدية ... (اسمعيني حق ... إن كنت رافضة

.... سأقف بجانبك حتى ان اضطرت

لمواجهة أبي ...) انتفضت مكانها تقول بخوف

... (لا أخي ... أرجوك ... لا تتشاجر مع أبي

...) ... رمقها بحنو وهي تستطرد بيقين مؤمن

بربه ... (لا تخف عليّ أخي ... سأستخير ربي

... وهو لن يتركني ... راضية بقدره هو لن

يضيعني) حقا لا تكف هذه الفتاة عن

إدهاشه، وبالفعل هذا الزمن ليس لأمثالها

لاحقا في البيت ...

استقبلتهم رواح بقلق بينما والدتها تدعي

النوم. اندست رواح تحت اللحاف بجانب أختها

على سريرها الصغير، كما تفعل حين تخشى

شيئا وقد ارتعد قلبها خشية من فقدان أختها،

أرعبها وجهها الشاحب كالأموات. (هل أنت

بخير؟) ... همست رواح وهي تضمها من ظهرها،

فردت حق بنفس همسها (الحمد لله ...) لم

تستطع تجاهل الأمر فتحدثت من جديد ...

(ماذا ستفعلين يا حق؟؟) ... ردت الأخرى بتعب

(في ماذا؟؟) لتقول رواح بفضول وحيرة

(زواجك من ابن آل عيسى ...) ... حسبتها

اليوم التالي

انتشر خبر نسب آل عيسى وآل طالب كالنار
في الهشيم، فالحاجة ميمونة لم تقصر في
التشدد افتخارا أمام كل من التقتها في السوق
صباحا، وهي تجهز للزيارة المترقبة. وفي
مدينة صغيرة كمدينتهم، لا يلزم الخبر سوى
ساعات معدودة ليتم تناوله داخل سائر منازلهم.

نائمة حين تأخرت في الرد، ثم قالت ما أضاف
لدهشتها الكثير من عدم التصديق ... (الرأي
رأي أبي والقضاء في الأمر لله ...) ...
نطقها حق بصدق ايمان نابع من صميم قلبها،
ثم راحت في سبات عميق، والأخرى جوارها
غارقة بين أمواج عاتية، ينتهي زيدها الى
شاطئ بيت آل عيسى، لتهمس بصدمة أقرب
الى الفزع (سناسب عائلة آل عيسى ...).

بيت المرابط ...

اسرعت الخادمة بخطواتها لا تدري ما يحملها

أكثر، فضولها القاتل لمعرفة رد فعل

مخدوميتها أو الشماتة التي تخفيها ببراعتها.

(حاجة نعيمة !! ...حاجة نعيمة!! ...)

التفتت إليها الحاجة وهي تمسك صدرها هلعا

من هتافها المفاجئ ... (بسم الله ... ما بك يا

فتاة؟؟ ...لقد أجزلتني ...) ... تنفست محاولت

السيطرة على تلاحق أنفاسها بينما الحاجة

ترمقها بريبة انتقلت للفتاتين بجانبها، في

غرفة الجلوس حيث كن يشاهدن مسلسلا ما

في حضرة الشاي، وبعض من المملحات بنكهة

الأعشاب الموسمية الطازجة (لن

تصدقيني يا حاجة مهما حلقت ...).

صاحت الحاجة بنفاذ صبر ... (قولي ما

عندك يا فتاة وكفي عن المراوغة ...)

... ابتسم داخلها وهي تلقي ما بجعبتها بسخط

مزعوم ... (سمعت في السوق قبل قليل الحاجة

ميمونة زوجة الحاج آل طالب ... وهي تخبر

صديقاتها باستعدادهم لزيارة من رجال بيت آل

عيسى ليطلبوا ابنتهم للسيد ابراهيم ...).

(ماذا؟؟؟!!) ... نطقنها ثلاثهن بصدمة وهن

وهي تستجمع أفكارها، فنطقت عواطف وقد

بدأت الدموع تتجمع في عينيها السوداوين

تقول بخزي (الأمر واضح ... رفضني

وسيتزوج أخرى ...).... همت صباح بالإجابة

لكنها عادت تقفل فمها حين تنهى اليهن

صوت جدال، فتتبعن مصدره ليجدن رجال

عائلتهن في نقاش غاضب ... (أخبرتكم أن

تترك ابنتي خارج الموضوع ...فما رأيكم

بهذا الذل الذي جلبته علينا قبلها !!(...)

هتف يحي فهو كباقي عائلته يكن لابنته

الكثير من مشاعر الأبوة والحنان، يقصد ابنه

ينتفضن واقفات، لترد الخادمة مؤكدة ...

(اقسم يا حاجت ... سمعتها بنفسي ... السيد

إبراهيم يريد ابنة آل طلب البلهاء زوجة له

(... .. عضت الخادمة شفتها تكتم ضحكت

مجالجت من مظهرهن وهن مفغرات أفواههن،

غير مستوعبات لما يقال، حتى أسرع في

الانسحاب كي تضحك على راحتها فيبدوا أن

حالهن بعد الاستيعاب لن يعجبها البتة. ...

نطقت صباح تنظر لوالدتها بدهشة تتمتم ...

(أمي ... ما ... سمعت ما سمعته ...أليس

كذلك؟؟) ... تلفتت مقلتي الحاجة في بحث

مجيد الذي رد بغل ... (كيف يتجراً على رفض

نسبنا كيف؟؟...)...التفت الى عمه مردفا

بغضب... (يجب ان تقاطعهم ولتكن الحرب

إذن.... لن ينال المنصب ولو اضطررت لشراء

أصوات الناس صوتا، صوتا...) ... أسدل الحاج

زكريا جفنيه بتعب ووالده يصيح بسخط ...

(اصمت انت لا تعلم شيئا... وهل نجرؤ على

مقاطعتهم؟؟ ... انت لازلت صغيرا لا تعلم من

هم آل عيسى... كل اللوم على ابنتك يا

زكريا هي من وضعتنا في وضع لا نحسد عليه

(...). زفر زكريا وهتفت ابنته بعد أن أقلت

عواطف نفسها بين ذراعي والدها تبكي ...

(أنا لن أتزوج رجلا مرغمة من أجل منصب لم

تستطيعوا الحفاظ عليه ...)... (اخرسي !!) ...

تجمدت صباح مكانها مصدومة من غضب

والدها، لأول مرة يرميها بنظرات حادة يشتعل

مستطردا بحسرة.... (بل أنا الملام يا أبي... أنا

من دلتها ... فلم تتعلم تحمل مسؤولية عائلتها

(... التفت الى زوجته مكمل بنفس الحسرة

... (كنت متوقعا لهذه النتيجة... فهو عقاب

لي على ذنب لم ينسى ... وهل ينسى الظلم

(؟؟). قطب الشباب بجهل، بينما نعيمة تتميز

غيظا لأسوء ذكرياتها، فاستطرد الحاج

زكريا يقول بحسرة وقد عاد ينظر الى ابنته
صباح ... (ها أنت تثبتين لي أن الفتاة لا تتحمل
المسؤولية كما يفعل الولد) شهقت صباح
بألم شعرت به في صميم قلبها، فاقترب جدها
من والدها يربت عليها بحنو قائلا ... (هون
عليك بني ...) ... تدخل مجيد يقول بحقد
من تجاهلهم له ... (لما يا عمي؟؟ أأستحفيد
المرباط أيضا؟؟ ... لما تتجاهلونني؟؟ ... دعوني
اترشح وادعموني كي نفوز عليهم ...). تنهد
الحاج زكريا وهو يرتقي على المقعد، تبعه

والده بينما تولى يحي مهمة الشرح بتهكم ...
(لما يا ترى؟؟ آه... ربما لأنك لم تستطع
اثبات نفسك لعائلتك أولا ... ثم للناس
الذين لا يعرفون عنك سوى العبث هنا
وهناك.... حتى دراستك لم تفلح فيها ...)
كانت نبرة صوته تحتد مع نهاية حديثه
ليهتف ابنه مدافعا ... (أبراهيم أيضا لم يكمل
تعليمه العالي... في الحقيقة لا تناسبه سوى
تلك الحثالة التي اختارها ...) زمجر والده
بسخط فردّ عليه جده بحزم يقول ... (أبراهيم
لم يحظى بفرصة لإكمال دراسته بسبب

مشاغل أهم وليس لأنه فاشل فيها ... مشاغل
استهنت أنت بها ... بينما التي لقبتها بالحثالة
... بالرغم من اللقب الذي لحق بها من جراء
حسد النسوة... تعتبر من أحسن بنات المدينة
اخلاقا وجدية ... على الأقل لن تتناول على
كلمة والدها (...). رمى صباح الجامدة بنظرة
ذات معنى، فقال زكريا بسهو أكثر منه
مشاركة في الحوار... (انها خطوة محسوبة
لابن آل عيسى... ترك ابنة الغريب من أجل
فتاة منهم ... ابنة هذه الأرض ... سيزيد
الشباب تعلقا به ... ضف عليهم أصحاب

الحكمة ... انه فعلا من سلالة عيسى آل
عيسى ليس كوالده ليس كوالده
(...). ربت والده على كتفه خشية عليه من
هذيانه، مع أنه اشد حرقة منه، على تاريخ
غابر جاهد فيه أسلافه ليصنعوا لأنفسهم
جذورا تمتد لأعماق تلك الجبال، لكنها أبدا
لم تصل لنفس عمق آل عيسى ... (سنجد حلا
بني هون عليك لا زلنا نملك نفوذا
مع ولاء نصف أهل المدينة ... سنجد طريقة
لنحل الوضع ...). غادر مجيد يضرب الأرض
غضبا، وقام الحاج زكريا مستأذنا هو الآخر

ليذهب الى عمله، فسحبت الحاجة نعيمة

صباح تهمس لها بزيارة يجب ان يقوموا بها.

.....

ثانوية الامام مالك بن انس ...

تتجاهل النظرات المسترقة إليها من زميلاتها،

تعاتب والدتها التي نشرت الخبر بتلك

السرعة، ليس سرورا لكن تشدقا وتكبر.

تتلفت كل حين متوقعة أسوء الكلمات إن لم

يكن تهديدا بأشد العقوبات من نجوى، بيد أن

جزءا داخل أعماقها متلهفا لرؤية نظرة

الصدمة في مقلتيها الماكرتين، وكما يقال

احذر من رغباتك وامانيك، إذ ظل عليها ظل

علمت صاحبته قبل ان ترفع رأسها إليها. رمقتها

بحدة ثم مدت يدها مطوقته معصمها ثم

سحبتها وهي مستسلمة لها تحاول عدم التعثر

أو الوقوع. نفضت يدها بحدة تهتف بحنق...

(آلاف المرات أخبرك أن لا تسحبيني هكذا

!؟). ... ضمت نجوى يديها الى صدرها تتفرس

في وجهها، فارتابت رواح تهتف مستفسرة وهي

تمسد رسغها ... (ماذا تريدن؟؟ ... ولما

تنظرين إلي هكذا؟؟) ... اقتربت منها أكثر

فلا هي ولا هو أو أي أحد آخر يههما ... (لا شيء)

مؤكد بعد ... لأزال حديثا بين الرجال ... ثم

أريحي دماغك فلا ابن آل عيسى يهمني ولا

غيره ...). كم راققتها نظرة الغيرة تلك وإن

لم تُطل، ابتسمت ببرود تقول قبل أن تنسحب

بخيلاء كعادتها ... (ومن قال أنيأهتكم بما

تشعرين به ... أنت لست ندا لي ... وكما

توقعت رمقك بعين الشفقة إلى درجتا أنه

عبر عنها حين راقب عرجك وأنت تنصرفين

.... مهمم ... مسكينة ... إلى القاء). لو

طعننها بخنجر مسموم لما أذاها كما أذتها

ترمقها بخطورة وهي تسال بهدوء مخيف ...

(هل ما سمعته صحيح ؟؟) كانت تعلم، لن

تتركها لحالها، ستحول الباقي من أيامها

المعدودة في الثانوية إلى جحيم من أجل

شخص كرهته كما كرهتها، وكرهت كل

من يفتقد للإنسانية ساخرا من علتها ومعتبرا

أيها اقل من البشر الطبيعيين، ولا يحق لها

أبسط الحقوق كالحصول على الاحترام ...

(ما... ماذا ... سمعتي ؟؟) ... (لا تدعي الغباء

الآن ... تعلمين جيدا عن ماذا أسأل ...). بلغت

ريقها تقول بتوتر مقررة إنهاء الوضع بأكمله،

تلك الكلمات الكاذبة، لكنها صدقت،

حساسيتها صدقت وعادت الى تخيل ضحكهم

عليها حين انصرفت، حتى باتت تراه واقعا

وليس خيالا مريضا، تغدى على أنقاض

شخصية ضعيفة، قامت على الاستصغار

النفسي منذ الطفولة. كضكفت دموعها

والتفتت تغادر تلك البناية التي ضاقت عليها

بوسعها الشاسع.

.....

مساء.....

بيت حفصة

أنهت عملها في المطبخ بحذروهي تتأكد من

كل شيء في مكانه المعتاد، هي في غنى عن

واحدة من نوبات جنون زوجها العزيز. ارتعد

قلبها وانتفضت جميع أطرافها على إثر نبرته

الأمرة ببرودة، تُنذر بخطورة ما هو آتٍ. أسرع

اليه تكاد رجليها تخونها رعبا. وقفت أمامه

تنكمش على نفسها، وقد استولى الجنون على

مقلتيه، يمسك ضفة باب خزانة الملابس

بيد والأخرى يشير الى مكان ما داخل أحد

الأرفف. فقدت تركيزها كما العادة كل مرة
تمثل أمام محكمة جنونه، وهي تناظر الرف
ثم عينيه بحيرة وجملة ... (ماذا قلت عن
ترتيب ملابسى؟؟). ... فتحت فمها في محاولة
لتحدث لكنها تجمدت مكانها، كما تجمد
فهمها وادراكها. دائما ما يفلح في افقادها
لعقلها واحساسها بما حولها، سوى الرعب يهز
أحشائها منتظرة لما سيأتي بعدها، اقترب منها
متمتعا بحالة التبادل التي تصيب ملامح وجهها
بمجموعة من المشاعر المتعاقبة، بين عدم
الفهم والترقب والرعب، لتتجمد بأكملها على

تلك الهيئة باستثناء ارتعاش أصابع يدها
اليسرى، فينتشي بتلك السلطة التي يملكها
عليها (لما القميص ليس في مكانه مع
باقي القمصان؟؟ ماذا يفعل بجانب السراويل؟؟
...). ... رمشت حين أطلقت أنفاسها المتلاحقة
خوفا، تنظر الى القميص بنظرات زائغة تهمس
بنبرة مرتعشة (أنا أسفرت ... أقسم لك لم
... انا أسفرت ...). تعلم أن أسفها لن يشفع لها
لكنها تحاول، دائما ما تحاول كي يعتقها.
شهقت بألم حين أمسك خصلات شعرها بيده
يشدها مع كل كلمة يقولها بضيق سام ...

(يا غبيته ... هل يصعب فهم أمور مسلمة بها
؟؟... القمصان في مكان والسراويل في مكان
لحالها ... ما الشيء الصعب في الأمر؟؟) ...
نطقت باكيته وهي تحاول فك خصلاتها من
بين يديه ... (انا آسفة ... أقسم لن أعيدها ...
اقسم لن أخطئ في ترتيبهم ... أتوسل اليك
... انا ممم !!) ... أغلق فمها بقوة ممسكا
برأسها بقبضته الأخرى، ثم همس بجانب اذنها
بنبرة تفضح مدى جنون صاحبها ... (لا فائدة
منك ... ستظلين غبيته حمقاء ...)
(آآآه...)) ... تنهدت بألم حين ضرب رأسه

بجبهتها بقوة أصابتها بدوخة أفقدتها توازنها،
فسقطت حين دفعها عنه مقللا باب الخزانة
بقوة، وغادر بخطوات واسعة دون أن يعير
سقوطها أي انتباه. تحركت بمشقة وهي تحيط
رأسها بكفيها تتنهد ألما بخفوت، رمشت لمرات
عدة محاولت استعادة تركيز بصرها المشوش،
لتنفض من جديد على إثر صياحه يوازي
صوت التلفاز العالي ... (العشاء يا غبيته ...
حالا !!) ... أنا جائع ... أم لازلت لم تشبعي
جوعك أنت؟؟) ... تحاملت على نفسها مسرعة
الى المطبخ، قبل أن يعود اليها فتلك الضربة

التي نالتها أقل عن المعتاد. توالى الدموع على
وجنتيها، لم تعد تعلم لما تبكي؟؟ على
كرامة فُقدت أم سند خائن أو ربما على
جحيم تعيشه ولا ترى له منفذ في أي قريب
عاجل

مساء

بيت آل طالب

نفخت رواح بنفاذ صبر ترمق حق بحنق طفولي
تهتف... (يا إلهي يا حق دائما ما أتساءل من أين

مندى قصص من وحي الاعضاء

لك بكل هذا البرود؟؟). ... أقضت حق
الكتاب بين يديها ثم وضعتها جانبا، لترمقها
دون ان تغير من وضع جلستها، مربعتة رجليها
فوق سريرها المقابل لسرير اختها المحتل من
طرف صاحبتة. (ماذا تريد من أختي؟؟). ...
قامت من مكانها وجلست بجانبها تقول بحماس
... (الرجال في الصالون جاءوا ليخطبوك
لأهم رجل بين شباب المدينة... هل تعين
أهمية ذلك؟؟) ... ضمت حق شفتيها للحظرة
ثم قالت وكأنها تذكرت شيئا ما ... (هل
تظنين أنهم انتهوا كي نغسل المواعين؟؟).

زمجرت رواح بسخط وهي تقول (هل

تريدين التسبب بشلي؟؟ ... أسألك عن الزواج

وأنت لا تفكرين سوى في المواعين؟؟) ...

زمت حق شفيتها كما قسمت وجهها، ترمقها

باستنكار لغضبها الغير مبرر بينما هي تردف

.... (بماذا تشعرين؟؟ كيف ستصرفين حين

تقابلينه؟؟) ... تحدثت حق بهدوء تقاطعها ...

(نست أن الفتيات لا يلتقين بالخطاب في

الجلسة الرجالية...) ... هزت رواح رأسها

مؤكددة تقول ... (أعلم ... لكن لا بد أن يطلب

رؤيتك يوما ما ... وحتى إن لم يفعل ...

سيراك بعد الزواج ...) ... هزت كتفها

تقول بتقرير مسلم به ... (فليقدم الله ما فيه

من خير ...) ... دهشن لوهلة ثم قالت مبتسمة

بمكر ... (هل سبق ورأيتة؟؟ ... أو التقيت به

؟؟) ... تذكرت حق الحادث وبآلية لمست

جانب بطنها، تقول بتقاسيم متألمة وكأنها

بإعادة الذكرى عاد الألم (أجل ... لقد

صدمني بسيارته البارحة ...) ... شهقت رواح

تهتف بصدمتها ... (ماذا؟؟ حقا؟؟ صدمك؟؟)

... استدركت أمرا فاستطردت بسرعة ...

(انتظري!! صدمتك سيارة؟؟ يا إلهي لما لم

الدراسية على وشك الانتهاء والامتحانات على

الأبواب ... أتمنى لك النجاح لتلتحقى

بالجامعة الجديدة ... يا رب استجب لي ...

اتسعت بسمت رواح، ثم قامت من مكانها بعد

ان قبلتها بخفت تهتف بلهفة ... (يا رب .. ادعي

لي أختي ... دعوتك مستجابة يا حق ...).

لكنها كالعادة لم تلق لحديثها ردا، فقد

استغرقت حق في مراجعتها وكل أمانيتها في

تلك اللحظة أن يسمحوا لها بإنهاء سنتها

الأخيرة قبل الزواج ...

تخبريني؟؟ ألهدا قضيت نهار الأمس في النوم

... أين يؤلمك؟؟ هل أنت بخير؟) ... ابتسمت

حق بحنو لخوف شقيقتها الطيبة القلب، رغم

كل الأكاذيب التي تحشي بها والدتها أذنيها

... (أنا بخير حبيبتي ... مجرد رضوض خفيفة

لا تخافي ...) ... تنفست براحة قبل أن

تستأنف مكرها قائلة ... (إذن هناك رآك

ابن آل عيسى ... ووقع صريع هواك ...)

أومات حق بيأس من تفكير أختها الحالم،

وعادت الى مراجعة كتابها تقول ... (من

الأفضل لك أن تنشغلي بكتبك... السنن

في الصالون

تبادل الرجال أحاديث عدة وهم يتلقون
الضيافة وقد حضر الجلسة مجموعة من
أكابر المدينة، من بينهم الحاج أحمد
المرابط الذي لم يستطع رفض دعوة الحاج
إبراهيم آل عيسى، مال عليه الأخير يقول
بنبرة خافتة مبطناً بعتاب يكاد يلمح...
(مبارك عليهم ما تمنيناه يا حاج ...) ابتسم
الحاج إبراهيم بسماحة يرد بنفس حديثه
المبطن ... (بارك الله في ذريتك يا حاج
أحمد ... والله شاهد علي لازلت أتمنى

نسبكم فبدل الواحد هناك اثنين

آخرين ... فقط الله حين يشاء أمرا يقدره
فيكون ...). رمقه بنظرة المتفهم لمقصده
فأرجئ التفكير لوقت لاحق، فالمهم لديه ان
يحافظ على ود الرجل الذي لم يرى منه يوما ما
يشينه فكان نعم الند، رجلاً، كلمته شرف
لمن تلقاها وسيف على رقبتة هو، أحسن تربيته
أحفاده رغم ما عرضهم له ابنه من قبل،
فتمنى حقا نسبهم، لكن المدللة حفيدته
أفقدتهم فرصة ذهبية مستحيل توفرها على
الأقل عن طريقها هي.

للمرة التي لا يعلم كم يمسك بياسين وهو
يرمقه بنظرات غريبة، التفت الى القابع
بجانبه فمنح لنفسه لحظة ليتأمله فيها. مرت
سنوات لم يره فيها الا لماما، ما بين سفره
لاكمال دراسته الجامعية، ثم عودته وعمله
الكذ في مصنع المرابط، حتى أصبح مديرا
للمصنع والذراع اليمنى للحاج زكريا. لقد
تغير كثيرا نضجت ملامحه الجبالية واشتد
عوده، لم يخب رجاء عائلته هو الآخر وتحمل
المسؤولية كاملة وهذا ظاهر من نظرات
الفخر الناضحة من مقلتي والده، وهو يذكره

كل حين في حديثه مع الرجال. شعر بلمسته
خفيفة فالتفت الى شقيقه الذي رافقهم في
حين فضل عيسى البقاء بسبب حالته الصحية.
(ألن يبدأ الحديث فيما جئنا بخصوصه؟؟ ...)
..ابتسم إبراهيم برزانة يقول بخفوت ...
(أنتظر جدك علّه يرحمنا ويتحدث أنا تعب
اشتاق للنوم ...). كتم إسماعيل ضحكته
بمشقة يقول بهمس ماكر ... (ظننت أنك
ستخالف التقاليد وتطلب مقابلة العروس ...).
رمقه يبتسم بجذل ... (لست رومانسيا مثلك يا
طبيب النفوس ... أنا أريد زوجة لا مسلسل

تركي ...) ... حقا ضم شفتيه يشد عليهما

بشدة كاتما ضحكاته، التي لو انطلقت

ستفضح هيبتهم وذلك ما ترجمه إبراهيم الى

كلمات مستطرد ... (من الأفضل لك أن

تتمالك نفسك ...) ... هز رأسه يرد بخفوت

(كم أتمنى رؤيتك واقع في الغرام يا عماد

آل عيسى وفخرهم...) ... ضحك برزانتته

المعهودة يجيبه بمزاح ... (تركت لك أمور

الغرام يا طبيب النفوس فهي تليق بك أكثر

... عسى أن تجد لك فتاة من مسلسل تركي

تبادل لك نفس العواطف ...). ... عويناته

الطبيبة لم تفلح في إخفاء وميض الألم عابرا

بخياله القاتم، فسرعان ما تدارك الحوار

يهمس بمرح ... (ما بال المسلسلات التركيت

معك؟؟) ... ضيق عينيه يقول بتمهل ساخط

... (السيدة الوالدة فيها الخير.... مهما تأخرت

في العمل...أجدها تنتظرني وهي تتابع

مسلسلا قد فاتها مواعده بسبب احدي

اجتماعاتها النسوية...) يتضحك مع

شقيقه غافلا عن نظرات ياسين تجاهه بنفس

الفضول، إلا أنه على عكس إبراهيم لم

يلاحظ عليه تغيرا كبيرا، لازال بهيبته التي

اكتسبها باكرا بسبب أبيه المعروف

بقساوته، ولا زالت تقاسيم وجهه صلبة واثقت

وذو نظرة حادة نافذة، ولو اسودت قليلا بعد،

لكان صورة طبق الأصل عن والده، اقشعر بدن

ياسين من تذكر التهم الموجهة اليه حتى

أصبح من الملاحقين الاجئين في الجبال

المهجورة. انتقلت أفكاره الى جهة مخالفت

مستغرب من تقلب الحال، فهذا الرجل كان

سيمتلك حبيبته وأوصله الى أعلى درجات

الغيرة حتى كن له كرها اكتشف انه غير

حقيقي، لأنه اختفى ما إن انتهى السبب. نفذ

رأسه من تلك الأفكار وانتبه بكل تركيزه

على الحاج إبراهيم آل عيسى، الذي قرر

التحدث قائلاً بفخر شع من عينيه المظلمتين

... (أظنك يا حاج عبد الله على علم بسبب

زيارتنا؟؟) ... ابتسم الحاج عبد الله في

لحظات تُعد من النوادر يجيب بترحيب ...

(زيارتكم زادتنا شرفا وتكريما من دون سبب

يا حاج إبراهيم ...). ... ريت الحاج إبراهيم

على صدره في إشارة للامتنان قائلاً ... (الشرف

لنا يا حاج ... كما يسعدنا طلب يد

كريمتكم لحفيدي إبراهيم ... فما قولك

خطبة لا لزوم لها، إلا أن ياسين تدخل ببعض
العدائية التمسها إبراهيم الحفيد والجد على
حد سواء، يشترط التريث لحين انهاء شقيقته
الامتحانات القريبتة. هم والده العابس
بالتدخل ناهرا إياه، لكن إبراهيم سبقه
مؤكدًا على أن مهلة النصف شهر الباقية
تناسبه أيضا، وهكذا اتفق الرجال على عرس
الموسم بعد أسبوعين من اجتماعهم الحالي.

.....

يا حاج؟؟). ...ضحك الحاج بفخر يجيب ...
(لا قول بعد قولك يا حاج ...أنت تأمر ونحن
نلبي ... من يرفض نسبكم سوى الجاهل لشرف
أصاكم الثابت في عمق هذه الجبال كالوتد
...). لم ينتبه أحد لذلك التشنج الذي
أصاب الحاج المرابط، سوى إبراهيم الحفيد
الذي سعد بزلة الحاج عبد الله، وإن لم
يتعمدها، لكنها تخدم صالحه بين أكابر
المدينة. تهللت وجوه الرجال لموافقة الحاج
عبد الله، ليكملوا أحاديثهم عن موعد
الزواج، بعد أن صرح إبراهيم بعدم رغبته في

بيت آل عيسى ... في نفس الوقت ...

(لقد توسمنا فيك خيرا يا حاجة لكنك

خذلتنا ...). نطقها الحاجة نعيمة بغل

أجادت إخفاءه، بعكس التي تقبع جوارها تهز

رجلها بعصبية ترمي الحاجة بنظرات أخافتها

فقالبت بتوتر ... (أقسم لك يا حاجة نعيمة

لقد حاولت ... لكنه مصر على تلك الفتاة

.... وأنا لا أستطيع ثنيه على قرار اتخذه هو

وجده ...). تدخلت صباح تقول بحدة لم

تستطع التحكم بها ... (الحاج أيضا موافق

!...مهمم ... من تكون هذه كي تفضلوها

علينا ؟؟ ...). ... أسرع الحاجة مؤكدة ...

(لا شيء ... هي لا شيء ...). ضمت حاجبيها

بسخط تستطرد ... (لا أعلم كيف سأتحمل

سخرية النساء بسببها... لكنها رغبة

إبراهيم...). تناظرت صباح ووالدتها بغموض،

ثم قالت الحاجة بمكر وهي تسوي طرحتها

... (إن كنت ترفضينها ... تستطيعين طردها

من حياة ابنك ...). رمقتهن الحاجة بتمعن

تسأل بفضول ... (وكيف ذلك ؟؟) ... همت

الحاجة نعيمة بالرد، فأسكتتها ابنتها بربتة

خفيفة على فخذها لتقول هي بمكر أشد

... (قبل العرس يا حاجتة وسأخبرك

كيف تكرهين فيها ابنك كي يردھا

صاغرة.... تلك التي تجرأت على النظر الى

أسيادھا). لم تعجبھا نبرة صوتھا الغامضة،

لكنھا تصب في مصاحتھا، فهي الى الآن لا

تري ابنته آل طالبمناسبة لمكانته ابنا بكر

آل عيسى. أجفلت من سهوها على تحيتهما

يودعانها ويوعدانها بزيارات لن تنقطع.

.....

بيت آل طالب ...

تعهد ابراهيم التأخر عن الجمع وهم مغادرون

كي ينفرد بياسين فنظراته لم ترحه يريد

الاستفسار عن ماهيته نيتها (ياسين؟؟)....

توقف الأخير في لقاء منفرد كان يبتغيه هو

الآخر فاستطرد ابراهيم قائلاً (هل لديك

تحفظات على زواجي من شقيقتك ياسين؟؟)

.... استغرب سؤاله ذاك يتساءل ان كان فعلا

يهمه أمر موافقته، لكنه لم يطل ليحيب قائلاً

بجدية لكن مؤدبة... (لا اعتراض لدي على

شخصك ابراهيم فأنا أعرفك منذ الصغر

.... لكن....). تلكاً لثانية قبل أن يحسم

تردده مردفا....(لما شقيقتي بالذات؟؟)....

رمقه مقطباً يجيبه بالنقيض... (و لما لا

تكون؟؟؟).... ضم ياسين شفثيه العريضتين

برفض لجوابه فقال بانزعاج واضح....(أسمعني

إبراهيم.... شقيقتي فتاة...بسيطة....

صادقة عقلا و تصرفاتها أشبه بطفل بريء لا

يعرف شطارة أو مناورة.... و أظنك تعلم عن

لقب البلاء الذي أطلقه عليها قليلي النخوة و

الحكمة.... فلما هي بالذات يا إبراهيم

(؟؟).... صمت إبراهيم للحظة كأنه يفكر

جيذا في الاجابة ليقول بعد برهته، والآخر

ينفذ منه صبره....(أنت قلتها يا ياسين....

قليلي النخوة و الحكمة....و أنا لست منهم

.... إن كنت بالفعل تعرفني كما تدعي....

يجب إذن أن تثق بي). نظر اليه ياسين في

مقلتيه مباشرة يقول بحزم أصبغ عليه برودة

تشي بصدق تحذيره....(سأثق فيك يا

إبراهيم.... لكن احذر...إن آذيتها بأي شكل

لن يخيفني مركز عائلتك.... وسأواجهك

....مهما كانت العواقب...). ابتسم إبراهيم

بإعجاب يقول وهو يربت على أعلى ذراعه

....(أعدك يا ياسينسأحافظ على

شقيقتكإن لم أفعل فلا أستحق أن أتطلع

لمنصب أكون فيه مسؤولاً عن آلاف الناس

..... (تصبح على خير ...). هز رأسه موافقا يرد

التحية وقد اطمأن قلبه على شقيقته بفعل

نبرة الصدق التي وعده بها.

مرت الأيام تتوالى بسرعة أضحت ظاهرة في

زماننا هذا، و كأن اليوم ساعة، و الساعة

لحظة تعدو لتفرب بأعمارنا، تاركة لنا خلفها

ضاحكة ساخرة، من كل ضائع لها بلا ذكر

او عمل صالح، يقربه من ربه و يصلح به

آخرته. كل يجري على قدم و ساق للتجهيز

لعرس الموسم، عرس، العريس فيه مشغول

لدرجة عدم طلبه لرؤية العروس ولو لمرة

واحدة، ويبدو على الأخيرة أنها لا تهتم، بل

استغرقت بكامل طاقتها في دراستها و التجهيز

لامتحاناتها، رغم مضايقات زوجة والدها التي

لم توفر سبيلا الا واتخذته اهانة لها، فتعايرها

بإهمال حماتها التي لم تزهرهم ولا مرة، أو تبدي

الترحيب المعتاد في تقاليدهم، فتخيفها

متوعدة بحياة لن تهناً فيها تحت كنف بيت لا

الفصل الرابع

خير الأمور ما كان منها ضاحياً بيناً ، وإن
كنت في أمرين أنت منهما في شك فخذ
بالذي أوثق....المار مالك بن أنس.

آخر أيام الامتحان.... أمام المعهد ...

ترك عمله باكراً ليمضي آخر أيام دراسته
شقيقته معها. يُحزنه معاملة زوجته أبيه الجافة

تقبلها فيه صاحبته. لكنها دائماً ما تعود

صاغرة تتميز غيظاً ، في هدف لم تحققه.

فتلك الفتاة حق ، لا تهتم ولا كأن ما يحدث

من فوضى في المدينة بسببها أو حولها

.....فسبحان مقاب القلوب يقبلها حيث يشاء.

.....

لها. حاد تفكيره بعد تذكره لابن آل عيسى
الى موقف رب عمله المتوار خلف أحاديثه
المتوترة، الى أن رحمه و سأله بشكل مباشر
عن رأيه في الموضوع، حينها رمقه الحاج
زكريا بحنو لتفهمه، ثم أخبره بحقيقت
شعوره، بين عدم الرضى لموقفهم و تحمله
للذنب بسبب فعلت ابنته، مؤكدا له انعدام
علاقته له أو لشقيقته بما يشعره، بل العكس
تماما، فهو يقدره و لو كان رزق بولد لتمنى أن
يكون مثله. كان ليها باله بالكلفة لو لم
يسمع بالصدفة إحدى اهانات زوجته والده

ليس فقط مؤخرا لكن منذ صغرهما، لا يهमे
حاله على قدر ما يحزن لحال شقيقته. كانت
صغيرة جدا، فقدت حنان أم، و دفء أب، فلم
تغنم سوى بجينات والدتها، رحمتها بها من واقع
كان ليديرها. لطالما شغلت باله لتوقع
رجولته في مآزق بين حبه لها، و جفاء تربيته
ليتعذب من أجلها. لذا كان يخطط ليؤمن لها
عملا في مصنع المرابط ككاتبة له شخصيا ،
فتكون بجواره و أمام عينيه، لكن القدر
خُطت صحيفته بتصاريف أخرى، رمت بها بين
أحضان آخر شخص كان ليفكر فيه كزوج

لحق، تنتهم حمايتها بالتقصير في التقاليد و
الاهتمام المفروض بها تجاه عروس ابنه
البكر، حتى أنها لم تمن عليهم بزيارة واحدة،
ليعود الإحساس اللعين بالقلق يقض مضجعه
بهمومه. زفر بممل ساخط من أفكاره المضنية
مريحا رأسه على أعلى مقعده، فلمح شقيقته
ترافق فتاة ما تحاكيها و بسمته واسعة ترسم
على ثغرها، على غرار الفتاة رغم ابتسامتها
الخبلة إلا أن الحزن يصرخ من ملامحها
الباهتة. تجاوز دهشته من مشهد حق الباسم و
المستغرق في الحديث مع الفتاة، فهو لم يعرف

لها صديقات من قبل باستثناء أخته رواح، و
ترجل من سيارته متجها إليها لا ينكر السعادة
في قلبه، بسبب تلك البسمة التي يلمح
صدقها على وجهها البريئة ملامحه. ألقى
السلام فتجمدت كلتاها لسبب يخصها. حق
تفاجأت من قدوم شقيقها في سابقة لم يفعلها
من قبل، أما حفصة فقد تشنجت بفعل الخوف
تتلفت حولها كأنها عاقت وسط فعل فاضح.
تحدث ياسين دون أن يغفل عن رد فعلها
....(أتيت لأصحبك بما أنه آخر يوم دراسي
لك). عادت بسمتها الرائقة وهي تقترب

منه تجيبه بهدوء....(شكرا لك أخي إنها
مفاجئة حلوة....). ابتسم لها بسرور وهو يقول
بعد أن رمى صديقتها المتجمدة مكانها
والخوف جليا على ملامحها، بنظرة خاطفة....
(هل ترغب صديقتك في أن نوصلاها في
طريقنا؟؟.....). (لا...!!!). لم تتفاجأ حق على
قدر دهشة ياسين من رد فعلها المبالغ فيه،
ليباغتهم صوت رغب برودته يتسم بحزم ينم
عن غضب مكتوم.... (حفصة!!!؟؟). لم
يتخلص من دهشة ردها لتزيد بفعل اهتزاز
بدنها و شحوب بشرة وجهها، مسرعة الى جانب

ذلك الرجل الضخم الذي لفت انتباههم
أخيرا. استشف ياسين خوف الفتاة المرتعشة
جوار الرجل المراقب له بنظرات مريبته
مدققة، ليمد يده مصافحا وهو يقول بهدوء
لكن حازم....(أنا ياسين آل طالب شقيق
حق...). التفت يشير لشقيقته، فاكتشف
اختفاءه خلفه ليقطب بجديته، فيما ظهر
شبح ابتسامته على جانب ثغر الآخر بلؤم يشد
على يد ياسين.....(مرحبا بك ... أنا عزيز
زوج حفصة....). هز رأسه و لم يعقب سوى
بكلمات مقتضبة مودعا صاحبا شقيقته نحو

في سيارة ياسين ساد الصمت بينهما مختليا
بعقله و مشهد ارتعاد الفتاة من الرجل عالق
بذهنه، تنحج قبل أن يسأل شقيقته حين
وصل بذكراه الى لحظة خوفها وتواربها
خلفه.... (هل تلك الفتاة صديقتك لك
؟؟؟).... التفتت إليه كأنها جفلت، ثم هزت
رأسها بإبجاب ممتعض، لمح فعد يسأل بحرص
....(هل قابلته من قبل ؟؟).. هزت كتفبها
تجبب بتلقائبة....(أجل فهو يُقل حفصت
يومبآ ؟؟.... كلمبب مرة واحدة يسألني عنها
حين تأخرت في الحمامات).... أومأ متفهما فحل

سبآرته. تبعت خطوات زوجها تتضرع سرا لربها
السلامت و النجاة من غضبه، تعثرت فهمت
بالوقوع قبل أن يمسكها في بادرة من يراها،
يظنها انقاذ حنون من زوج محب.... (غببب!!)
.... لولا انتظار والدي لنا على الغداء لما
أجلت حسابنا). تاهت في جمودها المعتاد
تتمتم بخوف، وهي تغرس أطراف أصابعها
داخل ثنايا طرحتها السوداء....(أ.... أنا لم
...). ... (اصمتي و اركببب... كفى فضائح
....). همسها بغل مهددا فأطرقت برأسها
مستسلمت لقدرها و أحشآها ترجف بالكامل.

الصمت قليلا قبل أن يستفسر بشكل مباشر
....(ما رأيك أنت به؟؟)..... رمقته مقطبة ترد
بحيرة....(أخي؟ بما يهم ذلك؟؟).....
استغرب فضوله بالفعل لكنه فسر
....(لاحظت امتعاضك و كذلك خوفك
منه.... لذا....)....وصمت بعد أن رماها بنظرة
متسائلة. تنفست بعدم رضا مجيبة....(بعض
الأحيان..... قلب العبد لا يتقبل بعض البشر و
بدون سبب....ذلك الرجل يوقع في قلبي
الخوف و عدم التقبل..... لا أدري لما؟؟!!
....هكذا فقط)..... اكتفى ياسين بإيماءة

مؤكددة على كلامها، ثم ضغط على الدواست
تجاه وجهته.

.....

بعيدا عن المدينة بإحدى ضواحيها تحديدا
قرية معروفة بالفقر، و الأدهى بسوء سلوك
سكانها حتى سميت بقرية بئر السواد. تجتمع
مجموعة من المنازل المهترئة فيها ما ردم
النصف منها نظرا لهشاشة البناء، حيث أن
أغلبها مبنية من التراب. أمامها مباشرة المقبرة
الكبيرة للمدينة و يبدو أن الميتين هناك
لم يحضوا بالسكينة إن لم يكن بسبب

ضجيج لعب الصغار، فبسبب مشاحنات النساء أو

الشباب أو حتى رجال ذلك الحي، فمن أين

يتعلمون آداب المقابر إن جهلوا بأبسط آداب

التعامل فيما بينهم؟؟؟

أسرعت خطاها بعد أن خطت خارج أحد

المنازل الترايبية برفقتها أخرى تهمس بتحذير

....(يا فتاة أنا خائفة.....ماذا ان اكتشف

الحاج أحمد أو ابنه الأمر..... سيعاقبوننا نحن

.... لن يلوموا ابنتهم و كنتهم....). شدت

الأولى على كيس كبير بين يديها تجيب

بمكر.....(نحن لا دخل لنا..... نحن مجرد

خادمت.... أطعنا أوامر سيداتنا.... ثم أنا لن

أرفض المال....فأنا بحاجة إليه.... و أنت أيضا

لذا تقدمي بصمت....).

و خاضهما إثنتان على نفس الخطى و الدرب، إن

اختلفت الاجسام و الأعمار.....(يا أختي أنا

سأموت من غيظي.... يضربها و يذلها حتى لم

يقربها.... لكنه لا يريد أن يفارقها.... وأنا

أكرهها من كل قلبي....). أمسكت يدها

الأخرى تجيب بلأوم....(سنجرب هذه الخاطرة

.... يقول الشيخ أنها ستفرقهما لا محالة....

لأنها ستدخل جسمه....). ابتسمت الأولى

للمنزل عائلته....(دائما ما تقول نفس الحديث

... لكنني لن أصدق حتى أرى نتيجة الامتحان

بنفسي....). ...ضحك تعقيبا على جواب

صديقه ثم تحدث بدوره..(هيا عد بسرعة

....العرس سيبدأ بعد غد بإذن الله....)

علت ضحكته حين سمع رد صديقه ليقول

بمرح... (لم اشتق إليك بل الى خدماتك

منصف.... رجلي لاتزال مكبلتة بالجبس....).

خفت البسمة من على ثغره وهو يشعث خصلات

شعره السوداء بيده الحرة، قائلا بمزاح... (لا

مشكلتة سأعوض في السنة القادمة إن شاء

بشر متأملتة... (أجل سأدسه له اليوم في طعام

الغداء.... وسنرى النتائج....).

فعبجا كيف للإنسان أن يتعظ، وطريقه الى

الظلم عبدها خلف مقبرة يعلم يقينا بأنها

مصيره لا محالة، لكن من قال العمى عمى

البصر، بل الرؤى بصيرة لا بصر.

.....

بيت آل عيسى ...

حاد بالهاتف المحمول على أذنه الأخرى،

يهتف باسم بمرح، في الشرفة الأمامية

الله...فأنا لم أعد مستوى دراسي من قبل و
هو بالمناسبة عيب في حقي)... تزامن قوله
مع دخول شقيقه اسماعيل الذي أوما له بنظرة
لائمة، ليضحك من جديد مستطردا
....(فضحت نفسي طيبب النفوس سمعني و
سيلقي علي محاضرة اذهب و اكمل
أشغالك.... سأنتظرك غدا بإذن الله في
المطار....اعتني بنفسك).
تحدث اسماعيل يدعي التحذير...(عيب في
حقك ها؟؟).

رمى عيسى بهاتفه على المائدة الزجاجية ثم
ارتقى على إحدى الأرائك الحديدية قائلا
.... (من فضلك أخي كانت مجرد مزحة
ما كنت لأضيع السنّة و قد أوشكت على
نهايتها...))... (لهذا بالضبط سألك أخي
...لما؟؟.... و لا تتحجج بالكسور لأنها لم
تكن لتمنعك عن دراستك ...). تنفس
عيسى بقنوط ثم نظر إليه قائلا بتوسل تنضح
به ظلمتيه، فهو على علم بطرق أخيه السلسلة
و قد يبوح بكل ما يجول بخاطره، قبل حتى
أن يدرك بذلك، كفى به متهربا من شقيقه

أغضب إبراهيم الصامت على ماض من أجل
والدته. ابتسمت بثقة وهي تزيل نظاراتها
الشمسية، ثم تقدمت تجاهه برشاقة لا ينكر
أحد مدى جاذبيتها. بسطت يدها تقول برقة
....(كيف حالك اسماعيل؟؟...لم أرك منذ
مدة...).

للحظة وجيزة ظنت أنه سيخجلها، لكنه مد
يده وبالكاد لمس أطراف أصابعها وهو يجيب
بجدية تعمدها....(بخير الحمد لله عملي
يستحوذ على جل أوقاتي)... فردت قائمتها
الطويلة لتظهر في تلك الحلة الكريمة

الأكبر إبراهيم، علما بأن المحتوم قادم، و
لا بد له من التحدث في النهاية....(من فضلك
أخي....حين أكون مستعدا سأحدث اليك
بنفسي..... فقط ليس الآن).احترم رغبته
وقام منصرفا ليقف بقلب بيت عائلته، متفاجئا
بالضيقة التي ترمقه بنظرات جريئة تنم عن
مدى اعجابها. لم يحدث أن التاقها من قبل
سوى للحظات وجيزة، دون ان يعيرها أدنى
اهتمام، يلقي عليها تحية عابرة ثم ينصرف،
لكن بعد فعلتها أصبح يتجنب رؤيتها،
خصوصا وقد كثرت زياراتها ووالدتها، مما

بحجابها كعارضة أزياء محترفة، تقول بوله
ارتسم على قسماات وجهها الفاتنة....(صرت
أفكر جديا بزيارتك في عيادتك
معروف عنك البراعة في مجالك ...).
ابتسم ببرود يقول بغموض قبل أن ينصرف
....(أشكرك ...وقد تكونين فعليا في
حاجة لدكتور نفسي لكن لا أنصحك
بي لن يناسبك الأمر بالمرّة). صكت
أسنانها بغيض ثم انحنت قليلا تسحب الكيس
من خلف أحد المقاعد الجلدية المنتشرة في

البهو الكبير للمنزل. رفعت رأسها بتصميم و
خطت تبحث عن ضالتها .

أشارت الحاجة ميمونة الى ثوب مطوي بعناية
و مغلف بغطاء من ورق شفاف، سحبتة من
الكيس الذي سلمته لها صباح(ما هذا؟)
..... ردت عليها بتحذير تقول(لا تفتحيه يا
حاجة أمي حين كانت في الحج
جلبت معها ماء زمزم مقروء ... قمنا برشه على
عباءة سوداء يجب على تلك الفتاة أن ترتديها
ليلتها دخلتها انتبهى الي يا حاجة

أحرصى على ارتدائها لتلك العبله قیل أن

یدخل علیها ابنك أما هذه

القارورة....).... سحبت قارورة زجاجية بغطاء

من الفلين ثم استطردت(فيها الباقي من

الماء ... لترشيه في غرفتهما جميع أنحاء

الغرفة ... و خصوصا السرير....).... ضمت ما

بين حاجبيها الخفيفين البنين تسأل بريبت

وقد اختض قلبها وسط صدرها(لما يا

ابنتي؟؟).... ابتسمت الأخرى بلؤم تكمل

باقي كذبها المحبوك(كما أخبرتك

....ماء زمزم مقروء عليه كي يحمي ابنك

من أي سوء قد تجلبه معها ألا تعلمين

بكيد النساء؟؟... هؤلاء الغوغاء اللّه أعلم

بما يفعلنه كي يجذبن إليهن عرسان من عليت

القوم...)).... تنضت الصعداء لكنها قالت

على أي حال(على فكرة يا صباح

عائلة آل طالبعائلة أصيلة من أعرق

عائلات هذا الجبل... قد لا يصل ثراءهم الى

مستوانالكنهم يتميزون بأصل شريف ...

كما والدة الفتاة يقال عن عائلتهم من أصل

يمتد الى أحد الصحابة رضوان اللّه عليهم ...و

لا أظن بهم ما تلمحين اليه).... كادت صباح

أن تفقد أعصابها وهي تهتف دون وعي

متحصرة... (إذا كانت ذات أصل و فصل لما

لا تقبلين بها؟؟؟).... مصمست الحاجة شفتيها

من تبدل حال صباح تجيب بامتعاض(لأنها

لا تناسب أبني أتمنى له فتاة أكملت

دراستها الجامعية تشرفه أمام الناس

تعلم كيف تتحدث و كيف تتصرف بلباقة

.... و تلك الفتاة يقال عنها بلهاء....)....ضمت

شفتيها تكظم غيظها من تلك العجوز كما

تلقبها من وراء ظهرها ثم قالت تدعي

الهدوء....(إذن اسمعيني جيدا ... و طبقي ما

أقوله لك بالحرف و سنتخلص منها و لا

تنسي أن تعاملها بجفاء من أول لقاء كي لا

تدلل عليك ثم)..... أكملت

تتابع وصاياها و الشيطان ثالثهما، يشاهد باسمها

بسرور دون أن يعبئوا بالجبار من فوقهم .

.....

في إحدى مطاعم المدينة

ابتسمت برقة تقول بصدق ... (لو جلبنا معنا

روح لتكتمل سعادتني).... ابتسم هو

الآخر تأثرا لصدق احساسها فقال يعدها

....(أعدك أننا سنعيدها يوما بإذن الله

ثلاثتنا لم أرد إشغالها فلا يزال أمامها
مادتين في الدوام المسائي (...). أومات تدعو
بتضرع ... (بلى .. أدعو الله أن تنجح لتكمل
في الجامعة الجديدة ..). ... بردت البسمة على
ثغره اشفاقا، فحق من المجتهدين و تستحق
كرسيا في أفضل الجامعات، لكنها من
تحكمات والده و تقاليدهم البالية.... (إن
تخرجت بمعدل يؤهلها سأسجلها بنفسي إن
شاء الله ...). ... أجابت بسرور... (إن شاء الله
فليوفقها الله...). (أمين ..) أمن ثم استطرد
... (إذا أنهيت طعامك يمكننا الذهاب

للسوق كي نعود باكرا الى البيت ... رفعت
رأسها إليه تسأل بحيرة.. (سنذهب للسوق؟؟)....
علا الوجوم ملامحه يضرر... (أنت عروس و
المفروض تجهيزك بملابس تليق بك
.... سامح الله زوجة أبي لم تقم بواجبها كما
يجب ..). قطبت بسذاجة مدافعت ... (لا
تلمها أخي لقد رعتنا صغارا.... طبعها نزق
قليلا... لكنها بمثابة والدتنا ...). هز رأسه
بيأس يقول وهو يسحبها معه مغادرين ... (أجل
راعتنا هيا بنا).

مصنع آل عيسى

مسد المنطقة فوق أنه بتعب يقول منها
الاجتماع الذي طالت مدة انعقاده (الشحنات
يجب أن تصل في وقتها لكن التحليل
الأخير لم ينل اعجابي.... لذا سنبدأ بالمشروع
المؤجل) ... التفت الى أحد مهندسي
المعادن الموظفين لدى شركته مستطردا
... (الأراضي التابعة لنا في الجبل الأبيض...
جهزوها لنبدأ في الحضركي نرى مدى نقاء
الحجر فيها ...).

هز المهندس رأسه قائلاً ببعض التوجس (و

ماذا عن الأمن سيدي؟؟ ...أنت تعلم

...عن...). رmqه بحزم يماثل الذي في نبرته

قائلاً (لا تخف لقد بلغت الدوريات

.... سنؤمن المكان قبل البدء ..).

انفض الجمع فالتفت الى قهوته يرتشف منها

سأهما، يعلم أن ما هو مقبل عليه قد يكلفه

الكثير. لكن الأوان قد آن لكل جرح أن

يندمل، خاصة إخوته ووالدته التي مهما

أنكرت مدى ألمها كزوجة او امرأة، فهي

أكثرهم تضررا إن كان في كرامتها أو قلبها.

وعى من سهوه على رنين هاتفه ليجيب من فوره

....(ياسين....كيف حالك؟؟....)....أنصت

إليه ثم قام من مكانه يجيب وهو مغادر

لمكتبه.... (جيد.... أنا قادم... أجل أعرفه

الى اللقاء).... دس هاتفه في جيب سترته،

يفكر أن مقابلة عروسه قد تأخرت كثيرا

لكنها واجبت قبل العرس.

.....

منزل والدة عزيز.....

يتناظرن فيما بينهن في انتظار عزيز ليبدأ في

تناول الطعام الذي بدا لهن و كأنه لم يرق له،

فحفصت تراقب صمته برعب، عدم تناوله

للطعام له معنى واحد، أنه في منتهى الغضب.

أما والدته وخالته في واد آخر لا يهمهما سوى

أن يملئ يده من الثريد اللعين و يأكل.....

(إيطو!!...يا إيطو!!...)..... رفع عزيز رأسه

يسال والدته....(ما به أبي؟؟... هل تناول

غداه؟؟).... سارعت والدته بالإجابة

....(طبعا بني لقد أكل.... لا تشغل به بالك

أنت أعلم بحاله).... هز رأسه وعاد الى

اللعب بطعامه لا يعلم ما به حائر ضائع،

يتخبط بين جنبات الظلمات، حتى من اختارها

بنفسه لم يستطع لا حبها ولا كرهها. لما

يضربها؟؟؟ لما لا يعتقها؟؟؟ لما كل مرة

ينتهي بإذلاله لها وضربها؟؟؟. يعلم أن لا مفر لها

منه فيتعمق في محاصرتها، يرغب بها لكنه لا

يستطيع أن يقربها، أي جحيم يسكنه، أي

حياة بائسة يعيشها. ابتسمت خالته بمكر

داهية تقول بأشفاق مزعوم ... (بني ألم

يئن الأوان بعد لتنجبا ولدا؟؟؟ أظن أن

حفصة الآن قد أنهت دراستها ولم يعد هناك

مانع). شحبت حفصة فيما تظاهر عزيز

بانهماكه في الطعام، فابتسمت هي و شقيقتها

بنصر لتزيد والدته الملح على الجرح الغائر

....(ابني رجلو سينجب بدل الولد دزينة

..). رمى الملعقة من يده و قام يهتف وهو

منسحب(سلامت يداك أمي هيا حفصة

سنغادر!!).... انتفضت حفصة تجري خلفه

برعب رج أحشاءها، فقالت حماتها بعد ان

تأكدت من رحيلهما(ألم أخبرك؟؟!!)....

سيقتلها لكن دون أن يفارقها أقطع ذراعي

من كتفها ..إن لم تكن سحرت له)

ضمت شقيقتها شفتيها تحركهما بتهكم

تجيب (لا سحر ولا شئى الفتاة تكرهه

وتخاف منه حد الموت كل ما في الأمر أن

ابنك لم ينالها بعد.... أظننا لو تركناه

يُشبع منها رغبته لكان أهملها و سهل تفريقهما

منذ زمن). جعدت ذقنها ترد بتصميم

....(سيتركها شاء أم أبى و لن يتزوج سوى من

ابنتك كما أردت منذ البداية)

.....

في مطعم ما ...

تحدثت بتعب بدأ يتحكم بقسمات وجهها

السمحة ... (أخي ألم تنتهي بعد؟؟ لست

جائعة ...أنا فقط تعبت)... ابتسم لها يرد

....(هناك من يريد مقابلتك قبل الزفاف...).

قطبت ترمقه بحيرة ليقف باسمها بثقت

لمجهول. التفتت لتتعرف عن هويته لتصطدم

بمقلتين بنيتين ، لامعتين بإصرار عجيب

حادتي التركيز. انقطعت أنفاسها من شدة

الحياء و المفاجأة فأحنت رأسها وعادت خطوة

الى جانب شقيقها ، ابتسما الاثنان من فعلتها

وان تجاهلا الأمر، حين سحب إبراهيم

الكرسي أمامه، وجلس، فعل ياسين مثله عائدا

الى مقعده لتتبعه هي الأخرى مقربة كرسيتها

من أخيها.... (كيف حالك إبراهيم؟؟...)

تحدث برزانة لا يعلم ماهية تلك الراحة

التي تسلس الى صدره من رؤيتها و شقيقتها أيضا،

كأنهم منطقة آمنة بالنسبة له لا توقعات

سيئة.... (بخير الحمد لله....شكرا لك

...). تنحج ياسين بحرج يقول

بهدوء....(سأكون بالقرب....). هم بالوقوف

فأمسكته من ذراعه ترمقه باستجداء صامت،

وقع في قلب الآخر كم الضعف و الحياء في

مقلتيها، تكاد لا تكون فيهما ميزة سوى

سرها الغامض. التفت ياسين الى ابراهيم الذي

قرر رحمتها من مخاوفها قائلا... (ليس ضروريا

ياسين... على كل حال ما أريد قوله ليس سرا

.... فنحن لم نتزوج بعد وهي محققة....). لم

ترفع رأسها بينما ياسين يسترخي على مقعده

من جديد، ليستطرد ابراهيم يقول بجديتة

لكن بنبرة هادئة برزانة....(أردت رؤيتك

اليوم كي نتفق على مجموعة من الأمور

أعتبرها أساسا هاما في حياتي.... وأظن أنك

لن تستصعبى أغلبها إلا أنني أردت التوضيح
منذ البداية....). تنحج حين رمقها جامدة
على إطرافها، فلمسها ياسين بطرف كوعه
لتنظر إليه مستفسرة، فيشير لها الى الآخر.
رطبت شفثيها بلاوعي وأومات له موافقة
فاستطرد بصبر يحسد عليه....(عائلي خط
أحمر.... كما ستكونين أنت أيضا....)
استولت ملامح الرضى على قسمات وجه ياسين،
مما شجع الذي أمامهم ليسترسل في حديثه
....(جدي و شقيقي لا مشاكل متوقعة منهم
.... هي فقط والدتي لها تصرفات اعتبرها

طفولية في أغلب الأحيان.... لأنني متيقن من
بياض قلبها.... لذا سأطلب منك تحملها.... و
سريعا ما ستألذان بعضكما....) بقيت على
صمتها فقال ياسين بتأكيد....(لن تواجه
مشاكل من ذلك النوع مع حق....صدقني....
بل الأجدر أن أطلب منك أنا أن تحميها من
الناس).... أجابه ان لم يفهم المغزى بأكمله
....(وعدتك من قبل.... و أنا رجل أحافظ
على كلمتي....) ابتسم ياسين بمجاملة
فقال ابراهيم يقصد حق، يود لو ترفع رأسها
ليتأمل الفتاة التي ستصبح زوجته شريكة

نظر تجاهها مرة اخيرة ليجدها تتوارى خلف
شقيقها من جديد ، فزفر بخضوت وهو مغادر،
جاهلا لأي سبب يجعل تلك الحركة مستفزة
لرجولته.

.....

بيت حفصة وعزيز

ما إن فتح الباب حتى همت لتفر من مصيرها
المحتوم، إلا أنه أمسكها من ذراعها متوقعا
تصرفها الساذج، يهتف بغضب عارم(كله
بسببك.... أنتِ جحيم ... بل لعنتي ...)
تكمشت على نفسها تهمس برعب عارم

حياته، لكنها في كل مرة لا يلقى منها سوى
لمحة عابرة، فسريرا ما تطرق برأسها حياء....
(هل تودين قول شيء ما ؟؟).... بلعت ريقها ثم
سألت بنبرة تكاد تسمع(هل تصلي ؟؟) ...
سأل ابراهيم ليتأكد من سؤالها

... (ماذا؟؟؟).... فسارع ياسين المندهبش بدوره
مؤكدًا(أجل حق إنه يصلي لطالما
رأيتَه في المسجد ...). تمكن ابراهيم من
تمالك دهشته منتظرا لسؤالها الثاني لكنها
اكتفت بذلك، فقام مصافحا ياسين يقول
باطف(فليقدم الله ما فيه من خير)
.....

الزرقرة بشرة وجهها، ليطلق صراح عنقها دون
ان يطلق جسدها. شهقت بحدة لتملى رثتها
وبدأت بعدها بالسعال، اقترب منها لتختلط
أنفاسه الساخنة من لهيب جحيم أحشائه،
بأنفاسها المتلاحقة فتشعر بغثيان يرج
بدنها..... (أي سحر ألقيت به علي يا ابنة
الدباغ لما لا أستطيع لا تركك ولا
قريبك ... إن عشت في جحيمك فسوف
تشاركينه معي يا زوجتي العزيزة) ... لم
تكذ ترفع رأسها اليه مستفسرة حتى تلتقت
صفتة رجت بدنها ليلقي بها على الأرض، ولم

... (أتوسل اليك إن كرهتني ... فقط طلقني
ولن ترى وجهي مرة أخرى...). ابتسم ببرود
ساخط يرد وهو يشد على رقبتها من فوق
طرحتها (كي يتهموني بالعجز لم أكن
يوما ولن أكون وسأنا لك يا حفصة مهما
فعلت). أغمضت عينيها بحزن وقهر تهتف
من قعر قلبها المكالم... (أقسم لك برب
العزة لم أفعل شيئا أتوسل اليك
اعتقني لوجه الله) ظن أنها لازالت تطالب
بحريتها، فشد على قبضتيه أكثر لتقطع
أنفاسها، فلم يعي على ما يفعل بها حتى علت

لم تكن المعنية حاضرة إذ تركت كل شيء

لتقضي فرضها، ولم تلق لها مجيبا غير

والدتها التي تجاوزت مرحلة الصدمة إلى

مرحلة الحقد ... (هذا كثير جدا عائلتي

زوجها ستحضر لها ثياب حسب التقاليد ... ماذا

ستفعل بكل ذلك؟؟....) رمقها ياسين

بنظرة فهمت مدى خطورتها رغم نبرته الهادئة

نسبيا(كل ثيابها توظب في الحقائق

الجديدة..... و تبعث معها ومع ثياب أهل زوجها

ليلة مغادرتها) ... هزت ميمونة رأسها

تكتم غيظها، بينما ابنتها لازالت تتفقد

يكتفي، بل أجهز عليها بغل يركلها في

بطنها، و جانبها لا يرى أمامه سوى خيباته

معها

.....

بيت آل طالب ...

هتفت رواح باسمته بسرور وهي تفتح الاكياس

الكثيرة، التي دخلوا بها مساء تحت أنظار

ميمونة المصدومة وزوجها الغير مهتم،

....(ذوقك رائع يا أخي أنها أثواب راقية

....تناسب البيت الذي ستزف إليه حق ...)

بواحدة حانية، بينما ضاع تبره ميمونة بين

لمسات الحرير على بشرتها.....

.....

بعد يومين ...

وبدأت الأيام الملاح، عرس يليق ببكر آل

عيسى. أسبوع كامل تذبح فيها الذبائح

وتجتمع القبائل من كل القرى والضواحي،

ليباركوا لعائلة اعتبرت من أصحاب الشرف

عبر قرون من الزمن، فلم يخسروا هيبتهم رغم

العثرة التي مرت بها يوما ما مضى.

الأكياس بسرور صادق من أجل أختها، التي

انضمت إليهم تشير الى بعض الأكياس

الجانبية تقول....(هذه الأكياس من أجلك

و من أجل أمي ...)(حقا!!؟؟).... نطقتها رواح

بلهفة وهي تتلقف الأكياس وتسحب الأثواب

تتأملهم بضم مفغر. نظرت الى والدتها المتبرمة

تتدعي عدم الاهتمام تقول... (أمي إنها أثواب

فاخرة)... وضعت واحدا بين يديها ثم

التفتت الى أخيها تستطرد بامتنان.... (شكرا

لك أخي إنها رائعة...)(... بادلها البسمة

مغطاة بالكامل كما تقتضي عاداتهم، إلا أن

أغلب الأجيال الأخيرة أصبحن يقلدن عادات

مناطق أخرى، في أزيائهن و تبرجهن كما لا

يرضين بغير أزواجهن ليلبسوهن

الذهب،....(تفضلي حاجة إيّجّة ارفعي

الخمّار عن العروس لتريهاو ألبسيها الذهب

....)تحركت الحاجة تبتسم رغما عنها،

تشعر بالفرح لزفاف ابنها، ثم انحنت ترفع

الخمّار الأبيض الرفيع فوق وجهها، بعد أن

أرخت جوانب الخمّار الأبيض السميك الذي

يلتف حول بدنّها إلى أعلى رأسها. شهقت

توسطنها النساء يطلقن من حناجرهن زغاريد

تهز الأرجاء، حاملات معهن الهدايا من ثياب

العروس ومستلزماتها. كي يلبسها منهم

ويرافقنها وهن مغادرات الى بيت زوجها. فكان

في استقبالهن نساء آل طالب و جيرانهم و

أحبابهم كما عائلته والدة حق وياسين،

استقبال كريم كما اقتضت العادة بأفخر

أنواع الحلوى و التمر و الحليب، و بخور من

طيبة مدينته الحبيب عليه أفضل الصلاة و

السلام. سحبنها إحدى النساء لتلتقي بعروس

ابنها وتكمل باقي التقاليد. تفاجأت بالفتاة

بخضوت مأخوذة بذلك النور الذي شع من

ملامحها البريئة، لم تكن مزينتة بأصباغ، بل

جل ما وضعته، كحلا عربيا و سواك. لكن

وجهها اكتسب جمالا برونق حياءها و السر

الإلهي، يمدده لعبادٍ خصهم بمحبته فيوقع لهم

قبولا في قلوب البشر.(مبارك عليك

...). نطقتها الحاجة بلاوعي وهي تلبسها خاتم

الزواج و السلسلة مع السوار، فتتأمل لون الحناء

الأحمر اللامع على بشرتها، ثم وضعت لها

نقاطا حول وجهها من الزعفران الممزوج بماء

الورد، لتكتمل صورة الحسن في بهاء. التفتت

الى احدى قريباتها فتناولت الخف التقليدي

(الشربيل)، هديتة من ضمن هدايا زوجها

وألبسته لها كي تخرج به من بيت أبيها لاحقا

عند نهاية الأمسية، وطرحته حمراء خاصة

من الحرير تلف حول رأس العروس بطريقتة

خاصة... (القطيب).

أجلسوها الى جانب كنتها العروس بعد أن

أنهت التقاليد، فاندهشت كيف تأثرت

بالبساتة، لتتذكر حديث صباح عن كونهم

قد ياجؤون لطرق كي يسحرونها بهم، عبست

تشكر ربها الغافلة في سرها لكونها طبقت

لفرحهم و يشاركهم الغناء الشعبي، اذا تذكر
بعض الكلمات كواحدة تعتبر من أشهر شعر
الزجل في مدينتهم.

تَاغَايْجَمَا تَغْفِيْنْكَ... أَيْدُونِي... أُوْرِيْدُوِي الْهَم
أولاً لدواتي...

الشوق ما جلبني اليك يا أخي... ما أتى بي
هم ولا عداوة....

سائر تعليماتها، حيث رشت غرفة نوم ابنها
بالماء المقروء على حد علمها، كما تتوعد
بتطبيق الباقي من اتفاقهما. أفضت من
تفكيرها على أيدي بعض النساء يسحبنها
كي تشاركهن في الرقص على الأهازيج
الشعبية.. (أحواش).....

في الجهة الأخرى يجتمع الرجال حول
العريس، بعد أن عقد القران. يضحكونه و
يسحبونه باقي الشباب كي يشاركهم
الرقص، فيقف بهيبة مجاملة لهم، يبتسم

يهز الحاج زكريا رأسه بمجاملت كل حين
للرجال حوله، ثم يعود الى المشهد أمامه
متحسرا على شاب كان يتمناه لابنته الغبية،
كان يعلم أنها ستكون بأمان معه لأنه رجل
بحق، انتقل بصره للشاب الآخر الذي جاور
شقيقه يسانده في وقفته المهيبة، لتتحصر
أفكاره في اتجاه بدأ يشغل باله مؤخرا،
متعهدا لنفسه بأن يحاول بكل جهده اغتنام
الفرصة الباقية، فهل سيمهله الزمن حتى
يجمع أطراف الحكاية الجديدة؟؟.

غير بعيد عنه الحاج ابراهيم يجلس متوسطا
كبار المدينة، بأوداج منتفخة ومقلتيه تزخر
بالفخر لأحفاده الشباب، يرمقهم غير متجاهل
لذلك الألم في عمق أحشائه متذكرا يوما
كان فيه بكره يقف نفس موقف أولاده
بهيبة وفخر، يونس ذلك الاسم الذي حُفر
بالدمع لوعة في كبده، ليبقى ذكراه مرارا
يفيض به اللعاب على طرف لسانه. نفض رأسه
من ألم الذكرى، وقام من مكانه ينضم الى
أحفاده ليس مجاملا فقط، بل بدافع السعادة

والسرور. لتنطلق الصيحات و التهليلات مساندة

له.

.....

بيت عائلة حفصة ...

تنهدت بألم وهي تحاول الجلوس، حين دخلت
والدتها الى غرفتها التي أصبحت تحتلها شقيقة
أخرى، تقول بتوسل(أرجوك ابنتي تحاملي
على نفسك ...والدك يريد حضورك حالا
...).. رمقتها بعتاب تشبث بمقلتيها منذ أول
خيانتة ممن اعتبرتهم دائما سندها ... (بل

أرجوك أنت يا أمي أنا لن أعود له فليقتنع

أبي ...). ... شهقت والدتها تقول بجزع... (ماذا

تقولين يا ابنة بطني؟؟ ... ستفضحين نفسك

... طلاق بعد سنت واحدة من الزواج ... ثم

والدك سيقتلك قبل ان تحسلي على الطلاق

.... هداك الله ابنتي ... هيا قومي ...). ... بلعت

المرار في حلقها تقول ساخرة ... (سنت؟؟؟؟ ...

بل عمر بأكملة... أنا أعيش معه في جحيم لا

يحتمل لما لا تشعرون بي؟؟ انه يضربني

يحتقرني ... ماذا تنتظرون؟ ... أن أعود جثة

هامدة؟؟ يا ليتني أموت و أرتاح ..). ... شهقت

ببكاء فدمعت عيني والدتها بحسرة وحزن
على ابنتها الوردية المتفتحة المزهرة، قبل ان
يوقعها النصيب بين براثن من لا يرحم،
ليكون قدرها مشابه لما تعيشه هي من جفاء
زوج لا تعرف الرحمة الى قلبه سبيلا.
....(حفصة!!!) ...نحن ننتظرك ... الآن ...).
سلمت أمرها لله وقامت من مكانها دون أن تقبل
مساعدة من والدتها، فقد فقدت كل ثقة
بأهلها من تخاذلهم، تعلم جيدا ما سيحصل
بعدها، في مشهد متكرر منذ أول مرة يضربها
بشكل مبرح، فتسرع ما إن تستطيع الحركة

الى بيت أهلها، وبدل ان تجد الحنان و السند،
تسمع محاضرة من والدتها عن الزوجة الصبورة
و كلمات موجعة من والدها. ما إن لمحته بقعر
بيت عائلتها بجانب والدها جالسا بتبختر يضع
رجلا على رجل، حتى تذكرت ضربه لها. لم
يعتقها سوى حين هجمت عليه نوبته غثيان
ليسرع الى الحمام يُفرغ ما في بطنه، وكان
آخر ما لمحته قبل أن يغمى عليها، هو ممسكا
ببطنه متنهدا بألم. استيقظت بعدها لتجد
نفسها في نفس المكان على الأرض، تحاملت
على ألمها ولم تجده في البيت ففرت الى بيت

أهلها، مع أنها على علم بعدم فائدة فرارها.

ابتسم بسماجة تضيف الى بشاعته الكثير

فتشمئز منه نفسها ليزيد كرهها أضعافا و

أضعاف... (كيف حالك حفصة؟؟) ... لم

تجبه بل أطرقت برأسها غضبا تحكم بها من

جراته، لينتفض بدنها من هتاف والدها

الساحط.... (أجيبني زوجك يا عديمة التريية

!!).... نظرت الى والدها فقالت بلوعة... (كاد

أن يقتلني بغير وجه حق كيف يسألني

كأنه لم يفعل شيئا؟؟).. ... اتسعت بسمته

الماكرة ووالدها يشير اليها مهددا... (بغير

وجه حق يا عديمة الحياء... كيف تقفين مع

شقيق صديقتك و تضحكينه دون حياء

.... ألا يكفي أنه سمح لك بإنهاء دراستك

؟؟.... لو كنت مكانه لكسرت أضلعك

(....).... شهقت حفصة بصدمة ثم نظرت اليه

يتحداها ان تنكر، همت بالدفاع عن نفسها

فقاطعها والدها قائلا بحزم.... (قومي الآن مع

زوجك... واحمد الله أنك متزوجة....

فالناس يتمنون ظفر الرجل ولا يجدونه....

كفي عن المشاكل إلا كنت أنا من يعيد

تربيتك.... هيا !!). عضت شفتها بألم

تكتّم غيظها من ظلم استبد بها، والسبب
أقرب الناس إليها، فاستسلمت تستجير بالله في
سرّها، أملها الوحيد ولولاه لكانت أنهت
حياتها بيديها.

بيت آل عيسى

لم تفارقها الى أن ادخلتها الى غرفتها ثم
حرّصت عليها بنبرة تغيرت رقتها الى غلظة
....(خذي هذ العباءة ارتديهاولا تغيرها
....اتركيها عليك الى الصباح ...

فهمتي؟؟).... هزت رأسها من تحت خمارها
فأشارت لها الى باب ما تردف... (اذهب هناك
....إنه الحمام ...غيري ثيابك هيا!!) ...أنا
ذاهبة للاهتمام بالضيوف ...). التفتت
منصرفاً، لكنها تراجعت وأخذت شيئاً ما لتهت
به لثانيتها، ثم استأنفت خطواتها مغادرة....
تنفست حق تحاول تمالك أعصابها المتوترة،
ليس من نبرة حماتها الساخطة فهي معتادة
على نوع المعاملة من زوجة والدها، لكن
جهلها بما هي مقبلتة عليه يثير أعصابها
الهادئة دائماً. أرخت إزارها الأبيض ثم نزعته

ووضعتة على السرير بعدما طوته. تفقدت
المكان حولها فشعرت بغربة نشرت القشعريرة
عبر اوردها الدموية، لذا قررت تجديد
وضوئها كي تصلي لربها، علها تُهدى ونساً في
مكانها الجديد. غيرت ثيابها وارتدت العباءة
رغم نفورها من القماش ورائحته، لكن أن لها
أن تعصي حماتها. هزت كتفها بإهمال وأعدت
الثياب المطوية الى الدولاب، بعد أن تفقدته
هو الآخر لتتأكد من الجانب الخاص بها.
لمحت السجادة وفردتها الى القبلة ثم كبرت.
مع نهاية صلاتها الخاشعة استعادت هدوءها

بكامله، لكن المكان حولها أصبح باردا
لتظل على القشعريرة، من برد المكيف.
بحثت عنه لتتأكد من ظنها فعادت تبحث عن
آلة التحكم به. جمدت مكانها لبرهة
تفكر بعدما يئست من ايجاده فقررت التدثر
باللحاف. اندست تحته دون أن تنزع طرحتها
الحمراء، تحتمي من البرد. تكومت على نفسها
تستجلب الدفاء لجسدها، تتمتع كعادتها
بالذكر حتى غفت بهدوء.

.....

في مكان مابين الجبال .

أمام بيوت منحوتة من الجبال ككهوف
لكنها أكثر عصرية، تعقد جاسته يتوسطها
كومة من الخشب تشتعل نارا كي تنير
العممة من حولهم(سمعت أنه سيتشرح هذه
السنةوهناك احتمال كبير بفوزه)....
نطقها أحدهم ليقول الآخر مقاطعا(هل
تعلمون ماذا يعني ذلك؟؟؟... سيفتح علينا
العين...)... تدخل آخر مؤكدا بسخط...
(ابن المرابط لم يكن يهمله سوى خدمة اهل
المدينة كي يثبت لنفسه أصلا و أساسا متين

....لكن ابن آل عيسى لا يحتاج لذلك

...سيفتح علينا أبواب الجحيم ...)... تعالت
الصيحات بالسخط ليحل عليهم الصمت حين
انضم اليهم رجل في أواسط الخمسين، قوي
البنية، قاسي الملامح يرمقهم بعبوس فهتف
أحدهم مدافعا ... (سيبدأ الحضر في الجبل
المجاورإنها من أراضيكم ... كيف تسمح
له بنفيك من حياته؟؟؟ ...أنت والد...)...
صمت حين رفع يده مشيرا له، ثم قال بقسوة
لمعت به ظلمتيه ... (أليس عرسه الليلة؟؟؟....
فلندعه يهنئ بعروسهوسنرى...).

بيت آل عيسى

استقبلته والدته بالزغاريد وهي ترمقه بفخرو
إعجاب في حلتة التقليديّة، جلباب أبيض
ناصع عليه عباءة رجاليّة مفتوحة (السلهام)،
وخف ذهبي في رجليه (الباغّة)....(مبارك
عليك ولديحماك الله من العين
الحسودة ..)... قبل رأسها يشكرها ثم انصرف
الى غرفته. التفتت الحاجة إيّجّة لتجد صباح
في وجهها تسألها باهتمام ... (هل فعلت كما
اتفقنا عليه؟؟) ... هزت رأسها بتأكيد
فابتسمت الأخرى بمكر تسحبها من يدها

قائلة بغنج.... (تعالى كي نرقص مع

النسوة...)

فتح الباب فلفحته النسومات الباردة، ارتجف
قلبه لا يعلم ريبته أم ترقبا، تقدم وعينيّه
تسبقه فهناك من يشاركه غرفته خلوته،
ولم تعد له وحده. لمح الكومة الضئيلة تحت
الفراش فابتسم رغما عنه يهمس لنفسه،
... (طبعاًفقد خلقت البرد في عز
الحر....). ... بحث عن آلة التحكم وحين يئس
من إيجادها، اقترب منها مترددا أيوقظها أم لا
!..بالكاد لمح وجهها، لا يظهر منه سوى

الأنف الصغير فوقه مقلتين منسدلتين، وسط
طرحته حمراء، ليتذكر مستطردا بنفس
همسه... (لازلت تحبين الأحمر...). ضم
شفته مضكرا كيف يوقظها كومة الثياب
تلك. عاد الى الخلف تجاه خزانة الملابس،
فنزح عنه السلاح ثم فتح أحد أبوابها محدثا
ضجة كي تستيقظ لحالها، فبرد المكيف
قد يصيبه بالمرض. ارتدى منامته وأغلق الباب
بحدة، أنتفض لها بدنها فندم فورا من فعلته.
رفعت رأسها وتجمدت للحظة علم أنها تحاول
تذكر المكان، تلفتت حولها وأجفلت حين

وجدته أمامها فأوماً يقول بهدوء.... (أنا آسف إن
أخفتك...). رمقته ببلادة ترمش بجفنيها
بينما شفثها مفرتين قليلا، ...كتم
ضحكة ألحت على صدره وتنحج
مستطردا... (أين آلت التحكم في
المكيف؟؟... المكان بارد....). أطلقت
سراح أنفاسها وانتفضت قائمة، ثم توقفت
مكانها تطرق برأسها ترد بخضوت.... (لا أعلم
أين هو!!...). ... تأمل هيئتها مستغريا من
عباءتها السوداء، لم يتوقع قميص نوم، لكن
على الأقل منامة بيضاء أو أحد القضاطين

التقليدية البيضاء، أي شيئ أبيض. (لست

من قام بتشغيل المكيف؟؟؟)...

أومات بسلب وهي لاتزال مطرقة، فسأل ما شغل

باله عن المكيف، (لما ترتدين الأسود؟

؟؟) ... نظرت إلى ثوبها بعبوس فاستطرد دون أن

يمهالها (أنت أيضا لم تحبيه لما ارتديته

إذن؟؟؟).... أراد أن يفهم سبب ارتداءها

لذلك اللون بالذات، يخشى إجابة تضيئه.

لكنها فاجأته حين ردت بخضوت وهي تتهرب

بمقلتيها حياء.... (أستحي من أن أرد هديته على

صاحبها). ...قطب بحيرة وسأل مقترب

منها بخطوة... (ومن أهداك هذه العباة؟؟)...

في تلك اللحظة نظرت إليه فنفذ الى صدره

صدقها، ليس جمال عينيها فهي عادية وان

أضاف إليها الكحل بهاء، وليست تلك الملامح

الصغيرة المتسمتة بالبشاشة و السماحة، لكن

الصدق ينضح من مقلتيها، بل من شفتيها

المتحركتين بروية وهدوء.... (أمي إيجت)

أهدتنيها وطلبت مني ارتدائها). ضيق

عينيها تفكيرا، لكنه قال وشبح ابتسامته

ماكرة يتسلل الى جانب ثغره....(تنادينها

بأمي؟؟؟).... رمقته بتساؤل وكأنه سألها عن

شيئ مسلم به فهمس لنفسه....(آه منك يا
أمي....و أنا الذي ظننت انك سلمت للأمر
الواقع..... ستظل تصرفاتك طفولية (....)....
اقترب خطوة أخرى وهي لاتزال تنظر اليه
بحيرة، فقالت وهي تتهرب من قربه الذي
أربكها....(هل سنصلي؟؟؟).... أوماً وابتسامته
تتسع رويدا، فأسرعت الى الحمام وغابت
للحظة، ثم عادت متوجهة الى السجادة
تفردها. صلى بها وهو يكاد يرتعد من البرد،
ثم التفت إليها فوجدها تحني رأسها تجاهه
فمد يده يتلو الدعاء....(اللهم ارزقني خيرها

وخير ما جبلت عليه....وقني شرها وشر ما
جبلت عليه....)....فرت من تحت يده وانشغلت
بجمع السجادة، وهو مراقب لحركاتها
المتوترة، فقال بمكر متأملا لها....(ماذا
سنفعل بشأن هذه العباءة؟؟؟).... تعلمين
؟؟؟).... جمدت مكانها من جديد ترمقه
بفضول، فاستطرد بجديته.... (بعض الناس
تعتبر السواد شؤم...)... ابتسمت بخفة
فتعلقت أنظاره ببسمتها، وهي تجيب بتلقائية
....(لكن المؤمن لا يتشأم...).... أوماً باسمها
ببعض الحرج يقول مؤكدا....(أجل.... أنت

اجل الإثنين معا..... العباءة و البرد).... حدقت

إليه مقطبة بفضول فالبرد نشر الرعشة في

أحشائها، لتجده يندس تحت اللحاف يتدثر به

جيذا. نظر إليها فرفع اللحاف يدعوها برقة

غريبة عليه، لكنه مهما بلغت به قسوة

الطباع، لن يخيف تلك الفتاة الضعيفة فهو

أبدا ليس بوالده كي يظهر قوته للضعيف....

(تعالى قبل أن تمرضى من البرد).....

تأملته لبرهة ثم استسلمت لإغراء الدفاء، دون

أن تتخلص من التوتر، لذا ابتعدت عنه الى

طرف السرير بينما تحاول إحاطة نفسها

محقة يا حق بلعت ريقها وارتبكت من

تأمله لها، فتهربت من جديد بعينها يكاد

التوتر يفتك بأعصابها، تعترف لنفسها ان

الموقف ليس أبدا بالسهل. ضم ذراعيه الى

صدره يعيد نفس سؤاله السابق (ماذا

سنفعل بشأن هذا البرد؟؟).... نظرت إليه

تجيب بجديته(أحضر آلت التحكم او

أزل القابس من مكانه ...). تذكر القابس

فنظر الى مكان المكيف ليتذكر علوه،

كما تذكر مكر والدته لذا ضحك وقال

متجها الى السرير....(بل لدي فكرة أفضل من

ذراعه ليضمها برويته. أجفلت من حركته
لكنه همس لها بأمر لتهدأ فهدأت، لتستكين
على صدره بتشنج أعقبه استرخاء حين تبت
على حركته دون تطور. منحها لحظات
لتتمالك أنفاسها المتسارعة، مغتمة الفرصة
ليشم رائحتها، لكن الطرحة حالت دون ذلك
رغم أن ما اشتق منها هي رائحة المسك التي
تدهن بها الطرحة الحمراء، قبل ان تلبسها
الحماة لكنتها، تحرك بعد أن هدأت وضمها
اليه أقرب كي يشعر بها. لاحظ متمها

باللحاف جيدا. استلقى ابراهيم مكانه ينظر
اليها بين الفينة والأخرى، وتسليته مرحمة
غمرت صدره من تصرفاتها الساذجة، فقال
بمكر أجاد إخفاءه.. (إن اقتربت أكثر مني
....سيحاوطك الدفاع سريعا.... جربي ولن
تخسري.... أنا زوجك كما تعلمين.... ويحق
لك جواري).... لم تؤتي برد فعل حتى ظن
أن حيلته فشلت، إلا أنه ابتسم حين تحركت
نحوه قليلا ثم سكنت، ليحثها من جديد
....(أقرب !!... هيا!!...). بلعت ريقها
مجددا تشعر بضمها يجف، ثم أطاعته فرفع

الخافتة، وأطرق سمعه جيدا، فتبين الكلمات التي ما هي إلا ذكر للرحمان.

لا ينكر انزعاجه من تلك العبادة، كلما رآها انقبض قلبه. لذا همس لها بنبرة هادئة

لطيفة.... (حق!! ...هل لي أن أطلب منك

طلب؟؟؟).... أومأت دون أن تتحرك من مكانها

على صدره، تستكشف رائحته وتختزنها في

ذاكرتها، فهو زوجها من الآن وصاعدا

وسيكون محور حياتها وأمان قلبها،

.....(انزعي عنك تلك العباية....لم أحبها

....ولا ترتديها مرة أخرى...).... رفعت نفسها

ونظرت اليه تسأل باستغراب....(حتى إن طلبت

أمي مني ذلك؟؟؟).... لم يشعر بيده إلا وهي

ترتفع لتتحسس نعومة بشرة خديها قائلا

بتأثر....(سعيد من أجل احترامك

لوالدتي..... و مناداتها بأمي وإن طلبت

منك مجددا ارتداء شئ أسود داخل غرفتنا

..... أومئي لها بالطاعة.... لكن لا تفعلي

..... اتفقنا؟؟؟؟)..... فكرت قليلا، إنها تلك

الأمور بين بني البشر التي تؤرقها ولا تفهمها،

لكنها أجابت على آية حال تهز رأسها بموافقة

دون نقاش. اكتنفه الرضى يتأكد من حسن

اختياره فاستطرد يقول(إذن هل

ستنزعينها عنك؟؟؟)..... توترت فنداها برقة

.....(حق؟؟؟).... نظرت اليه باستجداء، فقال

دون ان يزيل يده من على خدها.....(هل تعلمين

ماذا سيحدث بيننا؟؟؟).... اطرقت برأسها

وأنفاسها تضيق في صدرها، فرفعه من دقنها

يسأل بطريقة أخرى.... (أنا لا أريد احراجك

او اخافتكلذا إن كنت لا تعلمين

نتحدث قليلا كي لا تتوقعي الأسوء ...)

بلغ حياءها مداه فأومات بإيجاب، ليتنفس

الصعداء هو الآخر، فلا طاقة له بالشرح في

حصته من الأحياء، يكفيه توتره لما هو مقدم

عليه، فهو مثلها، تجربته الأولى و الأخيرة

كما يأمل ويتمنى. لم يكن يوما فضوليا تجاه

النساء، كانت هناك رغبة أقوى طغت على

رغبته كشاب في إشباع فضوله تجاه الإناث.

لن يتشدد معلا بقوة إيمانه، فالشباب جلهم

مهما بلغ بهم الإيمان و الالتزام، تمر عليهم

مراحل من الطيش قد يتمادون قليلا حتى لو

كان لهما فقط. لكن ليس هو، فالمسؤوليات

التي تحملها باكرا رحمته من ذنوب كان ليقع

فيها لو أكمل والده تربيته القاسية ،

المجحفته.

تحدث منفضا عنه أفكاره العشوائية يقول

بحذر....(هل يريحك إن أطفأت النور؟؟)...

حركت رأسها مرات عدة فابتسم يهم بإغلاقه،

لكنه تراجع يقول بسخط مزعوم....(انزعي

طرحتك أولا..... دعيني اري شعرك على

الأقل...)(.... زفرت بخفوت مستسلمة لقدرها

فأرخت طرحتها، ليمد يده ويزيلها بروية كي

تتعود عليه، كان شعرها مجموع تحت قراص

للشعر، أزاله فتحرر من سجنه ليتتبع طوله الى

أعلى صدرها بقليل، بني غامق، ومصفف. لم

يتفوه بكلمة وهو يتحسس نعومة خصلاتها،

يجرب أحاسيس جديدة عليه كليا، تماما مثل

التي أمامه. مد يده مطفى النور دون أن تترك

يده الأخرى شعرها. اقترب منها في الظلام

هامسا بمشاعر فطرية استولت على أحشائه

....(دعيني أساعدك....). كانت ترتجف بين

يديه، لكنه تجاهل ذلك، ثم سحبها الى

حضنه بعد أن ألقى بالعباءة اللعينة على

الأرض، متعهدا لنفسه بأخذها معه في الغد،

كي يرميها في أول مزبلة تقابله أو حتى

يحرقها فلا تجدها والدته. ابتسم عند تذكره
لفعلته والدته، التي لم تعلم أنها سهلت عليه
أمر تقربه من زوجته بعكس ما فكرت به.
سكنت بين أضلعه مستسلمة، فتتبع أصابعه
بشرتها يبحث عن شفيتها، ودس أنفه داخل
تجويف عنقها، ليأخذ نفسا عميقا من عبق
رائحتها، فانتشى من عبير الورد الزهري، يعلمه
جيذا، فهو الورد المحلي لمدينتهم. وجد
شفيتها فقربها منه، وقبل خدها قبل ان
يتلقفهما في أول قبلة لهما معا، ملمس شفيتها
أطلق الباقي من مشاعر جياشته لم يكن يعلم

بوجودها، هجمت عليه تطالبه بالمزيد من أمر
يجهله لكنه مصر على بلوغه، فأحكم
امساك رأسها بإحدى يديه ليتعمق في قبلة،
بينما الأخرى تكتشف منحنيات العاريت
بشغف استغربه في نفسه، التي استقلت
برغبتها عن تحكّماته، تمهد لحالها طريقا
ممهدا بعواطف يكتشفها لأول مرة، فكانت
تلك البداية ولم تكن أبدا النهاية.

.....

بيت عزيز وحفصة....

وعلى سرير آخر وفي ظلمة أخرى، تعالت
أنفاسه بينما تكتفه هي أنفاسها كي لا تفقد
تحكمها بنفسها فتستفرغ في وجهه، بعدما
عادا الى بيته وبعدها أسمعها حديثا مسموما
ومغموسا بالشماتة. تعود الى العذاب اليومي،
يبدأ بمجموعة من الإهانات عن كل صغيرة
وكبيرة، لينتهي بمحاولة أخرى لئلا تبوء
بالفضل لينفضها من عليه يهتف بسخط
فاجر....(أنت لست أنثى.... غيرك يثيرني في
لحظة.....وان لم توقفي ما تفعلينه كي

تنفريني منك....سأتي بأخرى أمتلكها

أمامك كي تري النساء كيف
يتصرفن؟؟).... أولاها ظهره و كأنه لم يطعنها
بسكين تلمت، غير أنها لم تعد تشعر بجروحها
بيد أن دموعها مدار على وجنتيها بصمت.
تأكدت من استغراقه في النوم فقامت
متوجهة الى الحمام، كي تغسل رائحته من
على أطرافها، ثم تلجأ الى ربتها كي يريحها من
عذابها مع زوج لا يخشى الله، تارك للصلاة،
مستبيح للمحرمات. فلا أحد غير الله قادر على
ذلك.

الفصل الخامس

مثل المنافقين في المسجد كمثل العصافير
في القفص إذا فتح باب القفص طارت
العصافير.... الامام مالك بن أنس....
بيت المرابط....

تعبت من وقوفها فمالت بجسدها قليلا، كي
تتمكن من إسناد رأسها على بلور النافذة
الكبيرة في غرفتها، والمطلت على الحديقت

الأمامية للمنزل العائلة، تنتظر عودة أهلها من
زفاف آل عيسى. عبست بخفتة بالتزامن مع
أفكارها العاتية، تتساءل بأي عقل يطلبون
منها حضور عرس أودعت به سائر أحلامها
الأنثوية، لتستيقظ منها على رفض مُخز، ألقى
بها من علياء أمانيتها الى بئر الواقع المر.
تنفست بعمق وهي ترمق دخول السيارات من
البوابة الكبيرة، تصيح دون أن يغادر صوتها
أحشائها.... أنها ليست كصباح، لا في قوتها
ولا في جراتها. ابنة عمها كانت السبب في
إعجابها بإبراهيم، لا تنكر فراغ قلبها و

استعداده لأي عاطفة رجولية بعدما أولت

تركيزها الكامل لدراستها، مكتفية

باهتمام والدها المبالغ فيه أحيانا عدة، لكنه

النضوج الأنثوي، في فترة ما لم يعد يكتفي

باهتمام و لا دلال الأهل، فيبحث عن نوع آخر

من العاطفة. فراغ استغلته ابنته عمها لتملأه

بأحاديث عن فارس نبيل، رجل كامل، قوي

شهم و أصيل دون ان تغفل ثراءه ووسامته

الخشنة. استغربت حينها من مديحها لشاب

رفضت الارتباط به، لتجيبها مفسرة أنه لا

يناسب شخصيتها المتهورة، بل ترى في شقيقه

فارس أحلامها، طيب النفوس كما يلقبونه

أهل الجبل. أطلقت صباح العنان لنبرة العبث

في صوتها وهي تسترسل في سرد أمانيتها كيف

أنه الأنسب ليروض جنونها، يكاد يفقدها

عقلها إن لم تفقده بالفعل، برزانتته والغموض

المحيط بشخصيته التي تزيده وسامتة على

وسامته، فينطلق قلبها في سباق يرح خلدات

صدرها كلما لمحتة او حتى زار أفكارها . و

كما العادة أحلام ابنته المرابط يجب أن تحقق

بأي ثمن، لكن الثمن هذه المرة قد طالها هي

الأخرى، حين عبأت رأسها بأوهام عن مدى

توافق شخصيتها الهادئة مع شخصية ابراهيم
القيادية، صدقت ابنة عمها لكنها دائما ما
كانت تُفزي لها بتحفظاتها عن الأمر، فهي
أبدا لم تكن لتعرض نفسها على أحد، لكنه
تأثيرها اللعين بابنة عمها منذ الأزل، فأمنت
على حديثها وها هي تتجرع خيبة مريرة من
حب أوهمت به قلبها المسكين و من ذل أنهك
كرامتها.

رفعت رأسها من على البلور تهتف بهدوء للقادم
المعروف لديها....(تفضل !). ... فتح الباب
ليطل برأسه باسمها بحنو، قبل ان يدخل

بكامل جسده يقول وهو يهم بإغلاق الباب...
(هل تسمح لي حبيبة قلب والدا بدقائق من
وقتها ؟؟؟).... ابتسمت رغما عنها تهز رأسها
وهي تجلس على طرف سريرها، اتجه نحوها
وفعل مثلها بعد ان قبل أعلى جبهتها يقول
برقة....(كيف حالك اليوم؟؟)... ضمت
شفتيها ما بين الحزن و التهكم ترد بنبرة
بدأت بالتحشرج... (لقد سألتني نفس السؤال
قبل خروجك....)... علا الوجوم ملامحه
قابضا يدها بين كفيه فاستطردت تدعي
الهدوء....(لا تشغل بالك بي.... سأكون

ترقرقت الدموع من عينيها فتنهد بألم يضاهي

ألمها، لا يطيق حزنها فما باله بدموعها، مسح

على وجنتيها يرمقها بإشفاق، يود لو يقتل

صباح ومعها ابنه مجيد الغبي صاحب الفكرة

من الأساس، فقالت بلوعة... (يكفي أنه

رفضني هو أمام عائلتي و عائلته احساس

فظيع بالذل يجتاح أحشائي فينهش منه بلا

رحمة) سحبها يضمها ويربت على شعرها

هامسا بحنو.... (ماذا أفعل كي تتعافي بنيتي

؟؟ ...فقط اطلبي) ابتعدت قليلا ثم

قالت بتوسل(أرجوك أبي خذني من هنا

بخير... كيف كان العرس؟؟)...(لا يهمني

العرس ولا أهل الجبل بأكمله.... و بمن أشغل

بالي إن لم يكن بك أنت؟؟.....). نطقها

بتحضر قلق فشدت على كفيه تهتف بألم

....(أرجوك أبي لا أريد التحدث عن

الأمر...إنه يجرح كرامتي فأتألم أكثر

....) قاطعها قائلا بحزم....(كرامتك

مصونة بنيتيلا أحد يعلم بالاتفاق

الجديد بين العائلتين الجميع يعلم عن

صباح و إبراهيم لما لم تهتم هي التي

شملتها أقاويل الناس؟؟؟..... أنت.....)...

..... دعنا نعود الى العاصمة..... لا أطيق

النظر في وجوه الناس.... اختنق و أنا اظنهم

يشفقون علي أو يشمتون). ..تنفس بعمق

مفكرا لبرهته ثم قال باستسلام(كما

تشائين حبيبتي.... سأعلم أبي و نرحل متى

شئت ...). ... قاطعته بلهفة... (غدا أبي....

أثناء غياب صباح لا أريدها ان تحاول

اقناعي ب.....). قطب لبترب عبارتها فقال

بريبتة..(اقناعك بماذا؟؟؟)... تداركت الأمر

تجيب ... (بان لا أرحل... تعلم صباح و إلحاحها

.....). هز رأسه دون اقتناع فهو اعلم بزوجة

أخيه و ابنتها كما يعلم تأثر ابنته بهما ،

تبحث عن حنان أم فقدته ولم يستطع

تعويضها بكل دلالة و حنانه ، ولم تجد أمامها

سوى زوجة عمها لتتعلق بها وبمعاملتها لابنتها

تنشد منها نفس الاهتمام.....(بإذن الله بنيتي

كما تشائين.... هيا قومي لتتالي قسطا من

الراحة....).

.....

في الغرفة المجاورة آخر يزرع أرضها بعصبية

يكاد يشقها... (تبا لابن آل عيسى و عائلته آل

عيسى بأكملها!! ...). ... همس من بين أسنانه

بغل. أسرع الى النافذة حين سمع ضوضاء

السيارات العائدة بأصحابها، فتسلل بخفتة الى
وجهته.

تضاحك والدتها بإشارات لم يفهما أي من الجد

أو الحاج زكريا، ثم غمزتها خفية وهي تلقي

عليهم تحية المساء. لم تكد تقفل عليها باب

غرفتها تبتسم بغنج مشبع بخبت، حتى أتلها

صوت ساخر يقول بنفس خبثها....(تسلم لي

الضحكة و من كان السبب فيها)

شهقت بخفوت فتجمدت البسمة على ثغرها،

وهو يُردف بنفس سخريته رابتا بسباباته على

طرف دقنه....(من يا ترى السبب؟؟... أجل... إنه

ابن آل عيسى....طبيب النفوس؟؟!!)...

لا زالت على جمودها وهو يكمل مقتربا منها، و

نبرته تحدد بالتزامن مع إنهاء حديثه....(طبعا

فقد حققت مبتغاك....و تخلصت من بكرهم

...وخلت لك الساحرة مع حبيب قلبك...لما

ستهتمين بباقي اتفاقنا؟؟)... تحركت أخيرا

تهمس بحدة خافتة....(شششش!!)...هل

جننت؟؟.... أنا لم أنسى أي شيء...

ولمعلوماتك.... لم أحقق ما أربي بعد...فحبيب

قلبي كما تقول.... لا يشعر بي... ضم

(...رمقها بحيرة ثم اقترب جالسا جوارها
يقول باهتمام... (اسمعي وعي حديثي جيدا
.... إن لم نتسبب في فضيحة لهم إبراهيم
سيظفر بالمنصب ولن يكون في حاجة لنسبنا
بعدها و أنت ستودعين أحلامك حين
يطير فارسها) زمت شفيتها فبرزت
صبغتهما الحمراء، وقطبت حاجبيها بعد أن
هزتها انتظارا لتفسير أدق، فاستطرد بمكر
... (لو كان وافق على شقيقتي كان النسب
لحاله يكفينا أنا في تجارتي و أنت
لتتقربي من شقيقه ... لكن بما أنه تعجرف و

شفتيه يقترب أكثر ويهمس بنفس حديثها
.... (و هذا أولى بأن نطبق خطتي أنا ... التي لم
توافقي عليها و صدقتُ تفاهات النساء
تلك و الدليل ها هو!!! ...) أشار الى
تأنقها بالقفطان، يكمل بامتعاض (عائدة
من عرس ابنهم ... الذي من المفروض أن
تكون من ثُرف إليه شقيقتي !!!) ... زفرت
مزمجره بخفوت، ترمي الحذاء ذو الكعب
العالي من رجليها ثم ارتمت على طرف سريرها
تقول بتهكم ضجر، وهي تلوح بيديها
(أخبرني من جديد عن خطتك الخطيرة

لإبراهيم و سأفعل) ... هز رأسه بيأس ثم
قال بضجر ... (تابعي ما تفعلينه و ساعديني
في ما أريده أنا أيضا) ... التفتت إليه تسأل
ما همّ منذ البداية ... (ماذا تريد مجيد ؟؟ ..)
.... بلع ريقه متمعنا في ملامح وجهها الفاتن
يقول بنبرة بحتة (أريد أي معلومات عن
والدهم ... يونس آل عيسى) ... دفعته
بخفتة حين زاغت نظراته تقول بنبرة ظهر
عليها الانزعاج (سأفعل تصبح على خير
يا مجيد ...). ... لم يبتعد يرمقها برغبة يهمس
وهو يمد يده بغية لمس وجهها (منذ متى لم

رفض يجب أن نخضعه لإرادتنا وحين
يهدد بخسارة منصبه حينها سيضطر صاغرا
لموافقة عمي على النسب) ... اتسعت
بسمته بنصر لتركيزها ، يكمل (و
العروس الوحيدة المتاحة لهم ... هي أنت
لأن عزة نفس شقيقتي الساذجة لن تقبل بأن
تتزوج من عائلة آل عيسى حتى لو طلبوها
بأنفسهم)
... ضحك حين هتفت بشراسته وقد أفلح في
استفزازها (عواطف لن تقبل بإسما عيل
مهما حدث ... ثم أنا أقسمت على تزويجها

أن ينسحب من الغرفة....(حاولي استدراج
العجوز في الحديث....أريد ان أصل إلى والدهم
بأسرع وقت ...)

راقبت الباب ينغلق ثم عادت ترتمي بكامل
جسدها على السرير تهمس بقلق.... (لما لا
تشعربي يا إسماعيل؟؟...كنت جنبتي كل
هذه الخطط...والتعب...). لكنها ما لبثت
ان ضحكت بغنج ثردف بدلال... (لكنك
تستحق.... يا حبيب قلبي...).ارخت
الطرحة و أطلقت العنان لخيالها جامعا الى أول

أخبرك أنك فاتته؟؟)... انتفضت من فوق
السرير قبل أن يصل إليها ترد بغضب... (مجيد
....أخرج من غرفتي....حالا!!!)... ابتسم
ساخرا يقول....(منذ متى؟؟.... لم تعد
لمساتي تغريك؟؟)... زفرت من جديد و قد
احمر وجهها بشر تشير إليه بسبابتها
محدرة....(أنا لم أعد تلك المراهقة مجيد
....والأفضل لك ان تنسى كما
نسيت....لأنك لا تريد أن تتجرع نتائج جنون
غضبي.... و أنت أعلم به...). مسح بإبهامه
على جانب شفته السفلى، ثم قال بجديّة قبل

مرة رأت فيه طبيب النفوس، وحينها بدأ كل

شيئ.....

.....

فجر اليوم التالي

أيقظتها ساعتها البيولوجية ، قبيل الفجر،

ففتحت عينيها على وسعها وتوقفت أنفاسها

لتستوعب المشاهد التي انهالت على ذاكرتها،

غير مصدقة لما حدث لها، أمورا لم تتقبل يوما

أن تسمع عنها من الفتيات، كما لم تكن من

هواة البرامج الترفيهية، ولولا زواجها لما

تجرات على المطالعة. حق جُبلت على مبادئ

عدة لا تعلم كيف أو لماذا تجمعت في

شخصيتها وهي بالذات، لذلك استسلمت

لنعتها بالبلهاء، فهي بالفعل تظن نفسها

مختلفة أو بها مس ما. من ضمن تلك المبادئ

الراسخة، المعرفة ثقل من الخوف، لذا حين

تخشى أمرا، تبحث خاضه و تقوم بدراسة

صامتة عن كل عالم متخصص، فتجمع

وجهات نظر عديدة تُكوّن على أساسها رأيا

سديدا يساعدها فيما هي مقبلتة عليه. وهذا ما

حدث في أمر الزواج... بحثت وقرأت ما كتبه

أهل العلم و الدين، فلم تعتمد على مقالات

الفتيات و لا مشاهد هابطة تعبت ببراءتها

الظيرية فتؤثر عليها سلبا. تعترف أن التطبيق

صدمها للحظات، لكنها استسلمت وهي

مطمئنة لما هو قادم، و لن تنكر رقة

شريكها أيضا. لم ينطق بكلمة واحدة خلال

لحظاتها الخاصة، لكن كل لمسة منه و

كل ضمة كانت تحفها بالأمن و الطمأنينة،

لا تعلم كيف اهتديا الى تألف و تناغم

كأنهما يعرفان بعضهما منذ الأزل، في تلك

اللحظة ابتسمت دون أن تتجراً على التحرك

من مكانها، على ذراعه، خشية أن توقظه من

نومه دون أن تمنح نفسها فرصة للتفكير في

كيفية التسلل الى الحمام. تذكرت قرب

صلاة الفجر فقررت التحرك بخفية، و أسرع

في حركتها بعد أن سحبت قميص منامته و

لفته على بدنها. أقفلت باب الحمام بخفوت

ووقفت مكانها تستك أسنانها من البرد.

أحاطها الدفء أخيرا فبدأت بالاغتسال. مدت

يدها تسحب إحدى المناشف الكبيرة

المطوية على الرف الضخم في الزاوية

المقابلة، تلف بها قدها النحيف ثم سحبت
أخرى تغطي بها رأسها وأعلى صدرها، وخرجت
بنفس الخفة متجهة إلى خزانة الملابس دون
أن تنير الغرفة تتلمس طريقها بروية. راقب
ظلها المتسلل في الظلمة فلاحت بسمتة مرحية
على ثغره، لا تعلم أنه لم يغمض له جفن من
الأساس، وأنه راقب استغراقها في النوم إلى أن
تحركت بين ذراعيه فادعاه هو كي يجنبها
الخرج. نهر جارف من الأحاسيس والمشاعر
عصفت به فأفقدته تحكمه بنفسه ورزانت
عقله، ليجد نفسه غارقاً وسط عاصفة هوجاء

حلقت به إلى عنان السماء حتى لمس النجوم
بيديه، ثم أعادته بروية ورقة إلى أن هبطت
به على أرض الواقع في سلام تام، أحلام
وخيال ما يفكر فيه هو متيقن، لكنه حلم
اكتشف مدى حلاوته، فأراد الخوض فيه مرارا
وتكراراً، عله يرتوي من عطش لم يكن يعلم
ضماؤه من قبل، لكنه أشفق على ضعفها، كما
تفاجأ بنفسه يجهل الكثير عن العلاقة
الزوجية، وحالة الشريكة بعد أول تجربة،
لذا أمسك لجام رغبته الحارقة وأثر الابتعاد
عنها حتى حين. لاحظ تأخرها أمام الخزانة

فأنا تارك الياجورة الجانبية الخافتة، شهقت

بخفتة و نظرت نحوه بجزع فقال

بهذوء.....(أسرعى.....ستصابين بالبرد... لا

قدر الله...)(... تماكنت دهشتها تهز رأسها

مرات عدة ثم أخذت ثيابا بين كفيها،

وهرولت عائدة الى الحمام غافلة عن بسمته

التي اتسعت بمرح. قصف قلبها وسط صدرها

تلهث من شدة المفاجأة، ومن شعور آخر غامض

لإدراكها البريء، وطفقت تلقي على أطرافها

لباسا لا تعلم كيف انتقته. خرجت بعد أن

استجمعت قوتها الواهنة و تنفست بعمق،

فاصطدمت بصدرة العاري لتفقد انفاسها من

جديد، أحاطها بذراعيه يقول بمكر ومرح

أصبح يدغدغ صدره مع تلك الفتاة.....(أين

قميص منامتي؟؟... لم أجد سوى السروال....)

... تهربت بمقلتيها وهي منكشثة على نفسها

بين ذراعيه محمرة بخضر فأردف بنفس

هدوءه.... (ارتدي مئزرا على منامتك فهي

خفيفة.....أخشى ان نصاب بالرشح قبل ان

ينتهي هذا العرس.....).... تركها أخيرا

يستطرد متجها الى الحمام..... (منامة زهرية

..... هذا أفضل.....)..... أمسكت صدرها

تحاول الضغط على موضع قلبها، فهو يكاد يخرج من مكانه فتشعر بركبتها تخونانها، تذكرت المنزر فأسرت ترتديه وأحاطت رأسها بشال ثم آوت الى كنف خالقها، حيث الثبات والأمان.

خرج من غرفته بعد أن اغتسل و ارتدى ملابسه فتوجه الى غرفة اسماعيل، الذي فتح باب غرفته هو الآخر في نفس اللحظة التي هم بها بأن يدق، نظر اليه مقوسا حاجبيه مستفسرا بدهشة... (مرحبا بالعريس ماذا هناك؟؟؟).... ارتبك لثانية لكنه

سرعان ما استرجع واجهته الهادئة بصرامته يقول (أريد آلت التحكم في المكيف لغرفتك....).... قطب إسماعيل بريبتة فاستطرد ابراهيم بنفاد صبر....(لا تسأل فقط أعطينها.....).... هز شقيقه كتفيه بخفة ثم التفت يحضرها. طلب منه انتظاره ليرافقه الى المسجد وكذلك فعل بينما هو أطفأ المكيف وعاد بعد ان رمى الساجدة على سجادة الصلاة بنظرة تقدير. تنحج اسماعيل فنظر اليه مستفهما، ليقول بتردد.....(من المفروض أن أسألك كيف كان لقاءك

الأول مع العروس ؟؟؟).... رفع حاجبه الأيسر
يقول باستفزاز....(حقا ؟؟؟).... استغرب
اسماعيل من تلك الحمرة الخفيفة التي علت
أعلى وجنتيه فضحك وهما على أعتاب
الحديقة، في طريقهما الى المسجد،....(هل
جنت ؟؟...ما الذي يضحكك ؟؟؟)....
تمالك ضحكاته يقول مجيبا....(أنا لم
أسألك عن شيء خاص أخي ... أنا أعني
لقاءك الأول بها...هل تحدثتما ؟؟... كيف
كان موقفها ؟؟...هل تفاهمتما ؟؟).... تنفس
الأخر بخضوت يهمس لنفسه....(العروس ليست

المشكلة....بل السيدة الوالدة....)(ماذا
قلت ؟؟) استفسر اسماعيل بفضول فقال ...
....(ليست المرة الأولى أخي....التقيت بها
سابقا مع شقيقها....)(هز رأسه بتفهيم ثم ما
لبث أن قال بمكر....(جيد لكن هذا لا
يمنع أن تلجأ الي إن واجهتما مشاكل....فأنا
طبيب النفوس كما تعلم....)(لمحا جدهما
أمام المسجد برفقة رجال آخرين، فقال بمال
منهيا الحديث....(آه أجل بالطبع...)(ثم
أردف لنفسه....(لو فقط تتحلى أمي بشيء من
المنطق....اللهم اجرنا من القادم...).

كِيَانَهُ الْأَنَاةَ، فَسَكَنْتِ الْأَطْرَافَ حِينَ سَكَنَ

الْبَالُ بِاطْمِئْنَانٍ.

أَنْهَتْ وَرَدَهَا وَقَامَتْ تَنْشُدُ بَعْضَ مِنَ النَّوْمِ قَبْلَ أَنْ

يَبْدَأَ الضِّيُوفَ بِالتَّوَافِدِ، تَأْمَلَتْ سِبَاتَهُ فَشَعْرَتْ

بَارْتِخَاءٍ مَلَامِحَ وَجْهِهِ الْحَازِمَةِ، اسْتَلَقَتْ بِخَفْتِ

وَمَا لَبِثَتْ أَنْ حَطَّتْ بِرَأْسِهَا حَتَّى انْضَمَّتْ لِزَوْجِهَا

فِي عَالَمِ الْأَحْلَامِ.

.....

تَهَرَبْتُ مِنْ مِقَابِلَةِ ابْنِهَا وَظَلْتُ تَنْشَغُلُ هُنَا وَ

هُنَاكَ حَتَّى تَأَكَّدْتُ مِنْ خُرُوجِهِ مِنَ الْبَيْتِ،

فَأَخَذْتُ شَرِيْطَ مَنْعِ الْحَمْلِ وَقَامْتُ بِإِذَابَتِهِ وَاحِدًا

عَادَ مِنَ الْمَسْجِدِ وَتَوَقَّعَ مِنْ نَوْعٍ خَاصٍّ يَسْبِقُهُ

إِلَى غُرْفَتِهِ. فَفَتَحَ الْبَابَ بِهَدْوٍ فَلَمَحَهَا عَلَى

سُجَادَةِ الصَّلَاةِ بَيْنَ يَدَيْهَا مَصْحَفٌ صَغِيرٌ، وَ

هَمْسَهَا الرَّقِيقُ يَتَسَلَّلُ إِلَى أُذُنَيْهِ عَابِرًا إِلَى قَعْرِ

صَدْرِهِ. وَعَتَّ عَلَى وَجُودِهِ وَالتَّتَفَتَّ إِلَيْهِ فَقَالَ

وَهُوَ يَسْتَلْقِي عَلَى السَّرِيرِ.....(لَا تَتَوَقَّضِي

...إِكْمَالِي مِنْ فُضَاكَ).... أَطَاعَتَهُ وَنَبْرَتَهَا

قَدْ طَغَى عَلَيْهَا التَّأَثُّرُ فَعَدَّبَ حِسُّهَا الْهَامِسَ،

أَسْدَلُ جَفْنَيْهِ مُطْلَقًا لَهْمْسَهَا الْجَمَاحَ كِي

يَخْتَلِجُ بِهِ صَدْرَهُ، فَتَخْلِي عَنْ كُلِّ دَخِيلَةٍ عَلَى

خَاطِرِهِ، وَ سُرَّتْ سَرِيرَتَهُ بِكَلِمَاتٍ بَعَثَتْ عَبْرَ

في كأس عصير، وجهته على صينية بجانبه
طبق من الحلوى، و سارت الى وجهتها.

اغلقت باب الغرفة ونظرت نحو السرير، فضمت
شفتيها بتفكير ثم بحثت عن العباءة السوداء
بعد ان حطت بالصينية على إحدى المناضد.

لم تجد لها أثرا فاقتربت منها تهتف بنفاذ
صبر....(أنتِ....قومي...هيا!!)... انتفضت حق

من مكانها ثم همست بنبرة ناعسة حين

لمحتها.....(أمي !!) ... طعننها الملامح

الواهنة على وجهها و مناداتها لها بأمي، لكن

الغباء سمت غالبا ما يصحبها التكبر،

فتذكرت حديث صباح عن طرقها لتسحرها و

تكسب ودها، عبست تسأل بحنق... (أين

العباءة يا فتاة؟؟!!)... مسحت على وجهها ثم

ردت وهي تتفقد الأرض من حولها... (لا أعلم

.... كانت هنا على الأرض ...)

في نفس الوقت

تقدمت ميمونة مجموعة من النسوة، كل

تحمل الباقي من هدايا العروس يتسابقن في

الزغاريد وهن يلحن منزل آل عيسى، وكما

اقتضت العادة استقبالهن نساء العائلة بالحلوى

المحشوة باللوز مع التمر، و الحليب وصينية

ذهبية عليها قناني فضية، معبئات بماء الزهر

وعطر الورد، بجانبها طبقين عميقين مليئين

بالبخور و خليط الزعفران، يتوسط الصينية

أعواد اللد العطرة. لاحظت ميمونة غياب

الحاجة إيّجّة، فسألت لتجيبها احداهن بأنها

تتفقد العروس. تضاحكن النسوة يطلبن

حقهن كما يقال في التقاليد برؤية غرفة

العروس، كي يتفاخرن بالسرد عنها وعن

رفاهية حياتها الجديدة، حين عودتهن الى

بيتوهن، فقالت ميمونة ببسمة مدعية

... (اصبرن حتى نجهزها على الأقل....)...

هززن رؤوسهن بتفهم فتابعن المضيفات الى

المجلس حتى تستعد العروس، بينما وجهن

ميمونة الى غرفة حق، تبعت رواح والدتها،

فتوقفت لبرهة كي تريح رجلها من حملها

الثقيل، لكن نبرة رجولية بحتة، تذكّرها

جيّدا، تناهت الى سمعها بهدوء... (تحتاجين

مساعدة؟؟؟) ... رفعت رأسها ترمقه وقد

اشتاطت أحشاءها من مجرد رؤيته، توقعت

ذلك واستعدت جيّدا لتلقينه درسا إن فقط

حاول السخرية منها. تفاجأ من توجه ملامحها
في غضب واضح، تهجُّ بكل ثقلها، قائلة
بحنق أحمر له خديها الرفيعين.... (لما؟؟؟
ها؟؟ أنت أيضا عظامك مكسورة.... وحالي
أفضل منك أزح نفسك من أمامي... قبل
أن أتسبب لك في عاهة حقيقية... و صدقني
...حينها سأضحك تماما كما يفعل
السفهاء.... رمته بسهامها الحارقة واستأنفت
خطاها المتمهلة، متلافية تمثال تجمد مكانه
بصدمة، ليجفل على زفرة منصف الحامل
لطاولته كبيرة حط بها كي يتنفس من تعب

... (أوووف!!)..... أنا تعبت يا صاح على
فكرة ماذا فعلت لتلك الغاضبة من جديد
؟؟؟)... ... نظر إليه عيسى بنفس صدمته يهز
كتفيه بسهولة يجيب... (أنا هي ماذا
تقصد؟؟).... أشار له منصف قائلا .. (ماذا
؟؟... ماذا؟؟).... (منصف؟؟) ... ناداه أحدهم
يستعجله فحمل الطاولة يهتف بحنق... (أنا
قادم !!).... ..على فكرة لم يسبق لي أن
عملت حمالا....).... أطلق عيسى أنفاسه هامسا
بحزم (لم تنتهي بعد يا سأعرف

اسمك و بعدها لي حديث جدي معك

(....).

في غرفة حق

(لا أعلم كانت هنا على الأرض...).

همست بغل ... (أظنك لا بلهاء و لا غبيته

أين أخفيت العباءة يا حويطة؟؟)... (هل

تقولين شيئاً أمي؟؟)... دق الباب فهتفت

الحاجة إيجهت بحنق ... (من؟؟)... لتدخل

الحاجة ميمونته تبتسم بمجاملة متفقدة زوايا

الغرفة بفضول..(صباح الخير حاجة إيجهت...)

ألم تجهز العروس بعد؟؟ ... النسوة يرغبن

بتفقد غرفتها ... زفرت إيجهت خفية ثم

قالت بنفس البسمة المجاملة... (فليصبرن

قليلاً كما ترين ... لم تجهز بعد ...).

دخلت رواح في نفس اللحظة التي سلمت فيها

حق على زوجة أبيها المنشغلة عنها، بتأمل

فخامة الغرفة تكتن شعورا بالحسد يكاد

ينبض به مقلتيها، ثم التفتت الي الأولى التي

أسرعت إليها باسمته بسرور بعد أن وضعت

الهدايا على الأرض جانبا، فضمتا بعضهما

بشوق و محبة. أما الحاجة إيجّة فقد انشغلت
بالبحث عن الشق الآخر من اتفاقها مع صباح.
لتسأل حق بعد أن يئست من أيجاده خضيت
....(أين دليل عفتك يا حق ؟؟؟) ... رمقنها
جميعهن بدهشة حتى ميمونة سهدت عن
فضولها، بينما هي تردف بنبرة جاهدت لتظهر
عاديّة... (من الطبيعي ان أسالأليس
كذلك؟؟) ... تحدثت ميمونه تقول بضيق
بارد، وهي تحط براحة يدها على ظهر
الأخرى... (و لما لم تسألني ابنك يا حاجة
؟؟؟) ... بالنهاية فتياتنا تربيّن على الحياء

...وكان على ابنك أن يبلغك بما حدث
....) ... ضمت الحاجة شفيتها ثم قالت(و
لما لا أرى بعيني يا حاجة؟؟؟) ... أم أن هناك
ما يزعجك؟؟) ... هتفت ميمونة بنبرة بدأت
تعلو من الغضب ... (و لما سأنزعج؟؟)
يكفي أنها تربت على يدي هاتين ... وعلى يدي
الحاج عبد الله آل طالب ...) ... التفتت الى حق
تردف بغیظ (هل دخل بك زوجك يا
حق؟؟) ... احمرت المسكينة خجلا، و قلبها
يقصف وسط صدرها، لتنتفض على هتاف
ميمونة تعيد سؤالها، فأومات ورواح تضمها

محاولة إيقاف رعشتها، (و أين دليل

عفتك؟؟) ... أردفت ميمونته فحدقت بها حق

ببلادة ترمش بجفنيها، زفرت الحاجة إيجته

بنفاذ صبر و اقتربت ميمونته تهتف من بين

أسنانها ... (هل نزل منك دم؟؟؟) ... تكمشت

حق بين ذراعي رواح خوفا وخجلا، ثم اومأت

بخضته لتتنفس ميمونته الصعداء وهي تستطرد

... (أين هو ذلك الدم؟؟؟...أريه لحماتك

...) ... بلعت ريقها لاتزال ترمقها بتبادل فاقتربت

منها حماتها الفاقدة لصبرها تهتف (يا فتاة

انطقي لقد فقعت مرارتي ...الناس ينتظروننا

...) ... حثتها رواح بريته حانية على ظهرها،

فنطقت بنبرة مرتعشة، خافتة (كان على

شرشف السرير) ... نظرت الحاجة إيجته الى

السرير فقالت بحيرة.... (بالمناسبة؟؟؟... أين

الشرشف؟؟؟) ... أكملت حق مضرة بوجل

.... (حين ذهب ه هو.... الى المسجد

ل لمحت البقع على الشرشف فأزلته من

على السرير وتركت الغطاء السفلي لأنه

نظيف...) ... سكتت فقالت ايجته بسخط ... (و

أين الشرشف اللعين؟؟؟) ... رمقتها ميمونته

بريبتها فصمتت تضم شفتيها، بينما حق ترد

بصدق وسذاجة... (نظفته و نشرته على

درازين الشرفه...)... انتفضن من صياح

الحاجة إيجة... (ماذا؟؟؟؟!!) ... عادت حق

تنكمش بين ذراعي رواح وقالت ميمونة

بريبتة من حالة الحاجة الغير عادية... (لقد

سمعتها يا حاجة... غسلت الشرشف....

ونشرته... و أظن أن ولدك لو شك ولو قليلا

في براءة ابنتنا... كنا سنعلم بالتأكد

... كلمة أخرى في هذا الموضوع... و

سأعتبرها اهانة في حق سمعتنا... و سأضطر

لإبلاغ الحاج عبد الله...) ... توترت الحاجة

إيجة فهي أبدا لا تريد التسبب بفضيحة

لابنها، ناهيك عن موقفه إذا علم. لذا أسرع

بالرد تدعي البسمة و الاعتذار... (سامحك

الله يا حاجة... وهل كنت لأتجرأ على

سمعتكم؟؟ ... ثم حق هي زوجة ابني... و

سمعتها من سمعته... أعتذر إن ازعجتكن

... سأخرج لأرحب بالضيوف... و أنتما

ساعداها كي تجهز...)... خرجت مسرعة

فزفرت ميمونة بسخط تهتف... (كنت أعلم

أنها رافضة لهذه الزيجة...)... ثم نظرت الى

حق تردف... (سترين أيام سوداء مع

حماتك.... مع أنني أظن أنك ستوقفين قلبها
ببلاهتك قبلا.....).... جلست على الأريكة
الجانبية بينما رواح تسحبها قائلة بمرح بعد
أن رمت والدتها بنظرة عتاب....(غرقتك
جميلة يا حق..... هيا لنختار لك قفطان
أبيض يليق بالعروس.....).... تجهزت حق ثم
رتبن الغرفة، فدخلن النساء مهنئات و معبرات
عن انبهارهن برقي المنزل وحظها السعيد.
أمسكت رواح يد حق كي تخرجان من
الغرفة، بعد أن انتهى تفحص و فضول
الضيوف، لكن حماتها كانت قد عادت حين

تذكرت ما نسيته.....(لا تخرجي حتى
تشربي العصير على المنضدة.... احضرته لك
لكني نسيت اخبارك.... هيا اشربي منه
كي لا تقعي امام النسوة... فأنت لم تأكلي
بعد..... لا تريدين لأحد أن يتكلم عنك
بسوء.....).... كتمت رواح غلها من هذه المرأة
خيضة من رد فعل أهلها إن أخبرتها برأيها فيها،
والذي أبدا لن يعجبها، وراقبت حق التي
أخذت الكأس، وعادت كي تسقنا طريقتها،
ابتسمت إيجه حين رأت الكأس في يدها ثم
انسحبت مطمئنة على سير خطتها، اغلقت

رواح باب الغرفة تهمس لحق التي رفعت

الكأس الى فمها فتوقفت تستمع لتدمر أختها

الخافت....(يا إلهي !!!).... ما بها هذه المرأة

؟؟... هزت حق كتفها بعدم اهتمام،

وهمت برفع الكاس من جديد لتفاجأ به

يُخطف من يدها، فشهقت بدهشة هي ورواح

مراقبتين لمنصف الذي تجرع العصير دفعت

واحدة، ثم أصدر صوتا يعبر عن ارتوائه ..(أنا

أسف جدالكنني ظمآن حد الموت

....حين رأيت العصير لم أستطع المقاومة

....النساء في كل مكان و لم استطع بلوغ

المطبخ أعيد اعتذاري لك يا عروسو

بالمناسبةمبارك عليك زواجك....)

تجمدتا مكانهما و كأنهما قابلتا فضائيا فرفع

يده مشيرا أمام عينيها(هيبييه !!! هل

أنتما بخير؟؟) (هل أنت غبي؟؟؟)....

تقوس حاجبيه الأشقرين دهشة من سؤال رواح

التي اشتد غضبها من جديد فرمقتها حق

بعتاب دون أن تنبس ببنت شفة، ليأتيها الجواب

من فم عيسى المراقب لهيئتها الأنيقة في

القفطان، رغما عنه تعلق بصره بالثوب الذي

يلتف طرفه كخاتم حول إصبع سبابتها ليظهر

"الشربيل" في رجليها مكملا جمال ظلتها
الخيالية، التي كانت متوارية خلف كومة
الهدايا قبل برهة... (أعذرها صديقي

لسانها يتحرك لحاله لا تتحكم به ...)
قطبت حق بينما رواح تهم بإسماعه ما يريد و
ما لا يريد، لكنه ابتسم مقاطعا وهو ينظر
الى حق يستطرد... (مرحبا حق مبارك
عليك زواجك من أخي...)
هزت رأسها
تشكره بخفوت فأردف بفضول
... (تذكريني ؟؟؟ درسنا معا في نفس
الصف و لسنوات...). ابتسمت تهز رأسها بحياء

فضحك عيسى يربت على كتف صديقه
مردفا بمرح... (ربحت الرهان يا صاح ... هي
تذكرني). سحبت رواح يد حق بعنف
تزمجر بغل... (هيا حق !! النسوة في
انتظارنا (!!)). تبعثها حق مستسلمة لعنفها
بينما منصف ينطق قاصدا عيسى... (لما أشعر
بأن تلك الفتاة تكرهني أنا و أنت معا
؟؟؟).... ابتسم عيسى بجذل يجيب... (رواح
..... اسمها رواح وهي أخت العروس أما
بالنسبة لغضبها ذاك !! ... أعدك أنني
سأعلم سببه). اتسعت بسمته منصف يقول

مزعومت... (عيسى آل عيسى ... ينصحنى أنا

...منصف الذي يدعوه ساخرا بالعدراء

الخجول بالتأدب يا إلهي لقد اقتربت

الساعة) ... دفعه من أمامه يجيب

بسخط... (ها ها ها أضحككتني يا سخي

.....) التفت مغادرا يسرّ مجموعة من فوضى

الأفكار و الأحاسيس ، بين تذكر ادعاءه

للهو ، و ما أسهل ذلك حين ترتمي الفتيات

حول الشاب الغني الوسيم ، وبين احساسه

بالكره لدرجة الحقد ، فينعدم من قلبه

السلام مهما بُعد وارتحل ، تأبى هو اجسه

بمزاح وهو متذوق لاسمها ... (رواح؟؟؟ ألا يليق

كاسم لولد أكثر منه لفتاة؟؟؟) ...نظر اليه

عيسى فلمح تلك النظرة الحالمة على وجهه

فدفعه بخضت يهتف باعتراض... (ما شأنك

انت باسمها؟؟؟...) ... ضحك من جديد يجيب

بنفس مرحة وهو يلعب بحاجبيه

الشقراوين... (لن تنكر ان الفتاة جميلة... و

الغضب أضاف لجمالها الكثير) ... رفع

عيسى أحد حاجبيه الكثين بخطورة يردف

... (منصف؟! تأدب ...). أزال الكاب من

على رأسه و حك شعره يقول بدهشة

الرحيل إلا معه. و الآن وفي هذه اللحظة

بالذات شيئاً ما تحرك و إن كان بعيدا يحارب

ليطفو بضراوة، أمر ما غامض جعله يغضب من

صميم قلبه، بسبب كلمات عابثه، ألقاها

صديقه في حوار مازح اعتادا عليه فيما

بينهما. خرج الى الحديقة الأمامية واتخذ

مقعدا ليريح رجله المكسورة في انتظار ذات

الاسم الغريب، يجب ان يفهم سر نقيمتها

عليه.... أجل ذلك هو السبب الوحيد لا غير.

.....

ترجل من سيارته ووقف يسوي ثنايا سرواله

منتظرا ترجل والده من الجانب الآخر، ليرفع

عينيه الى سيارة تتخذ مكانا بجانب خاصته،

فاشتعل قلبه كما اللهب المحرق في محرك

سيارتها الزرقاء. راقب باهتمام أنسائه مكان

وقوفه، كما والده الذي تسمر يتأمل سهوه و

السبب فيه باستفزاز بعد أن سوى هيئته هو

الآخر. انطلقت تتمايل بكعبها العالي وقد

تأنقت كما العادة لتظهر في ذلك القفطان

الأحمر كأميرة بهية، لا تمت لسكان الجبل

بصلته. لمحته فتوقفت أنفاسه، وابتسمت له

فشعر بقلبه سينفجر، و قد تصلبت أطرافه
برغبة حارقة لم يعرفها سوى في أيام جامعته
حين استسلم مرة او اثنتين للفتنة، تأخذ من
براءة نفسه العذيفة. لكنه سرعان ما زجر
نفسه عن تلك العلاقات العابرة وفي بعض
الأحيان الغير مكتملة، لكنها تبقى زنى و
محرمته. فتأب الى ربه تواقا للعودة الى مدينته
بين أهله كي يعينوه على نفسه، بيد أن
تذوقه للحرام يرهق حواسه كما اللحظه
حين تتكالب عليه شهواته، فيشعر بالرغبة
تضخم من احساس إعجابه بها أو حبه كما

يظن. أجزل على حديثها بالتزامن مع كفها
الذي تمدها لتسلم عليه، تقول بغنج كانت
تتعمده الى أن أصبح عادة فيها....(ياسين
....كيف حالك؟؟؟.... سعيدة برؤيتك في
مكان غير المصنع...)... آه لو تعلم ما تفعله
به، همس بها في أحشائه وهو يصافحها بلهفة،
ليحترق أكثر من ملمس بشرتها الناعمة
الداقثة، يتمنى لو تزيل النظارة الشمسية،
ليتمتع بلون عينيها العسلية....(أنا أسعد...
آنسة صباح...)... نطقها يبتسم ببلاهة أوصلت
والده الذي نسيه كليا الى أعلى درجات الحنق

من ولده الغبي الأعمى، فصاح بنزق اهتزا له
بدنيهما معا.....(هل سأنتظر كثيرا؟؟.... أم
انك نسيت أمري؟؟)... بلع ريقه الذي كاد أن
يسيل من رائحة عطرها الفواحة، فابتسم لها
بتوتر وهو يشير لوالده بأن يتقدمه. خطت
بخيلاء ووقفت أمام الحاج عبد الله تقطع عنه
الطريق لتصافحه بجرأتها قائلة بترفع
... (مرحبا يا حاج ... أنا صباح ابنة زكريا
المرابط ...). تأمل الحاج عبد الله يدها
الممدودة بحاجب مرفوع، ثم أجابها بنبرة
حمد وشكر عليها ياسين ربه، فحنقه البارد

المبطن بتهديد خطير أفضل بكثير من
فقدانه لأعصابه.....(أنا أعرف من أنت و من
هو والدك و يبدو أن زكريا رغم ولادته
على هذا الجبل لم يتأثر بأخلاق أهلها
..... لا مشكلت سألفت نظره حين ألقاه
.....).... انصرف وهو يُعدّل من عباءته الرجالية
على كتفيه، دون أن يلقي عليها نظرة أخرى،
تاركا لها متجمدة كيدها الممتدة لتجفل
على نبرة ياسين المعتذرة.....(أنا آسف.... أنست
صباح والدي صعب المراس لكنه
... (ياسين!!!) انتفض مسرعا وهو

يغمغم بتحيةة مرتبكتة، ما إن لحق به حتى
همس بغضب أعلمه أن الأمر لم ولن ينتهي
عند ذلك الحد.... (مهمهم تصافح النساء
على آخر الزمن يا ابن الحاج عبد الله يبدو
أنني أخطأت حين سمحت لك بالسفر الى
العاصمة.... و كان علي معاملتك
كإخوتك البنات....) استنكر ياسين
بأدب لكن حازم... (أبي!!... أنا لم أعد صغيرا
كي تحدثني هكذا....) توقف الحاج
عبد الله على مقربة من باقي الرجال داخل
منزل آل عيسى، تحديدا قرب الملحق الذي

جهزوه على شكل صالمة يستعينون بها في
مناسباتهم، ثم قال بخفوت لا يخلو من
التهديد وهو يرمق ولده في مقلتيه.... (إذن
احترم شاربيك ولحيتك.... وتصرف
كرجل أحسبه فيك ومنك..... فقد ولي
عهد الرعوننة واللهمو.... واعلم أن الرجولنة
ليست هيئة ظاهرة أو رغبات جامحة.... إنما
هي مسؤولية قليلة من يحظى بحمل شرفها....
وإن لم تحظى بذلك الشرف أخبرني.... كي
أحمله بيدي هاتين وأرمي به فوق عاتقك....
لأن عبد الله آل طالب لم ينجب إمعته.... لا في

أخلاقها لنرى ابنتك وابنة الجبل ... حين

أنتهي منها كيف ستكون أخلاقها يا

صاحب الأصل والفصل). رفعت رأسها بأنفة

تتعمق بأنفاسها، كي تهدي من روعها الأرعن،

لتكمل بعدها طريقها بتصميم على ما نوت

عليه.

.....

بيت عزيز ...

رفعت رأسها من على طبق طعامها، لتتنظر الى

تحديق الغامض، يبت في أوصالها الرعب

بناته و لا في ولده بكره.....)..... والتفت

باسما في وجه الرجال ولا كأنه غضب قبل

ثانية. تنفس ياسين بعبوس ثم تمالك نفسه

متدبرا لثغره بسمته مجاملة مستأنفا طريقه

تجاه مضيفيه

اشتد فكيتها بشكل مخيف، وانقطعت أنفاسها

للحظة حتى أوشكت على فقدان لجام عقلها

الواهر، وارتعشت يديها من فرط غضبها

فهمست بحقد(ابنة زكريا المرابط

الغريب على هذه الجبالستريك من كرم

بكل حالاته المختلفة ما بين العصبية

فيصبح عليها متعللاً بأتفه الأسباب الى درجة

الضرب و الإهانة، وهدوءه المريب كاللحظة،

فإما يكون بالقرب منها بجسده فقط ساهما

دون هدف لا لرؤيته أو حضوره أو يحدق فيها

بغرابته. كغريبة عادته يأكل كثيرا حد

الشراهة حيناً أو العكس حد الاكتفاء

بالسجائر و القهوة. أثرت الصمت فعادت الى

اطراقها الذي لم يُطل حين نظرت إليه بحيرة

يسألها... (متى ستظهر نتيجة امتحانك

؟؟؟)... بلعت ريقها ترد بتردد ..(آخر

الأسبوع...)... رفع دقنه متمعنا فيها وتحدث

بغموض... (مهمهم... ومتى ستحصلين على

شهادة ورقية... هذا اذا افترضنا نجاحك

؟؟؟)... قطبت بريبتة بالغتة وهي ترد بحذر...)

بعد ثلاثة أشهر بإذن الله....)... حينها هتف

بسخط... (كيف ؟؟؟) ... و ماذا إن أردت

البحث عن عمل ؟؟؟ ستنتظرين ثلاثة أشهر

؟؟؟)... قفز حاجبيها السوداءوين صدمت تهتف

دون وعي... (عمل ؟؟ ...ستسمح لي

بالعمل ؟؟)... رمقها بامتعاض يقول بانفعال

... (وهل سأصرف عليك مدى حياتي ؟؟ لما

تظنين سمحت لك بإكمال سنتك الأخيرة
؟؟؟... أتمرغ في هوى عينيك أنا!!!؟؟؟...
لم تسعد ليس بسبب حديثه المتدفق بسُمه،
لكنها تعرفه جيدا رغم السنة الوحيدة التي
عاشها معا، تعرفت عليه بكل أفكاره و
صفاته التي أغلبها ذميمة، أناني متعجرف الى
حد الجنون بأنواعه....جنون العظمة، الهوس
أو حتى الفصام، منافق منعدم الأخلاق كل
هذه الصفات وغيرها التمسثها خلال السنة
التي عاشتها معه في الجحيم، لذا سماحه لها
بالعمل يصددها بل يخيفها أكثر حتى مما

يسعدها. هذا الكائن أمامها من سابع
المستحيلات أن يسمح لها بأمر يعلم مدى
رغبتها فيه، كونه سيؤمن لها سندا قد تعتمد
عليه كي تفر منه و من أهلها دون خوف من
الزمن و الحياة، مستحيل على ماذا ينوي؟؟
ترجمت خاطرها بكلمات متوجسة تقول
... (أستطيع البحث عن العمل.... بشهادة موثقة
منهم بعد تعليق النتيجة مباشرة... في انتظار
الشهادة الأصلية...). صمتت تتطلع لحديثه
مهما يكن، علها تستشف القادم المجهول مع
جحيمها.... (إذن تستطيعين البحث عن عمل

يحتاجون الى موظفين حالياً.... إلا إذا كانت

صديقتك البهاء....تستطيع التوسط لك

عند زوجها صاحب المصنع (...). ففرت فمها

دهشة لتفكر بسرعة وهو يسترسل بلؤم....

(إن كان عرسها ولم تدعوك إليه... كيف

ستتوسط لك عند زوجها....الذي لا أحد

يعلم لما ترك نسب المرابط لأجلها؟؟.... ماذا

أقول !! الفتيات ماكرات مهما أظهرن من براءة

(...). رفع حاجبه اشارة الى معنى محدد

تجاهلته قائلة بريبتة... (حق لا يجمعني بها

سوى الدراسة.... لا علاقة شخصية

أول ايام الأسبوع القادم.... وأنا لدي فكرة

عن أول مكان ستقصدينه (...). ابتمس

بمكر مع آخر حديثه، ليرد فمك مكملاً بلؤم

لم تفهم سببه....(مصنع المرابط (...). لم

تفهم فقالت بألوية تستفسر... (على العموم لا

يوجد في المدينة سوى مصنع المرابط و

مصنع آل عيسى.... لكن ما الذي يجعلك

متأكد من قبولهم لتشغيلي في مصنع المرابط

بالذات؟؟.... فأنت تعمل لدى آل عيسى....

اتسعت بسمته يقول بعث....(سألت معارفي في

موقع العمل.... الإدارة في مصنع آل عيسى لا

بضجر... (أخبرتكم.... غبية.... شقيق البلهاء

يكون مدير مصنع المرابط.... وهم في

حاجة لموظفين في إدارتهم.... لذا.... هل انا

مجبور على التتمّة أم أنك فهمتي؟؟؟.....)

شهقت بخفوت و الإدراك يزحف الى عقلها

رويدا تهمس بصدمته... (مستحيل.... تريد

استغلال صلتها اتهمت فيها شرفي زورا... و أمام

والدي؟؟... هل جننت؟؟)... اقترب منها

يمسكها من شعرها يرد بفحيح.... (ألجمي

لسانك الجميل هذا قبل أن أقوم بقطعه

بنفسي..... لو شككت بك لثانية لكنت

بيننا....)... ضحك بسماجة ثم قال... (أعلم

.... أعلم.... لكن شقيقها رآك معها.... وهذا

كاف...)... علت وتيرة تنفسها تسأل

بقلق... (كاف لماذا بالضبط؟؟؟).... أجاب

بمكر يتسلى على أعصابها، وهو يريح ظهره

على الوسادة من خلفه، فاردا ذراعيه عليها بعد

أن أشعل السيجارة التي لا تعلم كم.... (لأن

يسعى لتشغياك حين تتقدمين بماضك في

إدارته.....)... سألت من جديد وبغباء اعترفت

به لنفسها حتى قبل أن يهتف به.... (إدارة من

؟؟؟... و ما ف من؟؟؟)... هز رأسه يقول

وجهها مستطردا باحتقار... (هذا الوجه الجميل

بالعينين البريئتين ... سيقع في الفخ بكل

تأكيد). ... تركها منفضا إليها بقرف

يكمل قبل أن ينصرف (ألم أفعَل أنا ؟؟

... أحذرک من عصياني.....). تلاحقت

أنفاسها من آلام قلبها، و خوف من مستقبل لا

تلمح له من معالم.

.....

قتلتك في أرضك و لن يلومني أحد أولهم

والدك العزيز بل سيكون أول

الشاكرين.....). نطقت بغل ولم تعر ألمها أي

اهتمام (انت منافق... كاذب ... آآآه). ... شد

على شعرها بحدة أكبر يرد بغل ... (سأفعل أي

شيء كي تتيقني من أن لا فكاك لك مني

.... أي شيء يا حفصة تذكري هذا

يوم الاثنين ستقصدین مكتب شقيق

صديقتك البهاء و تقدمين له الملف

بنفسك..... وان لم تفلح الواسطة أنا

متأكد من فلاح هذه الواجهة.....). ... أشار الى

بيت آل عيسى ...

أقفلت عليهما باب غرفة الأخرى بعد أن

تركت يدها تسأل بلهفة... (أخبريني.... ماذا

حدث؟؟؟).... تحدثت إيّجّة ترد بتبرم من

سحبها لها بتلك الطريقة من وسط النساء الى

غرفتها وكأنها هي والدة العريس... (فعلت

كل ما طلبته مني....).... صمتت فقالت صباح

تحثها بنفاذ صبر.... (و....!!؟؟).... ضمت جانب

فمها بسخط تجيب... (العباءة اختفت و ابني

دخل بها...).... ردت صباح بعدم تصديق

توشك على ترك العنان لجنونها ان يعيثر

بأهل الجبل فسادا أولهم هذه العجوز أمامها

....(ماذا؟؟؟...دخل بها...كيف؟؟؟).... احتد

تبرم الحاجة تتخصر قائلة بتهكم....(هل

كنت تظنين فعلا أن عباءة سوداء و برد

مكيف....سيمنع شابا بصحته ما شاء الله و

حفظه الله لي، أن يدخل بزوجته؟؟؟، فهو لم

يكن يوما لاهيا أو ذو تجارب، حفظه الله من

العين و أطال في عمره....).... قبضت صباح

على حزام قفطانها كي تتمالك غضبها من

غباء المرأة أمامها، طبعا لم تكن تعتمد على

سواد الهدام أو البرد، كانا مجرد عاملين

بهينين لا تصدقي وجهها البريء.... انها
حرباء تتلون بلون الصدق كي تسحر قلبك
الطيب و بعدها تسحب البساط من تحت
قدميك رويدا .. رويدا... ستستولي على ابنك
وتسحر عقله و قلبه فلا يرى غيرها ...
سينساک و يستبدلك بها ولا تستغربي
حينها إن بعد عنكم و استقل بسكنه
...فقط كي يحقق أحلامها) ... جحظت
مقلتي الحاجة وهي تتشرب كل كلمة
تنطقها ويصدقها قلبها الملتاع الذي داق طعم
الفقدان من قبل، فاقتربت تمسك بيدي

كي يزيد نفوره من عروسه حين يفهم أن
ذلك تصرفا منها و تعبيرا صامت عن رفضها
له، أما جل اعتمادها كان على السحر الذي
أكدت لها خادمتهم الغبية، أنه فعال و مُجرب
سيؤثر عليه و لن يتحمل حتى النظر في وجهها
... (حسنا و أين العباءة الآن ؟؟؟) ...
اكتنفت الحيرة ملامح وجه الحاجة وهي
تجيب ... (لا أعلم اختفت و كأنها لم
تكن وهي أيضا لا تعلم ...) ... تحدثت
صباح تقول بغل، تبث سمها (وهل صدقتها
؟؟ ... أخبرتك من قبل هؤلاء الناس ليسوا

لا تعلم مع من تتعامل) ... استرجعت طلبات

الخدمة فقالت بحزم(بما أننا لم نحصل

على دماءها ... فيجب أن تحضري لي شيئاً آخر

يعوضه) ... قطبت إيجتة مستفسرة ... (ما هذا

الذي يعوضه ثم أنت لم تخبريني لما أردت

الدماء من الأساس) زفرت صباح بضجرو

قالت ... (نرقيه يا حاجتة كي يبطل جميع

أسحارها و يكفيك وابنك شرها)

هزت رأسها بفهم فأردفت صباح (أريد قطعة

من ملابسها الداخلية ... من الأفضل لو كان

ثَبَان لكن غير نظيف ... احرصي على ذلك

صباح تقول برجاء وجل ... (لا ... ليس أحد

أبنائي لن أتحمل إنهم فلذات كبدي و

قد أقتل من يقترب منهم بسوء) ... أخضت

صباح ابتسامتة ظفرو سألت عن الأمر الذي

استبعدته لكنه حصل (بما أنه دخل بها

.... أين دماء عفتها ...) ... هتفت بسخط عاد الى

نبرتها (الغبيبة نظفت شرشف السرير

قبل أن أطاله ...) ... زمجرت صباح بنفاذ صبر

حتى انتفض قلب إيجتة من الخوف (ألا

تفهمين؟؟ ... هذا يؤكد كلامي ... إنها فتاة

ماكرة ... و لا علاقة لها بالبلاهة لكنها

يخطف أنفاس الناس من حولها، إلا هي أشعل
في قلبها نار الحقد و الغل، تقسم بغلاظ أيمانها
أن تزيل تلك الملامح البريئة السمحة، حتى
لا يبقى منها سوى سواد الحزن و الخزي ...

.....

بيت المرابط...

هاتفه على أذنه يحدث مخاطبه بحزم، يخطو
عبر رواق الدور الثاني لمنزله، متوجها الى
حيث ينتظره والده، ليذهبا الى عرس آل
عيسى في يومه السادس و الأخير....(أجل
حاج عبد الغني أنا أتفهمك ... و قريبا

(.....).... عادت الحاجة تهز رأسها فقالت صباح

حين تذكرت شيئا آخر... (و الدواء... هل

شربته؟؟؟)..... إياك أن تقولي نسيت

...سأجاط بحق؟؟؟).... ابتسمت بمكر تجيب

... (لا لقد شربته... أعطيتها إياه في

عصير...).. تنفست براحة تسأل التأكيد...

(هل أنت متأكدة؟؟؟).. (أجل بكل تأكيد

...هيا لنعد الى النساء....).. تبعتها و داخلها

يشتاظ غضبا من عوج سير خطتها، لتجد

العروس في وجهها مبتسمة بسعادة تألقت في

عينيها اللامعتين، لتضيف على براءتها بهاء

جدا سأزوركم بإذن اللهلم تعد من

العاصمة بعد؟؟....(صمت ثم).... حسنا لا

مشكلت ... أول عطلة لها و سنلتقي ... (صمت

(... لا تنسى أنها ابنتي ...قد أكون مقصرا

في الزيارات...لكنني لم انساها يوما ... و

كما أخبرتكسأتي بإذن الله شكرا

لك ...وداعا ..).... أنهى اتصاله يفكر في ما

ينوي فعله قبل فوات الأوان، ليعي من أفكاره

على نداء والده الجالس بالقرب من ابنه الثاني

و ابنته، لكن ما لفت انتباهه هي الحقائق

التي يحملها الخدم الى الخارج(تعالى بني و

حدث أخاك ...أنا تعبت).... نطقها الحاج

أحمد بتعب ليقول يحي قبا أن يتدخل الحاج

زكريا ... (من فضلك أبي سأهتم

بوكالتنا في العاصمة بمساعدة عواطف و

نغير أجواء الجبل القاسية ...فأنت أعلم بي

أحب هواء البحر... يوافق صحتي أكثر..) ...

زفر والده فقال الحاج زكريا بحيرة ... (هكذا

؟؟ ...دون حتى انذار؟؟... لما هذا القرار

المفاجئ؟؟....) ..فركت عواطف يديها بتوتر

ووالدها يرمقها بإشفاق فهمه الاثنين، فقال

الحاج زكريا باستسلام ... (لا مشكلت أبي

موقفهم(ما بكم ؟؟...ألا تعلمون ماذا يعني

ذلك؟؟... الجميع يعلم أن المعادن من الأراضي

السابقة جودتها تقل و بحضره في أراضي

جديدة يعني شيئاً واحدا سيسبقنا دائماً

بخطوة ... العملاء سيفضلونه بعدما كنا

ننافسهم بقوة) تحدث الحاج أحمد

مستنكراً يقول بتهكم ... (وما المفروض

علينا فعله يا نبيه؟؟؟...) ... صك أسنانه بحقد

يرد.... (لنشترى أراض نحن أيضا بالجبل

الأبيض...المال يغري أعتى الرجال...)

ضحك يحي ساخرا فاشتدت أعصاب ابنه

الوكالة بالفعل تحتاج لمراقب موثوق ...

لكن لا تطيلا الغياب ..).... ابتسم له شقيقه

بامتنان و هز والدهما رأسه بتهفه ليجفل

الجميع على هتاف مجيد الساخط... (هل

علمتم آخر الاخبار؟؟).. التفتوا إليه بدهشة

مريبة ليجيب وهو يقترب منهم(ابراهيم آل

عيسىسيبدأ الحفر في الجبل

الأبيض...). أسدل الحاج أحمد مقلتيه بيأس

من حفيده كما امتعض يحي لنفس السبب،

بينما الحاج زكريا قد بدت هيئته على

تفكير عميق، ليردف هو بعدم تصديق من

سهل الاستلاء عليها.... بل اشتراها بحضور
كبار الجبل... وعاش من الحلال و بالحلال....
حافظنا عليه و على سمعتنا الطيبة ليأتي
زمانك أنت و تفقدنا هيبتنا بين الناس
...أقسم يا مجيد.... لو تصرفت تصرفا يجلب
لنا العار... لفعلت مثل الحاج إبراهيم آل عيسى
وأسلمك للشرطة بيدي هاتين.....).... تنفس
ليريح صدره ثم التفت الى يحي مردفا قبل ان
يحث زكريا على المغادرة ليقبل راس حفيدته
مغادرا بالفعل....(عقل ابنك يا يحي... قبل أن
تسافر.... و رافقتكما السلامة... اعطني

أكثر، يجهل متى بالفعل فقد ثقة والده
الحنون... (أنت فقط من تعتقد ذلك
... بالنسبة لهؤلاء... و في هذا الزمن بالذات
... لا شيء يهمهم أكثر من الأرض ... بها لا
أحد يحق له طردهم أو ظلمهم....).... ليهتف
مجيد بتهديد... (فلنشتريها بالغصب اذن
... نحن لسنا بهنين و لنا معارف في المناصب
العليا...)... انتفض الحاج أحمد من مكانه
بغضب معه يحي ليجفل زكريا من تفكيره
العميق... (هل جننت؟؟... لم يفعلها جدي
أحمد في زمان كانت فيها الأراضي مجرد خلاء

بنفسك يا بنتي....هيا يا زكريا !!!...تأخرنا
بما فيه الكفاية...).تحرك زكريا
يقول بهدوء قاصدا مجيدا الذي اسود وجهه من
الحقد و الغضب... (نحن لسنا في حاجة للطرق
الملتوية كي نحافظ على مكانتنا إن
أردت تعلم حكمة العاقلين أنظر الى
ابراهيم آل عيسى كيف يتصرف و المال
يا بني ليس كل شئ ...صدقني ...)التفت
الى شقيقه معانقا إياه بود يوصيه ... (اعتني
بنفسك لا تقسو على ابنك لازل شابا....
أمامه الكثير ليتعلم الى اللقاء ابنتي

....) قبل رأسها و رحل فقال يحي بفتور
... (لما لا تأتي معنا؟؟ ... و ترح بالك من
كرهك لابن آل عيسى الذي لا أعلم له سببا
...) أجابه بعبوس ينكر ما في قلبه ... (أنا
لا أكره انتم لا ترون ما أراه سيسحب
البساط من تحت أرجلنا حتى قبل أن نعلم ... و
سنجد أنفسنا مطرودين من المدينة ...)... زفر
والده بيأس من تابع قلبه، يحبه ليس بيده،
يراه سائرا الى هاويته لكن ما بيده من حيلته،
لو كان في عمر الضرب لكان أدبه كما لم
يفعل يوما... (لا فائدة منك أتوسل اليك

بني... لا تقم بفعل مشين تسيء فيه الى
عائلتك.... و احذر أن تفعل بنا انت ما تخشاه
من الغريب أن يفعله.... هيا حبيبتي (... و
كأنه تذكر فسال بدهشة... (بالمناسبة الى
أين؟؟ سهوت فلم أعقب على سفركم
المفاجئ...))... اقتربت منه شقيقته تلمس
جانب وجهه قائلة بحنو... (سنتوجه الى
العاصمة... تعالى معانا أخي و اترك كل
شيء هنا.... أرجوك أخي...))... قطب يرد
بإدراك غاضب... (أنت تهربين.... ذلك
الندل السبب لا تفعلي.... سأرد لك

اعتبارك.... و سأجعله يتوسل رضاك... ثقي
بي (...). ... سحبه والده من مرفقه يهتف
بسخط، وعواطف قد تركت العنان لدموعها
الحبيسة في مقلتيها.... (هل جنت؟؟ اعتبار
من؟؟... ابنتي كرامتها محفوظة.... ولولا
تدخلك في ما لا يعينك لما ذكر اسمها في
الاتفاق من الأساس.... ابتعد عن ابن آل عيسى
أفضل لك صدقني.... و ابحت عن مستقبلك
و حياتك.... هيا ابنتي (!!))... تأبطت ذراع
والدها وانسحبا فراقبهما الى أن غابا مع
البوابة الداخلية ليهمس بكره.... (سأفعل يا

أبي وإن توقفت عليه حياتي ... و سأبرهن
لكم على شعوري تجاه العائلة التي تتهمونني
دائما بعدم تحمل مسؤوليتها سنرى ما
سيكون رأيكم حين أسحب انا البساط من
تحت رجليه... ابن سليل الجبل ذاك (.....)

.....

بيت آل عيسى

استوى على المقعد جواره فأجفله من انتظاره
مراقبا رحيل النساء أخيرا و بعد طول
اليوم،..... (لقد تعبت يا رجل أعراسكم
متعبت والمشكلة انكم لا تعترفون بشيئ

اسمه منظم حفلات) ... ضحك عيسى من
صديقه المرخي لجسده على الكرسي
البلاستيكي يردف بنفس تهكمه المرح
... (لكن مع هذه الأعداد المهولتة من الضيوف
و أيام العرس التي لا تعد أشك في براعة
أي منظم ...). لا زالت الضحكة على ثغره
يجيب مفسرا .. (ليست تلك الأسباب التي
تمنعنا عن الاستعانة بمنظمي الحفلات)
لفت انتباهه وهو يستطرد ... (أولا ... أهل
المدينة يعرفون بعضهم الفقير منهم و الغني
... لذا حين تقرر عائلة ما اقامة عرس

...يجتمع الجيران و الاقارب للمساعدة منهم من
هو معروف بطهي الطعام و الشباب منهم يهتم
بالتنظيم و الخدمة.... وفي آخر العرس يجازى
منهم الفقير بالكثير من الطعام و المال اذا
اقتضى الأمر.... هل فهمت؟؟؟).... هز رأسه
يقول باعجاب... (جميل جدا يا صديقي
...عاداتكم رائعة...)... رحل المرح ليحل
مكانه السخرية المريرة مجيبا ببعض من
الحسرة.... (لقد تغيرت الناس يا منصف.... لو
بقيت سائر العادات و الأخلاق القديمة لكانت
أجمل.... لكانت جنة....).... قطب منصف

يرد بتفهم ..(إنها حال سائر الأمة يا عيسى....
كثرت الفتن... و تداخلت الحقائق
.... فأصبحنا في حرب شعواء مع النفس كل
يوم.... جهاد يوازي الجهاد في سبيل الله....
نحارب الرغبات و الشهوات خوفا من سوء
خاتمة على حين غفلة.... إنه زمن لا يعين
على الصلاح....)... أقر الأمر في نفسه لكنه
قال ليغير أجواء جدية الحوار... (بركاتك
يا شيخ منصف....)... ضحك منصف مزيلا
قبعة يضرب بها كتفه فقام عيسى يعدل
عكازه قائلا... (هيا.... لم يبق من النساء

خطواته ليقف كلا منهما بصدمته على الباب

الداخلي حين تناهى الى اسماعه قبل ان

يلامحها تصيح بفرع باسم شقيقتها

المتدحرجة على الدرج حتى تكومت داخل

ثوبها الأبيض ليشمل كامل بدنها و كأنها

لُفّت في كفن...

.....
في مكان ما بين الجبال....

رن هاتفه يعلن عن دخول رسائل واتساب

تفقدتها عالما بماهيتها، يتأملها بنظرات فارغة

و ملامح لا تنم عن شيء، إلا للجالس قبالتها،

سوى العائلة.... يجب ان أراها قبل ان ترحل

(... وقف هو الآخر يستفسر... (من؟؟؟)...

تقدمه يرد بعبوس.... (صاحبة الاسم الغريب

(... ابتسم ببلاهة حتى ظهرت غمازته قائلاً

بمرح... (رواها الح.....) ...التفت إليه عيسى

يرمقه بملامح مغلقة يحذره... (منصف

!!)...كف عن ذلك... الأمر هنا ليس

كالعاصمة.... أحذرك... (رفع يديه

مستسلما... (أنت تعلم أن الأمر لا يعدو عن

كونه مزاحاً لا غير... أم انك نسيت من

ينصح من؟؟؟).... هز رأسه بيأس و استأنف

بخطورة كانت لتفزعها فيما مضى، بل وتجعله

يرتعد رعبا لكنه ابتسم باستفزاز

مستطردا....(أخي الكبير...مهمم ماذا أقول

؟؟؟...إنه فعلا وسيم...رجل مهيب...). رمى

يونس بهاتفه على المائدة أمامه فقال ابنه

مقوسا لحاجبيه السوداوين مسترسلا في

استفزازه... (أتعلم أنه يشبهك في الشكل

...؟؟).. أشار الى وجهه ثم أكمل... (الشعر..

الملامح الصارمته.... إلا أنه لم يحظى باللون

الأسود...كان ليكون صورة طبق الأصل.... لو

نال الأسود منك و من جدي كقريني

يعلم كافة تفاصيله، تعابير وجهه في كافة

حالاته. أوليس والده؟؟!!، تربي تحت يديه و

تجرع حديثه و كلماته الباردة يوما بيوم، بل

لحظة بلحظة، تحمل معاملته القاسية

كقساوة الجبال من حولهم، لذا هو الآن

متأكد من غليان أحشائه....(هل أنت حزين

لعدم حضور زفاف ابنك البكر؟؟...شرف

سليل آل عيسى...). لم ينظر اليه وهو يشد

على الهاتف فابتسم بلؤم يردف بغموض

... (كانت لتكون مفاجئة لا محالة.... لكن

...سعيدة؟؟ أشك....). رفع رأسه يرمقه

(.....).... تحدث أخيرا يقول بتهكم

مغيض... (كف عن البحث خلف اخوتك...)

فهم أبدا لن يعترفوا بك .. او يقبلوك حتى

لو قبلت أرجلهمفانسى امرهم واهتم بالعمل

.... المال هو فقط سندك في هذه الحياة...)

اشتعل صدره بغل و ارتفع المرار الى أعلى حلقه

قائلا... (الشحنة وصلت و سلمت كما العادة

...اما بالنسبة ل.....)... تلكاً بمرارة ثم

أكمل... (إخوتيفأنت مخطئ تماماً)

...نظر اليه بترقب يسأل... (ماذا تقصد؟؟؟)...

عادت بسمته الباردة يقول مضييقاً مقلتيه

بتسليته... (يبدووا أنني أشبهك أكثر من

بكرك ملامحا و لونالدرجة الصدمة

.... لأن أخي العزيز المسمى على جدنا

الأكبر.... رأني صدفتا في العاصمة أثناء

العملية الأخيرة فتجمد مكانه كأنه رأى

شبحا.....و لم يكتف بذلك....) ... ضرب

يونس على سطح المائدة يهتف بسخط....

(أكمل حديثك يا ولد !!)....ماذا حصل

؟؟).... ضحك حين حقق نصره الصغير يرد

بفتور... (تتبع خطواتي كنت سأدعه

يشبع فضوله ...بعد أن نلعب لعبة المتربص

بغضب... (قتلت أخاك هل قتلت أخاك

؟؟؟)... نفص يده ساخطا يقول ببرود قبل أن

ينسحب... (طبعاً لم يميت أم أنه لم يظهر

في الصور التي أرسلت لك؟؟ اطمئن انا

تفقدته قبل أن أختفي... كسور طفيضة

لو كنت أعلم أنه طري... ما كنت لأعبته

(... تنفس يونس بحدة يهدر بغل... لم

أنجب سوى حفنة أغبياء لا أحد منهم

فهمني أغبياء!!!!).

.....

.... لكن للأسف ضاق الوقت بي و العميل على

وشك الوصول فغيرت اللعبة الى سباق

سيارات... (تغضنت ملامح يونس يحدق في

صنعة يديه، وهو يردف بنفس الفتور الظاهر

كتهكم (لكنه ليس بسائق ماهر لم

يكمل شارعين حتى انقلبت به سيارته)

(ماذا؟؟؟؟!!).... نطقها يونس بفزع بالتزامن

مع وقوفه ليقول ابنه ساخرا و مندهش من ردة

فعله... (ماذا؟؟.... ماذا؟! لا تقل أنك تهتم

.... آه... لا ... سأتأثر حقا وقد تدمع عيني

(... اقترب منه جاذبا اياه من ياقته هاتفا

بيت آل عيسى ...

رافقتها لتودعها بعد أن هاتفهما ياسين
يخبرهما ان ميمونة بعثت له خبرا مع صبي،
بعودتها الى بيتها بسبب الضيوف، وتركت له
مهمة إعادة أخته. لمحتا صباح تخرج من
الصالون برفقة والدتها فهمست لأختها قائلة
... (ألا تستحي تلك الفتاة؟؟... تتصرف
كأنها صاحبة البيت أخرى في مكانها
كانت لتختفي عن اعين الناس خجلا من
فعلتها انت طبعا لم تعلمي
سأخبرك...)... نظرت إليها حق ترد بخفوت

معاتبة... (رواح لا أريد ان أعرف شيئا و
كفي عن هكذا حديث ... ماذا ستستفيدين
من كل تلك الأخبار؟؟؟ ... عقلك سينفجر
.... و قلبك سيأثم ... هيا اسرعي ... أبي
سيغضب ان طال انتظاره ...)... كانتا على أول
السلم و صباح برفقة والدتها خلفهما مباشرة
... ترمق ظهرها بغل لا يضاهاها، لم تحقق شيئا
بعد من خططها و الغيبة ابنت عمها رحلت،
هاتفها مجيد ليفرغ فيها غضبه فاشتدت
اعصابها تشعر بصدرها يضيق و يضيق، كلما
لمحتها تضاحك أختها أو أحد الضيوف تنتقل

بروية كمخلوق نوراني لا علاقة له بأهل
الأرض، وتلك البسمة العالقة بثغرها وكان
ملامحها خلقت تبتسم، لم تشعر بنفسها وهي
تدعي اندفاعها الى الأمام بسبب كعب
حدائها لتدفع التي أمامها، وتتدحرج على
الدرج تلتف مع كل درجة في طبقات رداؤها
الأبيض. صاحت رواح بفرع جمع من في
المنزل في لحظة، وكان أول من وصل منتصف
وعيسى الذي رمى بعكازه ناسيا رجله
بجبيرتها، تجمدوا يحدقون في ذلك الجسد
الضئيل الملتف بثوب أبيض، كميت بكفنه،

حتى صباح التي جحظت مقلتيها لا تصدق
فعلت يديها لينتفض عيسى على اثر صراخ
رواح المصدومته، التائهة، الخائفة... (افعل
شيئا... لما أنت جامد هكذا؟؟؟)...
استغرب قصده هو دونا عن الآخرين فهتف
بدوره.. (ماذا أفعل؟؟؟)... تدفقت الدموع من
مقلتيها تصيح بهلع... (أنت الرجل هنا... افعل
شيئا... أو أنت... يا الهي... انها لا تتحرك
...). اقتربت رواح بالتزامن مع حديثها،
ليتحرك الباقي وكأنهم أفاقوا من غفلتهم
أخيرا،... (اتصل بشقيقك يا عيسى... يجب أن

نسعتها... قالها منصف فهز عيسى رأسه
منفذا، مالت عليها إيجتة المصدومتة هي
الأخرى وإن لم ترى الواقعة، فقد انشغلت تملئ
على المساعدات مختلف المهام، ليسمعن
الصياح المضزع....(كيف سنزيل عنها هذا
الثوب؟؟؟... لقد التف بها كليا بطبقاته
....) ... تحدثت رواح ببكاء وهي تحاول
الوصول الى وجهها لكن عبث، وكان الثوب
تداخل مع بدننها و أبى أن يفارقها....(يا إلهي
حق...أفيقي حبيبتي...حق!)... نبرة
متألمتة طعنته في صميم قلبه لنحني هو

الآخر مهدئا لها... (لا تخافي... ابراهيم أمام
البيت انه قادم... و برفقته صديقه الدكتور
أمين...). لم يكدا ينهي جمالته حتى وقف
عليهم ابراهيم ببدلته يلهث وهو يراها
مكومتة على الأرض و الجميع ملتفين حولها.
لم يستطع رؤيتها طوال اليوم، انشغل بالوفود
من الضيوف، و بعض العملاء الذين استغرق
معهم في الحديث عن الحضر الجديد، كما
الشباب من مدينته يحاول استرجاع علاقته
القديمتة التي انقطعت بسبب ما فعله والده،
يريد أن يبني لنفسه قاعدة متينتة، يطأ عليها

بثقتي كي يخطو نحو المستقبل. دغدغه قلبه
مذكرا اياه باقتراب عودته لمن تركها اليوم
بطوله، فلم يبق سوى بعض من اصدقائه
القدامي يُحدثهم على باب منزله ليودعهم من
بينهم الطبيب أمين، من حسن حظه، فسحبه
بقلق حين أنته مكالمته شقيقه. أجفله
الطبيب أمرا اياه بحملها الى غرفتها كي
يتمكن من فحصها، فأطاعه بصمت والتقطها
بسهولة يهرول بها الى غرفتهما. سحبت نعيمة
ابنتها تغمزها بعبوس فهمست لها بسخط...)
انتظري.... لا يجب أن نرحل حتى نعلم

مصيرها! (...)... اجابتها والدتها بتهكم
ساخط... (لما؟؟... وهل تعمدت
إسقاطها؟؟... لقد كان حادث أليس كذلك
؟؟؟)... زاغت مقلتيها تتمتم بتيه، فوكزتها
والدتها تحدث الأخرى من خلفها.. (لقد
أصابتكم عين يا حاجتة إيجتة... أتمنى لها
الشفاء... بإذن الله...)... وكأنها وعت على
صدمتها حين لمحت ابنها يحملها بين يديه
بتمالك لتتذكر حديث صباح، فقالت
بانزعاج واضح... (بل قولي ابتلينا بلهاء
..... فضحنتنا... كنت اعلم أن العرس لن يمر

على خير....) ... ابتسمت نعيمة فقد نجحت
ابنتها في استمالتها كليا لتستغل الفرصة
قائلة وهي تسحب ابنتها مغادرة... (لقد تأخرنا
يا حاجتة.... سأها تفك كي نطمئن على
كنتك.... وداعا ...). ... هزت رأسها ثم رفعته
تجاه الطابق الثاني، واستدارت تلحق بهم.
وضعتها على السرير وطبقات ثوبها الأبيض
يلتف حولها كشرنقة، ولولا خوفه عليها
لابتسم للطرفه، بعد أن حذرهما من السواد
يجدها مغطاة بالأبيض. حاول ان يحرر وجهها
على الأقل فنجح بعد برهة ليلمس وجنتيها

رابتا عليها بروية يناديها.... (حق.... أفيقي
... حق.... انت بخير؟؟؟).... اقترب الطبيب
منهما ليتحسس العرق النابض في عنقها، بعد
أن أزاح طرف حجابها فقط،... (قلبا ينبض
برتابة.... أحتاج لعطر....).. أسرعت رواح
الباكية بنشيج خافت لتحضر له العطر من
فوق منضدة الزينة، أخذه منها متمتما
بابتسامته مشفقة، جعلت المراقب لها يضم
شفتيها امتعاضا، وثوبها الملتف حول اصبعها
يهضف حولها و مع حركاتها، قرب العطر
الذي رش منه على منديل الى أنفها، فتململت

بعد لحظة تئن بضعف. مد الطبيب يده

ليلمسها فتوقف حين تحدث ابراهيم مستفسرا

عن حركته ليجيب باسماء... (أريد التأكد من

عدم وجود كسر في أي من أطرافها...)

حك رأسه مفكرا يجهل ذلك الشعور

المباغت لصدره، يعلن عن رفض للمسها من

طرف غيره، لتهتف والدته بحنق جعله

يستسلم على مضض ويتراجع تاركا للطبيب

مساحة بقربها... (فلتدع الطبيب يقوم بعمله

!!)... ما بك؟؟) ... رمشت بجفنيها فانتفضت

حين لمحت رجلا تعرفت عليه سابقا يفحصها

ليقول بهدوء، يبتسم بمجاملتة... (إذن لم

أخطئ... إنها فعلا أنت.... كثرت حوادثك يا

آنستة...)... (بل سيدة يا أمين.... أم نسيت أنها

زوجتي...؟؟) ... ابتمس الجميع بمرح باستثناء

ابراهيم الحائق يشعر بقلبه يتضخم في صدره،

و والدته المراقبة بامتعاض... (ماذا حدث؟؟)...

سألت حق بضعف، فرد ابراهيم الذي عاد الى

جانبا.. (ألا تذكرين أنك وقعت من على

الدرج؟؟؟) ... نظرت إليه محدقة ببلاهة،

ليقول امين بتعجب، بعد أن توقف عن

تفحصها، ... (الحمد لله لا كسور....أظنها

مودعا، ليجد رواح تعانق شقيقتها تودعها هي
الأخرى، وغادرت ليغادر شقيقه الذي تحمد له
على سلامتها بعجل، فكان آخر من أفضل باب
الغرفة منصف. ليجلس جوارها على السرير
يقول باهتمام... (هل يؤلمك شيء؟؟؟)
...هزت رأسها سلبا بخضر، فسأل بشبح ابتسامته
على جانب فمه.... (كالمرّة الماضية... تماما
لينتهي بك الأمر في المشفى أيضا...)
ابتسمت بخجل تهمس بهدوء.... (أغمي عليا
فأخذني أخي ياسين...). تحسس وجنتها
الوردية بظاهر أصابعه يقول بصدق... (الحمد

بعض الرضوض... تماما كالحادث السابق
.... أنت محظوظة يا....). نظر الى ابراهيم
ثم أكمل بمرح... (يا سيدة حق...)
تدخلت والدته تقول بسخط... (عادتها
الحوادث... إذن صدق من نعتها بالبلاهة...)
...اندهشوا من تحاملها على الفتاة فقال
ابراهيم بحزم جعلها تتراجع بدهشة، و
تنسحب من الغرفة بأكملها.... (على فكرة يا
أمي... أنا من صدمها بسيارتي قبلا... ولم
تشتكي أو تدعني حتى اوصلها للمشفى
....). صافح ابراهيم صديقه شاكرا له و

لله على سلامتكم... تحركت تعادل في
 جلستها ترد بنفس همسا... (سلامك الله من
 كل شر...)... قام من مكانه قائلا وهو ينزع
 عنه سترة بدلته... (هل تستطيعين تغيير
 ثيابك...)... لم يسمع ردها فالتفت إليها
 ليجدها متسمة مكانها ترمقه ببلادة، وترمش
 برموشها مرات عدة، ليضحك بمرح يقول
 بمكر بعد أن أصبح بالقرب منها... (أستطيع
 مساعدتك... كما فعلت مع العباءة...)...
 أومأت تسأل بتيه مندهشة... (لكنني لا
 ارتدي عباءة... هل ستخفي هذا القفطان أيضا

...؟؟؟).... للحظة تسمر يفكر في معنى
 كلماتها لينفجر ضاحكا من جديد وهو يقول
 بيأس... (لا... لن أخفيها كما فعلت مع العباءة
 ... بل سأنزعه عنك فقط...)... جعلت شفيتها
 السفلى بحيرة تهز كتفيها قائلة بتلقائية
 ... (لماذا؟؟... لا حاجة لذلك...)... ليقترب
 منها يشعر بحاجته تلح عليه كي يضمها و
 يقبلها، يسترجع ذلك الوصال الذي ظل
 يرتعش لذكراه، أعمق أعماق صدره... (بل...
 أحتاج لذلك و الآن...)... همت بالرد فالتقط
 شفيتها وضمها إليه بشدة حتى أنت من الأثر،

الغد، لكن عند طبيبة لا طبيب، هناك في
وسط احشائه سعادة تستتر بحياء، كونه
سينام جوراها هو زوجها لا غيره. استلقى
بجانبا ثم نظر اليها قائلا بحيرة... (كيف
وقعت؟؟) صمتت لبرهة كأنها تفكر في
شيء ما ثم قالت.... (أحد ما خلني... انزلت
رجله فدفعني....) ... هم بالتحدث فاعتدلت
مكانها، تلتفت على شقها الذي يقابله، تقول و
كأنها تقطع حديثه القادم... (أنا بخير....
حقا... لا داعي للتحدث في الأمر مجددا)....
تلاعب بخصلات شعرها الامامية ثم امتدت يده

أبعدها عنه قليلا ليتفحص وجهها المحمر و
المنكمش ألما، فقال ساخرا لكن بحنو... (لا
شيء يؤلمك... ها؟؟؟) ... أطرقت برأسها فرفعه
قائلا... (هل تستطيعين تغير ملابسك
بنفسك؟؟؟).. هزت رأسها بإيجاب فقام يحضر
لها منامة من بين ملابسها، ثم التقط منامته
وتوجه الى الحمام، خرج بعد برهة ليجدها
مستكينة على السرير تضم كفيها تقرأ
عليها ليفهم تلاوتها لأذكار النوم، ومع
احباطه من عدم قدرته على وصالها كي لا
يؤلم رضوضها التي سيتأكد من مدى ألمها في

لحركاتها الحانية، وأغمض مقلتيه ليشعر
بنفس الراحة، فجر ذلك اليوم تتسلل الى
صدره رويدا، الى أن غفى وعلى ثغره بسمت
أرخت ملامحه الصارمته، فكان آخر فكرة
كانت تجول بخاطره أن الحياة جوار هذه
الفتاة حتما ستختلف

يزيل مشبك شعرها، ليتحسس نعومته دون ان
يلفظ كلمة أخرى. يفكر أن الفتاة أمامه
بالفعل غريبة لكنها أبدا ليست ببلهاء. صمتا
كلاهما يرمق الآخر بتأمل ليتفاجأ من
حركاتها حين جذبته قرب صدرها، تربت على
شعره متمتا بكلمات حين اقترب أكثر
ليسمعها لم تكن سوى آية الكرسي، فرفع
رأسه يسألها متجاهلا توتر قلبه من قربها
... (سأتعبك !!).... أو مات سلبا تعيد رأسها
على صدرها تهمس بخفوت ... (سأرقبك
....حاول أن تهدأ و تنام)...استسلم

الزهد في الدنيا طلب التكسب وقصر

الأمل....الامام مالك بن أنس

بيت آل عيسى...

أسرعت رواح بما سمحته لها رجلها، وهي تمسح

دموعها تلهث من فرط التوتر والخوف، المشهد

أمامها هز بدنها ورؤية اختها تتدحرج من على

الدرج بتلك الطريقة أخافتها حد الصدمة،

علا رنين هاتفها فتذكرت ياسين وردت

بسرعة... (أخي....أنا أسفمت لكنك لا تعلم

ماذا حصل؟؟... حق وقعت من على الدرج

...لقد كنت خائفة أخي....)...استسلمت

لدموعها تكمل بحزن... (لا تخف أخي إنها

جيدة الآن...برفقة زوجها في غرفتهما....أجل

لقد فحصها الطبيب...اقفل أخي أنا

قادمة...)... (يا أنستة!!...انتظري!!)...)

توقفت ملتفتة الى مخاطبها المهرول خلفها،

والذي استطرد بإشفاق من دموعها... (لا

تبكي...أختك بخير...)...مسحت دموعها و

رفعت وجهها بكبرياء، ترد بنبرة جاهدت

لتحافظ على تباتها... (ماذا تريد؟؟؟).. قطب

بخفتة يقول بما يجول في خاطره... (أولا

كنت أريد الاطمئنان عليك...ثانيا ..)..

قاطعته تهتف بقوة واهنته و كلمات نجوى

المسمومة تعاد في رأسها كشریط علق في

مكانه... (أنا بخير... وداعا ...)

... (انتظري!!!).. نطقها بحنق جمدها

مكانها، ترمق تقطيبه الحاجبين الكثرين و

الأسودين بعبوس مشابه، فاستطرد بحيرة ...

(لما أنت هكذا؟؟؟...).. بلعت ريقها و الحنق

يتصاعد مع أحشائها، تبحث عن معنى لسؤاله

الغامض وهو يردف بنفس حنقه... (دائما

غاضبة... و عدوانية... كأنني اقترفت في

حقتك ذنبا عظيما لا أعرفه....).. رفعت

حاجبيها حين فهمت مقصده أخيرا، ثم قالت

باستعلاء لم يصدق حتى... (و لما تقترض

أنتي مهتممة بما تقترف أو تفعله؟؟ الدنيا

لا تدور حولك على فكرة...).. ابتم

بجدل يقول... (إذن صدق حدسي... و قد فعلت

شيئا ما...).. اهتز بدننا حين اكتشفت غباء

ردها، تهتف بغضب... (أنت لا تهمني في شيء

كي أكرهك او أحبك...وداعا!!!)..

اتسعت بسمته اكثر وهو يقف بطريقها مُصرا
... (أنا لم أسألك أن تحبيني مع أن
الفكرة مغريرة ...).. شهقت بحدة فهي لم
تتمادى يوما في الحديث مع شاب، إلا في نطاق
دروسها، و لم تعتبر اهتمام زملائها في المدرسة
سوى شفقة و رغبة في المساعدة، نظرا
لإعاقتها، خصوصا أنها كانت الوحيدة التي
تعاني من ذلك النوع من الإعاقات في مدرستها.
حدق بوجهها المندهش، و الحمرة تعلوه
فاستطرد مازحا ... (فقط أخبريني بجرمي ... و
سنرى قصة الكره والحب هذه فيما بعد

...)..صكت أسنانها بغضب و حنق حين
تذكرت كلمات نجوى، فظنت أنه لازال
يتسلى على حسابها، لذا تنضت بعمق ثم قالت
بقوة مع أن النبرة شابتها رعشة (أنت منحل
!..و إن لم تبتعد عني ... سأشكوك لأخي
... و حينها سترى الحب كيف يكون ...)
ثم انطلقت متلافية تمثال مصدوم، إنها تهدده
بأخيها، هل هي جادة؟؟ ..من هذه الفتاة التي
لا زالت تهدد باهلها لأنه ضاحكها بكلمات لا
علاقة لها حتى بالغزل، أجفل على صوت
منصف الضاحك يقول وهو يشير إليه

عدوانية معي أيضا...فكنت أريد معرفة
السبب من وراء حجاب...كي لا أرمى بالرصاص
مثلك...). جعد جانب فمه، ثم رفع سبابته
و ابهامه يحك بهما لحيته دقنه....(ما
تأكدت منه...أننا فعلنا شيئا ما....لكن ما
هو؟؟ الله أعلم...). سحبه برفق مراعي
رجله المكسورة، قائلا بعث... (لا تنكر أن
الفتاة مختلفة... قوية رغم ضعفها)... دفعه
بخفة يقول بملامح ممتعضة... (ألا تلاحظ
أنك تتغزل فيها؟؟)... عاد يسنده مجيبا
بنفس مرحة المعتاد... (أتغزل بها؟؟ أنت من

... (منحل.... يا منحل.... أنا لا اصدق....أحد
ما تجرأ على عيسى آل عيسى و نعته بمنحل
...و من؟؟...فتاة صغيرة....). ثم عاد
مستغرقا في الضحك، ليهتف عيسى غير
مصدق لسمعه.. (ما سمعته حقيقة....لقد
نعتتني بمنحل... وهددتني بأهلها..)... نظر
إلى منصف الممسك ببطنه من شدة الضحك
فقال بامتعاض يلوي شفثيه... (لما كنت
تتنصت علينا؟؟)... حاول تمالك
ضحكاته قائلا... (أقسم حاولت مقاومة
فضولي... لكنني لم أستطع... ثم هي

موقف والدها ، فهل هذا نفس الأب المتجاهل
؟؟. طيلة حياتها لم تره بهذا الشكل... (يا أبي
.... لا يصح ... تأخر الوقت ... ورواح قالت أنها
بخير.... هي الآن في غرفتها مع زوجها لندع
الأمر للغد ... أنا أيضا قلق عليها ... لكن
... (أنا لست قلق على أحد!!).... وإن لم
تستطع اخبار زوجها... قل لي و سأتصل بالحاج
ابراهيم!!)....).. راقبه ياسين بنفس دهشت
رواح، وهو يردد بغضب .. (لن أرحل حتى أراها
.... فأسرع هيا!!)..).... بلع ريقه والتفت
ليجد رواح المصدومة مكانها ، فقال عله

نادته بمنحل ... لا أنا ...).. ابتسم متأثرا
بمزاجه قائلا ... (لو سمعتك لنعتك
بمغتصب و طالبت بإعدامك ..).... ضحكا
الإثنين بمرح صادق، تعمق بصدريهما إلا أن
أحدهما سعيد للثاني يفكر ربما أنه قد وجد
ضالته.

أما رواح فقد توقفت تلهث حين وصلت قرب
سيارة أخيها ، لتكتشف الجدل المحتد بينه و
بين والدهما الذي صاح بسخط ... (أخبرتكم يا
ولد!!).... أنا لن أغادر إن لم أرى شقيقتك
.... فتحرك هيا!!)..).... اندهشت رواح من

يهدئ من حنق والده الغريب، فلم يستطع

تفسيره على أنه قلق على أحد أولاده... (ها هي

روح... كيف هي حق؟؟؟).... همت روح

بالإجابة ليصعقهما والدهما بتركهما داخلا

الى بيت آل عيسى دون أدنى كلمة، يضرب

الأرض برجليه في خطوات واسعة، فلم يجدا

بدا سوى من العدو خلفه... (انتظريا أبي

... سأحدث ابراهيم !!)... توقف و استدار

يتنفس بحدة تعبر عن مدى سخطه، فسحب

ياسين هاتفه مستسلما لحالة والده الغير

طبيعية على الإطلاق.

لاتزال متممه بآيات بينات، تربت على شعره

بحنو. تشعر بالخوف لأول مرة في حياتها،

تفكر في صدق من قال أن الدنيا فتن، فهل

ستبدأ في فقدان الثقة في حفظ خالقها،

استغفرت باستنكار و خوف تحول من خوف

على العبد، الى خوف من سخط الخالق، لتعود

هامسة في فكرها أن من حفظها طيلت حياتها

السالفة، سيحفظها في ما هو قادم. تنفست

بعمق تنهي أذكارها وهي تضم رأسه بحنو،

منحيه كل فوضى أفكارها، بين غرابته ما

تشعر به تجاه هذا الرجل الذي لم تفكر فيه

تحميه من شيء ما، كلما تذكرت ما ينتظرها

مع حياتها الجديدة، فهي انسانة بسيطة

بأحلام أبسط تنشد الهدوء و أيسر الأمور. لم

تحلم يوما بجاه و لم يخطر ببالها سُلطة، بل

كان أشد ما يبعث الرجفة في قلبها متاع

الدنيا إذا كثر دائما ما يصحب معه أشد

البلايا. تنهدت من جديد فأجفلت على تحرك

إبراهيم برأسه قليلا يرمقها بحيرة، تصيبه مع

كل تنهيدة خافتة بالتزامن مع حركة شدها

عليه بوهن، أيقظته من سنته، لتشعل نارا في

أحشائه يكاد يفقد لجامها،(ما بك يا

يوما كزوج، حقيقة لم تفكر في الزواج من

الأساس كي تفكر في رجل. لطالما أقرت

زوجت والدها، و أغلب الناس من حولها إلا من

رحم الله، قناعة أنها بلهاء ولن يقبل بها أحد

لا زوجة أو حتى صديقة، و سيكون مصيرها

العنس لا محالة، لم تكن تهتم لأقوالهم لأنها

مؤمنة بأن الأرزاق بيد الله، وليست بأيديهم.

فلم تكثرت للأمر تظن أنها لازالت صغيرة أو

بعيدة عن الزواج. وها هي الآن في عصمة رجل

بمسؤوليات أكبر و تعقيدات أكثر، تنهدت

بخضوت دون أن تشعر بيديها تشد عليه كأنها

حق ... هل تتألمين؟؟؟) ... بلعت ريقها توترا من
أنفاسه التي تلفح وجهها و عطره الذي ملأ
صدرها ، ترمقه بنفس سهوها في غرابت كل ما
استجد عليها. علا رنين هاتف ابراهيم فشقت
مجفلة ليبتسم هامسا قرب شفيتها، بعد ان
اقترب أكثر، وهو يسحب الهاتف من المنضدة
جوارها (اهدئي ... إنه فقط الهاتف ...)
(السلام عليكم....) ...نطقها دون أن يبتعد
عنها، لتتغير ملامحه من عابثة الى عادية
بجمودها المعتاد، يقول برسمية ... (أجل
.... بالتأكد... تفضلوا الى الصالون سنهبط

حالا ...). قطبت حق ترمقه بحيرة، فقال وهو
يتمعن في براءة مقلتها لتسهو من جديد
غارقة في ارتباكها من قربه... (والدك
وياسين ...يردان الاطمئنان عليك ...)
(ها؟؟؟!!) ... نطقها بخفوت لتصله أنفاسها
الساخنة، فابتسم يسحبها بروية قبل أن يغير
رأيه ويغرقها في دوامة لا قرار لها، يقول...
(والدك في الصالونيريد رؤيتك)
أوقفها والتفت الى المشجب يمد لها بالمئزر،
فأومات سلبا وهي تخطو الى الدولاب لتسحب
عباءة منزلية واسعة، ارتدتها فوق منامتها

لنتسع بسمت الرضى على ثغره، مشيرا لها كي

تتقدمه

(أجلس على الأقل يا حاج يا عبد الله

سينزلان حالا ...).. نطقها الحاج ابراهيم

يبتسم مهدئا من روعه المعروف به من

عصبيته، لكن ليست أبدا برعناء. ليزفر

بخشونة وهو يستجيب لطلبه على مضض

وياسين جامد مكانه جواره أخته على نفس

حالاته، لا يصدقان تصرفات والدهما.

... (السلام عليكم) رفعا رؤوسهم

لأبراهيم من خلفه حق ترمق شقيقها بريبتة،

قام من مكانه إليها هو ورواح بينما الذي أقام

الدنيا و لم يقعداها جالس بمكانه ينظر إليها

بتمعن عابس و كأنه يبحث فيها عن أمر

يؤرقه.... (حق !! أنت بخير؟؟) ... ابتسمت

بحنو تجيب برقتة (أنا بخير أخي لما

أنت قلق هكذا ألم تخبرك رواح؟؟) ...

تنفس براحة ممتزجة ببعض الامتعاض وهو

يشير الى والده قائلا ... (هل رأيت أبي؟؟؟؟) ...

إنها بخير لا داعي للقلق ...). تنحنح

الحاج يستقيم واقفا وهو يسوي طرفي

"السهام" على كتفيه ثم قال بحزم (أنا

لست قلقا على أحدحاج ابراهيم مبارك
علينا لا تنسوا نحن ننتظركم غدا بإذن
اللهانتم وضيوفكم ...مرحب بكم لختم
أيام العرستصبحون على خير)
توقف بالقرب من حق للحظرة، متفرس فيها،
فمدت يدها تسحب كفه مقبلت إياها كما
تفعل على الدوام منذ صغرها. في تلك
اللحظة بالذات أو الثانية وهي منحنية على
كفه، أحنى رأسه بقبلتة على أعلى رأسها
تكاد تلمح، بما يكفي لترتفع حواجب أبنائه
دهشة على دهشتهم. أجفلت حق على سؤال

الحاج إبراهيم الباسم بحنو(الحمد لله
على سلامتک بنيتيو مبارك عليك
زواجك من حفيدي ...). ... تقدمت منه وقبلت
يده كما فعلت مع والدها، فسحب مالا ووضعه
بين كفيها يعيد تهانيه لها. تقبلته ببسمة
مستحيية ثم استأذنت لتعود الى غرفتها فهمس
ابراهيم لجدته بحيرة... (والدها غريب !!.....) ...
ضحك جده يريت على أعلى ظهره مشيرا له
ليرافق عروسه، بينما يفكر أن الحاج عبد
الله كباقي رجال الجبل ظاهرهم القوة و
الجفاء، أما الباطنالباطن لأغلبهم

يتكسر بحنان يفرض نفسه من كبد الفطرة،
برحمة جُبلت عليها النفوس إلا من رحم ربي.
تروح وتجيء بتوتر، وكأنها تنتظر أحدا ما،
تتفقد السلم ثم تعود أدراجها إلى الردهة
منتظرة....(صباح الخير أمامه ما بك
؟؟)... أجفلت ترمق إسماعيل في بدلته السوداء
بحيرة ثم قالت...(صباح الخير بني أنا ؟؟؟
ماذا بي؟؟.... لا شيء ... هل أنت خارج؟؟)..
قبل رأسها يرد مبتسما من توترها الظاهر
...(أجل سأستأنف عملي اليوم ...). هزت
رأسها ثم قالت وهي تتفقد أعلى الدرج من

جديد ... (حسنا بني ... أدخل ... الطعام جاهز
....).. أدار وجهها إليه يسأل بفضول ..(أمامه....
عن من تبحثين؟؟)... (ها؟؟؟)... رمقته بسهولة
ثم ردت...(أخوك ابراهيم لم يستيقظ
بعد ليست من عاداته ...). قهقهه إسماعيل
وهو يضمها إلى صدره ثم أبعدها مجيبا بمرح
...(هل تغارين على رجاك كما تحبين
مناداته؟؟ ...).. دفعته بخفة مستنكرة
فاستطرد.... (أمامه... هو عريس ...ومن حقه
الدلال لبضعة أيام ..). ضمت شفيتها مفكرة
فقالت تدفع ابنها أمامها...(هيا لتفطرو

كفى كلاماو أنا سأحمل الفطور

لها...كي لا أقطع الدلال...هيا!!)... تقدمها

ضاحكا لا يعلم بخطط والدته التي كانت

لتطيح بعلاقتها بهم، لو فقط علموا عنها .

بين الجبال....

رمى بعقاب السيجارة و التفت إليه قائلاً بغضب

..(الجبل الأبيض لن ينالهمهما فعل !!)...

تحدث أحد رجاله الملتفين حوله قائلاً بلؤم

...(سيبدأ العمل فيه الأسبوع القادم ... لا

تنسى ان لديه سائر التصريحات...و القانون

بصفهماذا ستفعل ؟؟؟)... تنفس بحدة

يرميه بسهام مقلتيه المظلمة، فقال آخر..(إذا

ضاع الجبل سنخسر مواقع عملياتنا

تصرف يا رئيس...)... زمجر بغل يهتف... (لن

يفعلهل تسمعونني ؟؟... الجبل سيبقى لي

....و لن يناله غيري ...و سترون !!).. صمت

مفكرا للبرهنة ثم بحث بينهم عن ضالته

فأشاره له قائلاً... (أنت !!)... تعال هنا ... و

الباقي انصرفوا...)... خرج الباقي يتناظرون

فيما بينهم بمكر و ترقب، فمن تركوه

خلفهم ليس سوى المختص بالمتفجرات،

يتراهنون على الخسائر دون المكاسب.

.....

بيت آل عيسى...

(تفضلي أمي...!!)... فتحت الباب بين يديها

صينية كبيرة عليها طعام الإفطار....(أمي لما

أتعبت نفسك؟؟... كنا سننزل حالا...)..

تأملتهما هو ببذلتته وهي بجلابية الخروج، و

الغرفة مرتبة بأكلها فقالت مقطبة

بحيرة... (هل أنتما خارجان؟؟)... اقترب منها

ابراهيم وقبل رأسها قائلا وهو يرمق الطعام

....(أمي؟؟... خبز بالبصل و الزيتون و

الشاى بخلطة الأعشاب....هل هذه رشوة لشيء

ما؟؟..)... ضحكت بتوتر تقول..(هذا جزائي

لأنني صنعت خبزك المفضل؟؟؟...)..

اقتربت منهما حق واستلمت الصينية من

حماتها وحطت بها على المائدة الزجاجية بين

مقعدى الجلد فى القسم الثانى من الغرفة، ثم

عادت وقبلت يد حماتها، ابتسم ابراهيم بتأثر

بينما إيجه جذبت يدها سريعا تنفي تأثر قلبها

بتصرفاتها الصادقة و الخلوقة. استوى ابراهيم

على احد المقعدين مجيبا والدته السائلة،

وهي تشغل الآخر أمامه... (لم تخبرني.... إلى
أين العزم بإذن الله؟؟).. (إلى المشفى
...أمي...).. ضربت على صدرها بخفتة تسأل
بجزع... (لما بني؟؟... أنت بخير؟؟... إنها العين
الحسودة... أنا أعلم بها...).. ضحك ابراهيم
وهو يقطع الخبز بيديه بعد ان صب لنفسه
كأس شاي يقول.. (أمي أنا بخير... بل...)..
تذكرها فالتفت باحثا عنها ليجدها واقفت
مكانها بالقرب منهما فأعاد الخبز قائما من
مكانه ليجلسها قائلا بنبرة أسف... (اجلسي
حق... أنت مريضة...).. جلست على استحياء

بينما والدته تتميز غيضا من أفعال ولدها
المستجدة عليه كليا، تعلم يقينا أنه رحيم
القلب مهما أظهر من حزم لكنه لم يتعاطى مع
فتاة من قبل ولم تره بهذه الرقة في المعاملة،
أحضر مقعد منضدة الزينة وجلس عليه،
ليستطرد قائلا وهو يمدحها بالخبز قبل نفسه
... (حق تتوجع... كلما تحركت أنت بألم
...).. دست الخبز في فمها تقول بغيض... (ألم
يفحصها أمين وأقر بنجاتها؟؟).. هز ابراهيم
رأسه بتأكيد وفسر... (أجل... لكنه نصحني
بفحص شامل في المشفى.... هو فقط أكد

على نجاة عظامها من الكسور... تذكرت
إيجة العصير فأخذت الكأس على اليمين و
مدته لحق تقول... (لا تشربي الشاي اشربي
العصير أنفع لك... بما أنك كثيرة الوقوع
... رمقها ابراهيم بعتاب وحق تتناول منها
الكأس، ارتشفت منه القليل فلم تستسغ
مذاقه مع الخبز الساخن فهو أذ مع الشاي،
فوضعتة أمامها لتتهف إيجة بما هز بدنها
الضئيل و أثار حنق ابراهيم... (اشربي يا فتاة
... هيا!!).. بلع اللقمة في فمه قائلا برويت
يُحسد عليها... (أمي لا بأس ... أمهليها حتى

تنهي الخبز ...). ... مصمست شفيتها تقول
بتبرم... (حسنا لا بأس ... مادامت ستشربه
..). ... استغرب ابراهيم مراقبت والدته فتحمد
لله وهو يقوم متوجها الى الحمام ليغتسل،
فقامت هي الأخرى لتقف على هتاف حماتها
... (العصير يا فتاة!!).. نظرت الى الكأس
بتفكير، قبل أن تقول بنبرة أقرب الى الهمس
... (سأغسل يداي من إدام الخبز و أعود).
هزت رأسها تزفر بنفاذ صبر، فابتسم ابنها
العائد ينشف يديه بمنشفة وضعها على جانب
المائدة قائلا .. (لن تفارقها حتى تشرب

بهذوء يقول... (إنه مفيد لك تفضلي...)...
أمسكته تقربه من فمها باشمئزاز، فهي لم
تألف العصير في الصباح، بل على الوجبة
المعتادة لأهل الجبل، الشاي أو القهوة بحليب
البقر مع الخبز الساخن والمحشو بأنواع من
الحشوات المختلفة، ناهيك عن توجزها
الداخلي من كل تصرفات حماتها. تنفس
إبراهيم باستسلام، و أخذه منها ليجرعه هو
دفعته واحدة، ثم ألقى بالكأس فوق المائدة
وسحبها من كفها يطبق عليها قائلًا ... (ننتهي
من أمر الفحص و أجلب لك عصيرا سيعجبك

العصير اليس كذلك؟؟؟).... تحركت من
مكانها تحمل معها الصينية قائلت بتجاهل و
هي تنصرف خيفة من عقل ابنها اللماح ... (انها
زوجتك و العصير عندك فاسقياها ان
شئت) ... اتسعت بسمته يرد بتأكيد
... (سأسقياها شكرا لك) ... لم يرى
بسمتها الماكرة وهي تنصرف، بعد أن حققت
مأربها لثاني يوم حسب يقينها.
تجهزت حق شاكرة ربها أن حماتها قد انصرفت
بعصيرها فقلبا ينقبض من كل تصرفاتها،
لتجد العصير في يد ابراهيم يمدده لها مبتسما

...هيا بنا...)... غادرا و بعد برهته دخلت

الحاجة إيجت تبحت عن الكأس فضحكت

بظفر حين وجدته فارغا ثم اكملت بحثها

عن ملابس كنتها الداخلية، فلم تجد سوى

النظيفة المرتبة بإتقان في خزانة الملابس.

تأففت بضجر و انسحبت تهمس بغيض.... (أين

ملابسها الوسخة؟؟؟... آه لا شئ سهل

التنفيذ مع تلك البلاء التي لا أظنها بلهاء

....).

تقدما تجاه سيارته بعد أن سلما على باقي

العائلة في غرفة الجلوس، لتثاقل خطواته

مندى قصصه وهي الاعضاء

كما قبضته على يد حق التي شعرت بالضغط،

فنظرت إليه ولمحت ملامحه جامدة بشكل

مخيف، فتتبعته مصدر نظراته القاتلة،

لينتفض بدنهما بخفة لم تخفى على المتأهب

جوارها. لم تكذ تظفر حتى تركت والدتها

الخانقة من تصرفاتها الغير مدروسة بتاتا،

تخشى عليهما من كشف خطتهما فتكون

نهايتهما معا، لتستقل سيارتها الزرقاء متوجهة

الى مسرح جريمتها، وتتفقد أحوال ضحيتها

ليس ندما أو رافعة إنما خوفا من كشف سترها.

ابتسمت بإغراء يثير غثيانه حينما اكتشف

مدى زوره وهي تقول بدلال... (صباح الخير

على العريس و العروسكيف حالكما

؟؟؟)... ابتمت حق بحياء ترد بخضوت

... (الحمد لله بخير....شكرا لك ...)

نظرت صباح الى ابراهيم الصامت ببرود يرمقها

بنظرة...بالله عليك ماذا تفعلين في منزلي

؟؟؟. لتعيد إليه نظرته بأخرى متحدية فهمها

كما قصدت بها "أنا هنا لتحقيق هدفي ...و

انت أعلم به" ... لترفع دقنها بأنفتة كأنها تنهي

تحديها ب... "ولن أغادر الى أي مكان قبل

تحقيقه" ... جعد أنفه وسحب حق المراقبة

ببلاهة دون أدنى كلمة، لتزفر هي الأخرى

تستأنف خطواتها الى منزل آل عيسى.

رافقها الى المشفى المركزي لمدينة الجبل،

قاصدا طبيبة يعرفها سالفا يتعامل معها في

كل ما يخص صحة والدته. امرأة أربعينية

بشوشة الوجه قصيرة وممتلئة نوعا. قامت

بفحص حق وهي تحدثها بود، أعجبت بهدوئها

وبشاشة ردودها المقتضية، ثم عادت الى

المكتب تتبعها حق لتجلس على المقعد

المقابل لمقعد ابراهيم المترقب باهتمام

فاجئه شخصيا. انتظرا بصبر وهي تكتب ما

الطبيبة لينتزع مقلتيه من زوجته و يلتفت
بهما الى محدثه(الحمد لله لا كسور
....هي فقط بعض الرضوضو لأنها لم
تُشفى جيدا من الحادثة السابقة ... أمتها
أطرافها ... بعض المسكنات والكثير من
الراحة و ستصبح بخير بإذن الله) رفع
زاوية فمه بما يشبه ابتسامته مجاملة وهو
يشكر الطبيبة متلقيا من يدها ورقة الدواء،
ثم أشار لزوجته لتتقدمه وغادرا.
.....
بيت آل عيسى....

يبدو أنه تقرير، فاستغل الفرصة كي يتأمل
سكون زوجته على كرسيها. عاد بذاكرته
الى قبل حين، حين التقيا بعديمة الحياء ابنة
المرابط، توقع أسئلة نسائية فضولية، حول
موقفه منها، أو حتى حول سبب الغاء زواج كان
قد تقرر و الجميع عالم به. لكن لا شيء على
الإطلاق، بل سكنت كما الآن على مقعدها
في السيارة، وشفتيها الرقيقتين تتمتان طوال
الوقت بما يعلم أنه ذكر، وكالما نظر اليها
ابتسمت له بحياء ينير قسماات وجهها، فتوقع
في قلبه الأثر البليغ. أجفل على حديث

(ماذا يعني ذلك؟؟؟...) ...نطقت صباح

بعبوس تستطرد وهي جالسة بتأهب، على

احدى الكراسي البلاستيكية بجانب الحاجة

إيجت في الحديقة الخلفية... (أين تخبئ

ملابسها الوسخة؟؟؟) ... هزت الأخرى كتفها

بجهل تقول .. (لا أعلم ... كل ملابسها نظيفة

و مرتبة في خزانتها ...). زمت صباح شفيتها

تهمس بغل .. (وقالوا عنها بلهاء..... لا بلهوات

سوانا... احذريها يا حاجة... تلك الفتاة

ليست بهينة ...). ارتشفت الحاجة إيجت من

كأس شايبها، تهز رأسها بتأكيد ثم قالت

بتوجس .. (أخشى ما أخشاه أن يعلم ابني

بأمر ما أفعله فتلك الفتاة ممثلة بارعة

.... ولن يصدقني ... و حينها أكون خسرت

ابني بل أبنائي جميعهم و جدهم أيضا)..

أومأت صباح نافيتة تهمس بمكر... (إن حرصت

جيذا لن يشك بك أحد ... فأنت والدتهم

..). ردت بنبرة تشوبها المرارة... (لقد جربت

الفقد و الخيانة في وقت واحد ليس سهلا

أبدا يا صباح ..). قالت صباح بلهفة أخفتها،

تستغل مسار الحديث ... (هل تقصدين زوجك

يا حاجة؟؟) ... رمقتها بنظرة قست للحظرة و

كأنها أجملتها فاستطردت صباح بمكر

... (سمعت من أمي أنه كان يعشقتك و كل

نساء المدينة يغارون منك ... تقسم أنها عين

حسودة أصابتكم ...) ... ابتسمت الحاجت

ساخرة وقد غاص خيالها الى ماض سحيق،

لكن قريب جدا يقبع بآلامه في عمق قلبها،

يطفو مع كل نظرة الى وجوه أولادها، أو الى

أعين النساء الشامتة و المشفقتة. لكنها أبدا

ما كانت لتعترف لنفسها بأخطائها او

إخفاقاتها، لذا رفعت دقنها بأنفرت ترد

بتكبر... (طبعاً كان يعشقتني ... فقد

كنت من أجمل فتيات المدينة لكن

كما قالت والدتك العين الحسود ..)

...صمتت و قد تاهت مقلتيها الى السراب من

جديد، فقالت صباح بمكريخي

الكثير... (أين ترى هو الآن؟؟.... يعني أنا لا

أصدق كيف لأب أن يتخلى عن أولاده و

لا يسأل عنهم ولا مرة واحدة.....) ... ردت

بدفاع وكبرياء باق تحت أنقاض حرب

شعواء.. (ليس بيده إن ظهر سيالقون القبض

عليه ... لقد حاول مرة رؤية أبنائه فأعلم عمي

الشرطتة ... قد يكون قاس و صلب وذا جفاء

كحجر الجبل لكنه يهتم لأولاده)

أخفت صباح ضحكتها متهمكة، فاطالما

سمعت من والدها و جدها عن يونس آل عيسى،

لا أحد يصدق انه من السلالة المعروفة

بالأصالة و حسن الخلق و كل ما تحمله

كلمة الرجولة من معنى... (اذن لا تعرفين أين

هو ؟؟؟) ... أومات المغيبة سلبا وهي تقول

... (في مكان ما بين الجبال لكن تحديدا

لا أحد يعلم ...). تنفست صباح بعبوس

تفكر في رد فهل ابن عمها الغبي حين يعلم

بخبيتها، ثم قالت تهمس بمكر، مغيرة

الموضوع بأكمله... (دعينا من الماضي...

وركزي معي في المستقبل ... اسمعيني جيدا

.... سأخبرك كيف ستعاملين كنتك

البلهاء... كي تضر هاربت من هنا في أسرع وقت

....). انتزعتها من سراديب الماضي وأولتها

انتباهها، غافلت عن عجلة الزمن الدوارة تعيد

علينا البساط كل حين، لكننا دائما ما ننسى

أو نتناسى مكان الحضر فنقع فيها مرارا و

تكرارا ، إلا من رحم ربي.

.....

في مطعم وسط المدينة...

ابتسم لحياتها وهي تضم كفها بالأخرى فوق
الطاولة بينهما، والتوتر جلي على ملامحها
التي بدا لها الوصال من صميم قلبه. لم
يعاشرها سوى يومين، لكنه شعور لم يذق
طعما له من قبل. يحب النظر الى ملامحها
السمحة، عنوان الحياء، لم يرى الحياء بنفسه
إلا على وجهها، بسمتها الخفيفة، شفيتها
الرقیقتین، ارتباكها المتواصل، خضوت نبرة
صوتها، مقلتيها المطرقتين باستمرار، وإن
رفعتها ترفعهما بخضر ينير وجهها البريء.

لا يزال هناك الكثير هو متيقن من ذلك،

وسيكون أكثر من سعيد وهو يكتشفها
بتمهل وروية. تحدث بهدوء كي تنظر إليه
قائلا... (حق...؟؟؟!!)... نظرت إليه بتلك
مستفسرة، فأتسعت بسمته كما اتسعت مقلتيها
بحيرة فاستطرد... (لما كل هذا
التوتر؟؟؟...)... أخذت نفسا عميقا وهي ترمقه
ببلاهة، لا تعلم للرد من سبيل مكتفية
برفرقة رموشها، فمد يده يغطي بها كفها
مردفا كي يعفيها من توترها... (متى ستظهر
نتيجة دراستك؟؟؟)... و كأنه اكتشف

بعد أن انصرف (لم أكن أفكر في ذلك
...).. قطب يسأل بحيرة.. (لماذا؟؟... لكل
إنسان أحلام معينته يتمنى تحقيقها)
حضنت الكأس براحتي كفيها ترد وهي
مطرقة بمقلتيها تتأمل شرائح التين
والشوكولا ، المزينته لأعلى العصير.....(في
عائلتنا أو نقل مدينتنا نادرا ما تقرر الفتاة
مصير حياتها تعلمت أن والدي من يقرر في
حياتي فاستسلمت منذ البداية كي أرحم
نفسي من خيبات قد أصاب بها حين أفقد
الأحلام و الأمنيات.... و اكتفيت بما يحمله لي

كلمة السر، لأنها ردت بنفس خفوتها، لكن
بمقلتين لامعتين وشفيتين امتدتا في بسمته
صادقت... (آخر هذا الأسبوع بإذن الله ...)
هز رأسه لسرورها شاكرا لربه فتحه طريق
للتواصل معها... (ستنجحين بإذن الله
عيسى أخبرني بتفوقك ... أحسنت) ... عادت
تطرق بخضر فسأل ليأضت انتباهها من جديد ،
يسره الحديث معها.. (ماذا كانت أحلامك
بعد المعهد؟؟) ... كما أراد نظرت إليه لكنها
التزمت الصمت، بسبب النادل الذي جلب لهما
عصير الفواكه، ثم قالت تهز كتفيها بخفوة

حاضري اجتهد فيه و أعيشه براحة بال

وهدوء...)...صمتت قليلا ثم نظرت إليه بلمعة

تصميم على كلماتها الآتية... (لكني كبرت

لأتعلم أن من يقرر مصير حياتنا بالفعل هو

خالقنا فحولت استسلامي لواقع حياتي الى

الاستسلام لخالقي ألهمني رحمة بي أن

ما يريد هو ما سيكون رغما عن أنوف الخلق

... فأصبح استسلامي بعد ان كان مصدر حزن

عميق مصدر سعادة وسلام

نفسي....لذا...)...عادت تهز كتفيها مكلمة

بنفس نبرتها الهادئة... (تعلمت كيف أدع

كل شيئ في مكانه الصحيح ... بين يدي

الحقفلا هو لي سوى أن أعيش ما جاد به

من عمر كيف ما يحبوأنا أثق في رحمته

بي ... وأحسن الظن به ... و الحمد لله و

الشكر لم يخيبني أبدا...)... لم يعلم أنه راح

في رحلته من السهو في جمال كلماتها إلا حين

وعى على تحديقها الحائر. تنحنج ثم تناول من

العصير قبل أن ينطق بإعجاب مبطن بنبرته

الواثقة....(أنت محقة....لذا سأعيد صياغة

سؤالي ماذا تحبين أن تفعلي بعد المعهد؟؟

....)... علت الحيرة ملامحها مرة أخرى،

فاستطرد يحثها... (هل تريدان إكمال

تعليمك في الجامعة؟؟؟ أم أنك تفضلين

العمل؟؟؟ أم ستكتفين بالبيت ومشاغله

؟؟... حديثي بما يجول في عقلك.... أحب أن

أعلم...)... ارتشفت القليل فعلقت لطحته

صغيرة من العصير على طرف شفيتها، و

بطريقة ما شغلت تفكيره عن حديثها الذي

لم يتنبه إليه فاستفسر ببلاهة، وهو يمسح

اللطخة بإبهامه، ليهجم عليه إلحاح ذا مصدر

غامض ليقبها، على مكان اللطخة تحديدا.

فتنفس بعمق زاجرا نفسه التائقة، ليركز

حواسه التي تخونه في حضرة تلك الفتاة

..(أظن أن العمل لا داعي له في الوقت الحالي

على الأقل.... الدراسة أتمنى ذلك.... فالعلم

سلطان بيد الحكماء....)... صممت بعد فعلته

محمرة وأطرقت برأسها تلتهي عنه وعن نظراته

التي اختلفت، بالعصير. هم بالتحدث لا يجد

ردا على حكمة كلماتها سوى الإعجاب و

الرضى، لكن بدلا من ذلك سحب هاتفه

المهتز في جيب سترته....)... (أجل سيد فضيل

..... أجل أعلم.... لا.... الملف جاهز للتقديم

...أجل سيدي.... أشكرك.... أجل أعلم

...بالتأكيد و عليكم السلام ...). أعاد

الهاتف وزفر بتفكير ساهم، فرمته بنظرة

قلقت من تغيره المفاغى، فقد ضم ما بين

حاجبيه بعبوس حازم وقست ملامح وجهه.

انتزع نفسه من تفكيره لينظر الى التي امامه

فقال مجيبا ريبتها ... (أنت محقة في ما قلته

.... فأنا رجل مشغول و سأنشغل أكثر لذا من

الطبيعي أن أطلب منك الاعتناء بالبيت ... و

بأسرتنا التي أتمنى من الله أن يرزقها لنا أما

عن الدراسة فسهل أمرها تختارين تخصصا

لا يلزم الحضور حق ... أنا).... أزاح الكأس

من أمامه، واستند بمرفقيه على الطاولة مردفا

بجدية جذبت جل تركيزها (أنا سأترشح

لمجلس البرلمان قد يكون لديك علم

بذلك أمامي عمل مضني بين كسب

تأييد شباب المدينة وإقناع كبارها

بجدية نيتي مسؤولية كبيرة ملقاة على

ظهري ليس حاضرا بل منذ أن ولدت بkra

لعائلة آل عيسى) ... شد على شفثيه ثم

استطرد بمرارة لمعت به بنيتيه ... (و كأن

ذلك ليس بكاف ليضاف على كاهلي

ثقل آخر لا يد لي فيه سوى أنني أحمل من

لحمه و دمه)... نظرفي عمق مقلتيها

المشفقة، تحمل إليه مؤازرة خفية من قلبها

الى قلبه،.... (أنا في وسط مشاكل لا آخر لها

.... عمل العائلة.... والترشح.... وأمورا أخرى

.... لا أعلم حتى من أين أبدأ؟؟؟....)... هزت

رأسها بتفهم لأول مرة في حياتها تجد من

يحدثها بجديّة ويعتبرها ذات مكانة مهمة،

و لمن؟؟ لهذا الرجل الذي يهابه سائر أهل

المدينة. قبل يومين فقط لم تكن تتخيل

جلوسها معه في هكذا حوار، بل ظننت أنه

كالباقي سيعتبرها بلهاء لا تصلح حتى لبناء

أسرة، وسريعا ما سيكتشف خطأه ويرسلها الى

بيت أهلها، لكن خالقها لم يخيب ظننا فيه

أبدا، وثقتها في حفظه وراعيته، مثبتا لها

حقيقة إيمانها به، و عقيدتها

الراسخة....(ابدأ بالله.....)... قاطعه همسها

الخافت، فانتبه إليها لتستطرد....(توجه لله

وادعيه من قلبك وفي سجودك في قلب الليل

.....ستجد أن كل أمر قد تيسر من نفسه

....)... ابتسم حقا لقلبها النقي يهز رأسه قائلا

بمرح وهو قائم....(أنت محقة مجددا يا حق

...لك حظ وافر من اسمك..... وهذا من

حسن حظي)... تبعته متبسمة بخضر، بسمة

سريعا ما انمحت حين شعرت به قد عاد

لجموده، وانتشر التوتر في الأجواء حولهما،

بحثت عن السبب لتجد رجلا في عمر زوجها

لكن شتان ما بينهما ، أطرقت برأسها بسرعة

وأخفت نفسها خلف إبراهيم، وقد اجتاح شعورا

سيئا عمق صدرها، كما شعرت تجاه زوج

حفصته....(إبراهيمسعيد برؤيتك

....) قالها مجيد بنبرة متهكمت، مصاحبة

لنظرة عدائية مفضوحتة أمام إبراهيم الذي

قابله بحزم عابس(لا أظنك سعيدا

برؤيتي مجيد وداعا...)...التفت باحثا عن

زوجته كي يسحبها من يدها، ليجدها تختبئ

خلفه منكمشتا، فابتسم دون وعي يتذكر

موقفها قبل أيام قليلة، حين اختبأت منه

خلف أخيها، وها هو أصبح مكانه كما تمنى

داخليا يومها. اسود وجه مجيد من تلك

الملامح المستجدة على وجه إبراهيم، ليطرق

عقله طارق ألهمه أن الفتاة قد استولت على

قلب بكر آل عيسى، ليلعنهم جميعا متذكر

وجه شقيقته الباكيتا، فنطق بحقد.....(ألن

تعرفني على عروسك؟؟؟).... أعادها هو تلك

الحديث، قبل أن يسحبها وهو يحثها الخطى
رابتا على ظهرها... (الوداع مجيد....).... انطلق
ابراهيم بسيارته معترفا لنفسه، أن أجمل ما
اكتشف في زوجته أنها لا تسأل أبدا، لو فقط
تبقى على نفس الحال. بينما أنظار مجيد
الحاقدة تشيعهما الى أن غابا عن بصره.
اجتمع الرجال في ضيافة آل طالب كختام
لحفل الزفاف، يتبادلون الحديث في انتظار
إمام مسجد المدينة الكبير، كي يلقي
بخطبة دينية، بعدها يتلون *الطلبة* (أي
طلبة يتعلمون القرآن لدى الإمام.) آيات من

المرّة خلفه، قائلا بتأهب أسعد قلب الآخر
المريض.... (عدم حضورك لحفل زفافي.. لا
يعني أنك لا تعلم بتفاصيله.... أم أن ابنتك
عمك العزيزة لا تنقل لك الأخبار
الطازجة؟؟)... استطرد ببسمة متهكمت
باردة... (ففي النهاية هي تسكن في بيتي
أكثر مني.... تصور!!!).... ضحك مجيد
بسماجة يستلذ بكل ما يحرق أعصاب
غريمه... (على رساك.... لا تخف زوجتك منا
.... فقد تظن أن بيننا عداوة ما....).... أدار حق
من الجانب الآخر بعيدا عنه وقال منهيًا

الذكر الحكيم جماعة، فتخته الأمسية
بقصات الكسكس على الطريقة المحلية.
أمنوا على دعوات الإمام، ثم حل الصمت في
انتظار الشاي بعد العشاء إلا من مهمات
خافتة، قاطعها واحد من الشباب قائلاً....(هل
حقا ستترشح لمجلس البرلمان يا ابراهيم
؟؟؟)... تنبه ابراهيم لسؤاله فقال برزانة
....(النية حاضرة لكن المشيئة لله
...). هز كبار المدينة رؤوسهم برضى فيهم
الصادق و المنافق ، فاستطرد الشاب بنخوة
الشباب والغيرة على مدينة ضاعت من حقوق

أهلها الكثير، وإن كان في بعض مسؤوليها
الصلاح... (وماذا ستقدمه للجبل يا سليل آل
عيسى؟؟؟... كل مرة نسمع من الوعود
الكثير...فنسرع بمنح أصواتنا وفي النهاية لا
نرى تغيرا ملحوظا ...). تاهب الحاج زكريا
شاعرا بالإهانة، ليرده والده بإيماءة من رأسه،
بينما تولى ابراهيم الاجابة بذكاء
....(الجبل لن يخدمه سوى نفسه لا نفس
واحدة أو اثنتينبل كلهفاليد الواحدة
لا تصفق أبدا). ضم الشاب شفثيه من
ذكاء رده، وارتخى الحاج زكريا غير قادر

على ردع شعور الامتنان وان أزعجه ذلك.

عادت الهمهمات بين الشباب فهمس اسماعيل

لأخيه... (الشباب يئسوا يا ابراهيم.... وهذا

يعني امتناعهم عن التصويت.... وهذا ليس في

صالحك.... فالكبار فيهم منافقين لا ثقت

فيهم.... الانتخابات لعبت قديمته.... يجب أن

تتقن فنها يا أخي....).. نظر اليه ابراهيم فهز

رأسه مؤكدا على ما قاله.

أما النسوة ففي الجانب الآخر من المنزل

تحديدا في الحديقة الخلفية، حيث قامت

الحاجة ميمونة وبعض من صديقاتها بتجهيز

خلطة العروس... (حنة وقرنفل و ورد يابس

مطحون... يخلط الكل بماء الورد والماء

الداق)... أول من يدهن شعرها بالخلطة هي

العروس، ثم حماتها و من بعدهما باقي النسوة.

وكعادتها هربت الى غرفتها القديمة، تهرب

من أحاديث النسوة، وفضولهن المتجاوز الى

أسئلة شخصية. لحقتها رواح تضمها من ظهرها

قائلة بسرور.... (اشتقت اليك أختي.... لا

أعلم كيف سأعتاد على غيابك....)

ابتسمت حق ترد بحنو.... (أنا في نفس المدينة

...بل في نفس الحي.... لم أهاجر... و

ذراعي أختها، فهي بالفعل تشعر بفقد صدر

حنون و محب بصدق.

.....

بيت آل عيسى.

أراح رأسه الى الخلف على سريره عقله يغوص

ويغوص الى أعماق الفكر، سؤال الشاب قد

أضاف من حيرته الكثير. كيف سيبدأ

برنامج الانتخابي؟؟.. والأهم هل تكفي

رغبته في تخليص الجبال من حثالة القوم من

المجرمين و الارهابيين؟؟...ماذا عن رغبات

الناس؟؟ ففي النهاية اهدافه من الترشيح

يمكنك القدوم لزيارتي متى ما شئت...)

عبست فجأة حين تذكرت المنحل، ثم سريعا

ما تجاوزت الأمر تقول... (مهمم ... ستنشغلين

بأسرتك ومع حماك الأول ستنسينني

رأسا ...). استدارت إليها حق تربت على جانب

وجهها مجيبة بحنو لكن صادق... (أنت أختي

حبيبتي ... قد أنشغل كما تقولين لكن

ستظلين دائما في خاطري وأدعو لك بكل

الخير..... كما أدعو لك الآن بالنجاح

لكي يوفي أخي ياسين بوعدده و يسجلك في

الجامعة....). هزت رأسها بفرح ترتمي بين

كلها تبقى شخصية حتى لو أفادت

الناس؟؟...كيف سيوازي بين حربه الشخصية

و حرب أهل الجبل؟؟... وحين يخرج والده من

جحره، هو يعلم أنه سيخرجه بما يخطط له،

سيكون خروجه صاخبا مصاحب لفضائح

قديمة لم تنسى بعد، فكيف سيكون رد

فعل الشباب؟؟... هل سيعذرون حسن أخلاقه

وعدم شبهه بوالده؟؟...أم كما العادة

سيجدون فضيحة يلتهمون بها ويمررون أخبارها

ويضيفون عليها ما لا تحمله من أعباء!.. تنهد

وهو يمسح وجهه، لقد ظن أنه بنى لعائلته ما

هدمه والده، لكن الناس صعبة لا تثقت فيهم،

قد يخذلونك في آخر لحظة. فكيف

الوصول إليهم؟؟.. هو أيضا من أهل الجبل يعلم

أغلب مشاكلهم، لكن كيف سيقنعهم بنيته

في حلها، من أين يبدأ؟؟.. فالعمل على أرض

الواقع قد حان وقته، وإن لم يفعل ستضيع

عليه الفرصة، وإذا ضاعت صعب جدا أن يجد

غيرها. وعى من أفكاره المضنية فالتفت كي

يتفقد زوجته ظانا أنها نامت، ليجدها متكئة

على شقها المواجه له ترمقه بحيرة. بدأ يعتاد

طرقها الغريبة، لكن المريحة جدا في

لم تنن فأبعدها قائلاً بنفس مرحة..(الحمد
لله....أنت أفضل ..)... ابتسمت بخضر فمد يده
يتلمس على شفيتها، وسهى من جديد يحل علي
ملامحه، عبوس طفيف. رمقته بنفس حيرتها
تعلم أن هناك ما يظنيه، لكنها لم تتعود
على التطفل، بل تكره الفضول والتدخل في
ما لا يعنيه، لكنها حاجت تلح على صدرها أن
تعلم ما به هذا الرجل بالذات؟؟.. ليس فضولا
أو حتى تدخلا في شؤونه، بل رغبة شديدة في
أن تخفف عنه، أن تنزع العبء من على كاهله
وتحمله هي. لا تعلم كنه مشاعرها الحديث،

التعامل، هي لا تسأل فقط ترمق بحيرة تعلمه
أنها تشعر به، وتبقى له حرية البوح من
عدمها. استدار هو الآخر على الشق المواجه
لها، واقترب حتى كاد أنفه يلمس أنفها،
فتوترت أنفاسها، وهمت بالابتعاد. لكنه ضمها
لتبقى على حالها. ابتسم بهدوء يهمس
بحنو... (كيف حال أطرافكلا زالت
تؤلمك؟؟).. أوامات سلبا، فالتسعت بسمته و
تحولت لمكر يقول... (سأتأكد من
ذلك...).. ضمها الى صدره بقوة يشد عليها،
مستنشقا عطرها الهادئ برائحة الورد الزهري،

تتناقض كل عاداتها وقناعاتها، لما هو

بالذات؟؟ لا تعلم من جواب سوى أنه زوجها،

تشاركه لحظاته الشخصية التي لا يراها

غيرها. بللت شفيتها بفعل ما يفعل بهما ، فوعى

على نفسه مرة أخرى. قربها منه يهمس بنبرة

معتذرة... (آسف حق يجب أن تعتادي على

سهوي ... وانشغالي ... فمشاغلي كثيرة ...)

استطرد وهو يربت على خدها بحنان... (بين

العمل و الترشح لن أجد نفسي مستقبلا و

أتمنى منك التفهم و المساندة ...). هزت

رأسها بخفتة موافقة، فلمس بطرف أنفه انفها

مداعبا، حركات تبعث في نفسه سعادة

خفية، فهمست حين لمست صلب همومه...

(تحمل مسئولية منصب مهمة صعبة

.... سيكون عليك كسب ود الناس مهمة

أصعب) ... استغرب من كلماتها، فهو متأكد

من ذكائها، لكن حديثها بتلك الطريقة

المراوغة بدل أن تسأل، (أجل أنها

مهمة صعبة لكن ليست مستحيلا...)

صمتت قليلا فلمساته الرقيقة، على بشرة

وجهها توترها وتفقدتها تركيزها.... (هناك

مكان في المدينة على قدر بغضي له

...لكنه يعتبر مكانا جيدا للبداية.... لمن
يريد الاختلاط بأهل المدينة... توقف عن
حركاته المشعلتة للنار في أحشائه، وأولاها
انتباهه مقظبا بحفظة لتكمل
حديثها... (مكان اجتماع الرجال بمختلف
أعمارهم.... هناك تخلق الأخبار.... وتناقش
المشاكل كما الأعراض.. نطقتها ببعض
السخط، ثم اردفت... (لكن الأهم أن كل ما
يناقش هناك يصل للجميع بيوت أهل الجبل
....) ... هز رأسه موافقا حين تذكر وكأنه
وجد ضالته.... (**إمِنْ تُحُونًا** ... شارع

البقالين.... تذكرت... في الحقيقة
حق...)... أمسك رأسها بين يديه مستطردا
بإعجاب لم يخفيه... (انها فكرة رائعتة.... لا
أصدق كيف نسيت ذلك..)... عادت للسخط
في ملامحها تقول... (ليس أمرا نفتخر به... انه
منبع اغلب الاشاعات..)... ضحك وقبل
شفتيها، فاحمرت وقال بعدها... (لكننا
سنستغل ذلك في خير.... لا مشكلتة
إذن..)... تنهد مفكر يقول (لم أقصد ذلك
الشارع... منذ أن....)... بتر كلماته لا يريد
لأي ذكرى أن تفسد عليه لحظته معها، قربها

أكثر وتلقف شفيتها في قبلة طالحت حتى

قطعت أنفاسهما، فهمس قرب أذنهما، وهو يطفئ

الضوء... (دعينا من شارع البقالين... و من أهل

الجبل كلهم يستطيعون الانتظار

قليلا...)... أشرف عليها وقد استلت نفسه من

رزانتها، تنشد عاصفة حالمة تأخذه في رحلتها

لزيارة النجوم برفقتها، هي زوجته الغريبة

حق.

.....

صباح اليوم التالي...

يبدو أن الحاجة إيجتة قد اعتادت انتظار ابنها

ابراهيم كل صباح يوم جديد، انتفضت من

مكانها حين لمحته ببدلته نازلا من على

الدرج، تهتف بتوتر أجادت اخفاءه.. (صباح

الخير بني تعال معي الفطور جاهز..).. قبل

رأسها يرد بحيرة... (صباح الخير أمي أطل

الله في عمرك)... ابتسمت بتأثر تُصر على

ضميرها أن يعود لنومه فلا وقت لندم أو تراجع

عن انقاذ ابنها من بين براتين داهية بلهاء.

تلك كانت نتيجة فكرها المنافي للمنطق،

جراء تمحيص مضني في كلمات صباح، وما
رأته من كنتها البريئة الخبيثة، الذكيت
الغبية، والساذجة الحويطة. راقبت ابراهيم
الى أن أنهى فطوره وشيعته مودعة، لتعود
مهولتة وقد تغيرت ملامحها الى قساوة.
فتحت باب غرفة حق دون إذن، ودخلت
بخطوات صاخبة تصفق بيديها هاتفتة ... (انت
يا فتاة ... هيا !!...قومي!!)... انتفضت حق
من مكانها تلهث جزعا من الصخب، لتقف
جامدة تحاول استجلاب تركيزها بالكامل،
تمسح على عينيها الناعسة، والأخرى تهزها

من ذراعها تكاد تخلعه من مكانه ... (آخر
يوم تنامين فيه الى هذا الوقت هل
تسمعين؟؟؟...) ... تهز حق رأسها مرات عدة،
وملامحها في ذهول... (لن تعودى الى النوم بعد
الفجر بل تنزلى الى المطبخ.... تجهزين
عجين الخبز للفظور و الغداء ثم تشعلين
النار في الفرن الترابى ... و تخبزين هل
تعلمت ذلك أم أن ميمونة دلتك ولم
تعلمك شيئا ..؟؟؟) ... لازالت حق تومئ مرة
سلبا و أخرى إيجابا، لا تمهلها، تهزها بعنف
وهي تكمل... (انسى الدلال في بيت أهلك

...هنا أنت من سيخدم...بعد أن تجهزي

الفضور...تنظيف البيت.... لن أعتد على

الخدم منذ اليوم....لقد سارت لدي كنت

...أريد التباهي بها.... كل مرة ينعنونك

النساء أمامي بالبلهاء.... هل فهمت يا

بلهاء؟؟؟).. أومات حق وهي تباع ريقها بخوف،

فدفعتها تقول... (هيا اغسلي وجهك

...وغيري ثيابك!!)... توازنت حق

بصعوبة، وهرولت الى الحمام، ما إن أقفلت

الباب، حتى أسرعرت إيجتة تدرس شيئاً ما تحت

مرقبة السرير، ثم رقتها جيداً. عادت حق

تنشف يديها ووجهها فنظرت الى السرير

المرتب بحيرة، لتهتف حماتها مدعية السخط

... (آخر مرة أرتب لك فيها شيئاً.... أنت من

سيخدمني ليس العكس....هيا ارتدي ثيابك

....و اتبعيني الى الأسفل...). لا تعلم حق من

جواب سوى حركات رأسها المتكررة بدهشة

لا تفارق ملامحها... (ماذا تنتظرين

؟؟...أسرعي!!)..... سحبت ملابسها بسهولة،

والتفتت تتجه الى الحمام، فوقفت مكانها

حين سألتها الأخرى... (أين تضعين ملبسك

الوسخة؟؟؟)... نظرت إليها ترد بصدق

... (أغسلها في الحمام ... و أنشرها في

الشرفة...)... (ماذا؟؟؟!!) ... اهتز بدن حق من

صياحها ... (هل تريدان أن تجعلي منا

أضحوكت؟؟؟ ... هناك غرفة كبيرة

خاصة بالغسيل فيها آلتين لغسيل الملابس

.... وأسلاك للنشر ... و طاولة للكي أم

أنكم لا زلتم تغسلون ملابسكم بأيديكم

في بيت أهالك؟؟؟...) ... نطقتها بتهكم قصد

تحسيسها بالإهانة، إلا أن حق ردت بصدق

وهدوء (لا ... أمي كل ما في الأمر.... أن

الملابس لم تكن وسخة جدا ... ولا أعلم

مكان الغسيل بعد ... أنا أسفت ... لن أعيدها

(... رفعت دقنها متألمة ثم قالت وهي

تنسحب ... (مهمم هيا!! استعجلي أنا

أنتظر ك...) ... وكذلك فعلت، غيرت ثيابها

بسرعة، مرتديت عباءة منزلية مطرزة، وغطت

شعرها بشال أحاطت به رأسها بإحكام،

فالبيت فيه رجال لا يجوزون لها. ثم خطت

مستسلمة لأقدار خالقها الحافظ.

.....

مصنع آل عيسى....

اجتمع مع المهندسين لوضع آخر خطط البدء
بالحفر في الجبل الأبيض، لا تخفى عنه نظرة
الرفض في أعينهم، فالمنطقة ليست آمنة،
تعد مرتع للمجرمين وعملياتهم الغير قانونية.
لكنه مجبر، انها أملاكهم كما سيوفر
مناصب للشغل، لشباب مدينته.... (على بركة
الله... بما أن كل شئ جاهز.... سنبدأ
بداية الأسبوع القادم...).. نطق أحد
المهندسين بما يؤرقهم جميعا...(سيدي

....نحن نخشى من هذه الخطوة... ليست

آمنة...).. هز رأسه وقال مطمئنا...(لا تخشوا
شيئا.... لقد نسقت مع الأمن.. سيؤمنون الموقع
قبل البدء.... ليقم كل واحد بعمله جيدا
...هذا ما أطلبه...).. تلاحقت ساعات يومه
ذاك بين مختلف الاجتماعات بخصوص العمل
والترشح، مصمما على النزول الى أرض الواقع،
و العودة الى مرتع طفولته و مراهقته ليندمج
مع أهل مدينته فهو منهم، وسيظل ولن يفقد
تلك الصلة مهما كلفه الأمر.

عاد الى منزله وبحث عن حق التي لم يجد لها
أثرا، فسأل عنها والدته التي أخبرته بأنها
مشغولت مع النسوة لتجهز له عشاء مميزا،
فابتسم مصدقا وغير ثيابه الى جلباب مريح
كي يختلط بين شباب مدينته، دون حرج
يذكرهم بمكانته التي وضع فيها نفسه مع
مرور الزمن، و استغراقه في بناء كيان آل
عيسى على أنقاض من دمرها. لمح شقيقه
ومنصف برفقة جده، مجتمعين على طاولت
الحديقة فخطى تجاههم، لينظروا إليه
مقطبين بحيرة من هيئته التي لم يأفوه عليها

سوى في المناسبات.... (السلام عليكم...)
ردوا التحية وأضاف عليها عيسى بفضول
... (الى أين العزم بإذن الله يا أخي... و
بالجلباب... لقد فكرتني بالذي مضى...)
ابتسم ابراهيم مادا يده ليربت على عصابة،
رأسه الشبابية قائلا... (وما الذي مضى يا
فتي؟؟... تتحدث كأنك عشت عمري... و
ذكرى عدوك هنا و هناك بالحفاظت لا زالت
تراود خاطري....) ...قهقهوا فأجابه عيسى
بمكر، متجاهلا الوجوم في صميم قلبه...)
أخفض صوتك لا تريد لزوجتك أن تسمعك

...فتظنك من عمر والدها أم أنك نسيت
أنها قرينتي ...يا حاج ابراهيم... ..أبعد رأسه
ضاحكا، بينما حاول ابراهيم فك عصابة
رأسه مدعيا الحق، فتدخل اسماعيل قائلا
بفخر، يدرأ به هو الآخر مَرارا انساب في
أوردتهم... (عمر ابراهيم لا يُعد بالسنون يا
عيسى ...بل بحربه ضد الحياة ...و تغلبه على
صعابها ...فبات ذو تجربة وحنكة... ..هز
جدهم رأسه بتأكيد يقول ... (أجل ... صدقت
يا ولدي مع أنه لازال في ريعان الشباب ...إلا
أنني أشعر به ... صديقا لي يفهمني حتى قبل

أن تخرج الكلمات على لساني... ..) قبل
ابراهيم رأسه باحترام جم، ثم قال
يخبرهم... ..(أنا ذاهب الى شارع البقالين
...غبت عنه كثيرا ...ففقدت الصلّة
بأصدقائي ...) ... قطب اليافعين أحدهما
بفضول والآخر بجهل، بينما ابتسما، الجد عن
دراية وإعجاب، واسماعيل الذي وقف قائلا
بمؤازرة ... (سأرافقك فأنا لم أغب عن
المكان كما فعلت) ... التفت الى عيسى
مستفسرا... ..(و أنت ...ألن تأتي؟؟) ... رفع رجله
المكسورة مجيبا بمزاح... ..(وهذه؟؟؟ ماذا

الليل.....كبرت المدينة و تعددت الشوارع....

لكن بقي ذلك الشارع بالذات على عادته

يجمع رجال المدينة بمختلف أعمارهم

....التغيير الوحيد هو المقهى الذي أصبح

يأويهم بدل أعتاب المحلات....) ... جعد

منصف دقنه مستوعبا، ثم ابتسم بمرح يهتف

... (ستأخذني الى هناكأليس كذلك؟؟

... (.... أوأما مواقفا يقول بتعب ... (أتخلص من

هذا الجبس اللعين ...و ألف بك الجبل

بأكمله....) ...هز رأسه باسم بحماس انطقاً، ما

إن لمح أمرا ما لينظر عيسى الى نفس الوجهة،

أفعل بها؟؟؟) ...انصرفوا بعد أن القوا التحية

وانصرف الجد بدوره، ولم يبقى سوى

الصديقين فقال أحدهما... (ما هو شارع

البقالين على أية حال؟؟؟)..

...تنهد عيسى بإحباط، كان يعلم أن سؤاله

ذاك قادم ...فقال ..(مدينتنا كان فيها شارع

كبيرا واحدافيه تأسست أول محلات

البقالة، فكان الرجال يجتمعون هناك

بمختلف أعمارهم.... يتناقشون فيها مشاكلهم

و يتسامرون... إلى بعد صلاة العشاء... ينصرف

كبارهم و يبقى صغارهم الى منتصف

لكن الحادثتين و ارهاق العرس قد أنهك
قواها. تستغرب أوامر حماتها، وكأنها تتعمد أن
تغرقها في الشقاء، لا تدع مهمة إلا وتأمرها
بقضائها. بداية بتوضيب المطبخ، ثم تنظيف
وكنس سائر غرف النوم، و الصالونات،
والأرضيات. وحين انتهت بدأت مسيرة المسح،
الطاولات، الديكورات، والآن النوافذ. لا
تمهلها لترتاح ولو قليلا، حتى الصلاة تستعجلها
فيتأثر خشوعها. كل ذلك تحت أنظار
الخادمتين المشفقتين. لدرجة انهما حاولتا مرار
مساعدتها حين تغيب حماتها، لكنها لا تقبل،

ويلمح حق تنظيف بلور احدى النوافذ... (تلك
الفتاة... في كل مرة ألمحها اليوم تكون
مستغرقة بالعمل في شئ ما أليس من
المفروض أنها لازالت عروس؟؟... أو شئ من
هذا القبيل؟؟) ... قطب عيسى يقول بحيرة
... (أليس من المفروض أن هناك خدم؟؟) ...
راقبها بصمت امتد للحظة ثم قام عيسى
متوجها نحوها...

زفرت بخفوت تمسح من على جبينها العرق،
تشعر بالألم في أطرافها المصابة، فهي أساسا
متعودة على الأعمال المنزلية منذ الصغر،

حياء منهما، فكيف تظهر حماتها بصورة

سيئة؟؟.. تحسب بادعائها الموافقة على

أوامرها، أنها تحسن من صورة الوضع الظاهر

للأعمى. الأمر الوحيد الذي سمحت به

لاحداهما إعفاءها منه، هو كوب العصير

الصباحي. (حق؟؟؟) ... التفتت مجفلة لتجد

عيسى يستطرد بقلق ... (ألا يكفي ما قمت به

من أعمال البيت؟؟؟... أطلبي من الخدم

مساعداً لك ... لا تتعبي نفسك...) ... أطرقت

بخجل لتتنفض على هتاف حماتها

الساخط.. (عيسى !!!) ... نظرا إليها ومنصف

الذي لحق بصديقه، يراقب الوضع

بريئة... (ماذا تريد منها؟؟ لا تشغلها عن

عملها ... النهار على وشك النفاذ ...) ... تحدث

عيسى بدهشة من تصرف والدته إن لم

يستغرب فصولها بالكامل.... (أين الخادمتين

أمي؟؟؟) ... تخصصت مقتربة منه تهتف

بانزعاج... (في عطلة ... لقد تعبنا من كثير

العمل أثناء العرس وما دخلك أنت في

شؤون النساء؟؟؟... هيا رافق صديقك الى

الصالون ... سأحضر لكما الشاي و الحلوى ..) ..

انصرف بجرج عابس، ومنصف يهمس

بصدمة... (ما بها والدتك؟؟؟)... لقد انقلبت

الى حماة بدرجة أولى... يا إلهي... اشفق على

زوجة أخيك... إنها ترتجف كأرنب

مذعور... زفر عيسى بنفاذ صبر يظنك إذا

ما كان الأمر يستحق التدخل، أم كما قالت

والدته، مجرد شؤون النساء.

أما المعنية فقد اقتربت من حق تهمس بغل

... (أكملي النوافذ... ثم اذهبي الى المطبخ

كي تجهزي العشاء... و ليكن في علمك...

لن تاوي الى غرفتك حتى يتعشى الجميع... و

تغسلي المواعين... ولن تخرجي من المطبخ إلا

وهو يلمع نظافته... فهمت؟؟؟... لقد صرفت

الخدمتين لبقية النهار).... تغيرت نبرتها الى

التهكم الساخروهي تردف... (مسكينتان

... تعبنا من العمل....)... أومأت حق بتأكيد

جزع، فعادت الى القسوة مجددا تهتف بتحقير

متعمد، قبل أن تنصرف... (لا تتسامري مع

الشباب... إن رأوك الخدم أصبحنا علكة في

أفواه النساء... و إن رآك إبراهيم سيقتلك

... (جحظت مقلتي حق وعادت تمسح بدمتي،

تحاول الإسراع كي تختبئ في المطبخ، فلا

يراها عيسى او منصف فيحاولا التحدث إليها.

لفت وصول ابراهيم مع شقيقه الى المقهى

الكبير الممتد على طول نصف الشارع

تقريبا، سمي كنية باسم الشارع نفسه فأصبح

..مقهى البقالين... انتباه جميع الحاضرين، لمح

الأخير بعضا من أصدقائه القدامى يجتمعون

حول طاولة في الزاوية، من بينهم الدكتور

أمين وياسين الذي قام من مكانه مندهشا،

وصافحه كما فعل الباقي معه و شقيقه من

بعده. اتخذ كرسيا بينهم وبجانبه شقيقه

على يمينه و ياسين على يساره، تحدث أمين

يسأل بمجاملتة مرححة... (كيف حال السيدة يا

ابراهيم ؟؟)... نظر اليه ياسين باهتمام فأجاب

بحزم مقتضب، ظهر على نبرته، كأنه يرفض

الحديث عن زوجته أمام العن... (أفضل

....الحمد لله...شكرا لك)... تبادلوا بعض

الأحاديث كالسؤال عن الحال و الجاري تداوله

عادة، ليسأل ياسين بفضول... (ليس من

عادتك القدوم الى المقهى.... لم ترك منذ

متى؟؟؟)... ضم شفثيه مستجلب ذكراه،

فتدخل طارق صديق طفولة آخر يتذكره

جيذا، وهو يرمقه بلمعة خصه بها... (منذ أن

أنهينا الثانوية....فقدناك ولم نجدك بعدها

(... قالها بغموض التقطه بذكاء وأجاب

....(لم أكن بعيدا جدا يا طارقو الدليل

...مبارك عليك ترقيتك ...يا حضرة

المفتش ممتاز أنت بالفعل فخر للجبل في

الشرطة ...) ...انتفخت أوداجه بفعل المدح، و

إن كانت نبرته لم تخلو من صرامته...(شكر

لكأنت بالفعل لم تكن ببعيدلكن

هذا لا يمنع ...أن تخبرنا بسبب عودتك ...)

ضحكوا بمرح حين قال أمين وهو يدفع طارق

بخفت ... (على رساك يا رجلإبراهيم ليس

أحد المتهمين لديكعادة سيئة ..)

ضحكوا فقال إبراهيم بصراحة، لن يتصف

بالرجولة إن هو أهان ذكاهم، فجلهم يعلمون

بقضية ترشيحه كما أحداث حياته كلها،...

(حسنا ...أنا لن أخفي عنكم شيئا ...نويت

بإذن الله الترشحو حين فكرت في

برنامجي لم أجد سوى هنا لأبدأ بهلأكون

صادقاكانت نصيحتي من شخص مقرب

...)... أحجمهم صدقه و احترامه لذكائهم،

فكانت بالفعل خطوة أولى، لذا هتف طارق

بمرح ... (نصيحتي ذكيتي.... أحضر الشاي يا

ولدمُشَخَّر وبنعناع على حسابي

بمناسبة عودة الصديق الضال (...). عادوا
للضحك فلمح ابراهيم الشاب الذي حاول
إحراجه بالأمس في بيت آل طالب، يرمقه
بنفس الرفض و السخط. أشار له مناديا، فقطب
بحيرة، وأوماً له مؤكدا. قام من مكانه وجلب
كرسيا ودعاه ليجلس تحت أنظار الشاب و أنظار
البقية المريبة. فجلس على اية حال، فعل
ابراهيم المثل ثم قال بجديته ... (بالأمس
شعرت بسخطك على المسؤولين تفضل
... أنا أعطيك فرصة للتعبير ... ما هي
أفكارك لتحسين مستوى معيشة المدينة ؟؟

... أنا أسمعك (...). حل الصمت في المقهى
بأكمله، حتى أن أحد النُدال خفض من صوت
شاشات البلازما، نظرا لأهمية الموضوع. تنحج
الشاب بجزع أثار اشفاق ابراهيم، الذي استطرد
ليخفف من توتره ... (أنا لن اكذب عليكم....
أريد دعمكم... و باقي شباب المدينة فهم
الفئة الأكبر... هدفنا الأهم....) تلكأ قليلا
ثم أكمل بعد ان شعر برئته تشجيع من أخيه
.... (محاوية مجرمي الجبال من حولنا أنتم
أعلمم بالنظام و الأمن إن لم تكن ذا نفوذ
واسعة تُحدّد الإمكانيات و يُسقط باليد

.... لكن هذا لا يمنع.... أن أبحث خلف

مشاكل أهل مدينتي.... لأرتقي بها الى

الأمم...وها أنا ذا بينكم...أريد أن

نتناقش.... نتجادل...حتى نصل الى نتيجة

مريحة لكلا الطرفين....).... هزوا رؤوسهم

موافقين حديثه المنطقي، فقال الشاب متشجعا

... (أول أمر يقض مضاجعنا...هو الماء يا

سيد....).... قاطعه ابراهيم مصححا... (ابراهيم

فقط.... يا...).... ابتسم الشاب برسمة

يستطرد... (اسمي محمد..... الماء يا ابراهيم

....الذي نشربه ذا رائحة نفاذة.... أرهقنا

الصراخ و الاستنكار....وعود و عهد لا نفع

منها... حتى لجأ الميسورين الى حلول أخرى

كشراء ماء الشرب او تركيب المصافي

....لكن يبقى عامة الناس و المعوزين

...وكان الفقرا أو الجري خلف لقمة العيش لا

يكفيهم كي يتحملوا أعباء الأمراض....)

.... علت صيحات الموافقة، فرغ ابراهيم

يديه مشيرا ليعم الهدوء، قائلاً.... (جيد

جدا... اذن سنبدأ بالماء.....).... تحدث الشاب

بحزم يهتف... (اعمل على تغيير الماء الفاسد

....و نحن خلفك في أي شيء تريده....)

التفت الى أصدقائه وكأنه ينشد منهم

التأكيد، فأومأوا بصمت، أعلمه أن المهمة لن

تكون سهلة، لكن لا ضير من المحاولة من

أجل مدينتهم.

.....

بعد صلاة العشاء...

عاد الى البيت برفقة شقيقه ينشد الراحة،

ولا ضير من استكانة بين ذراعي زوجته

الحنون، وهي تتمتع كعادتها بالذكر أو

القران. لكنه لم يجدها في غرفته وحين سأل

أخبرته والدته، بأنها تساعدها في المطبخ

بسبب غياب الخدم. تأمل رؤيتها أثناء العشاء

لكنه أحبط حين لمح منصف. أنهى عشاءه

الذي لم يخلوا من مناقشة ما حدث في

المقهى، مما أسعد جده ومنحه جرعة للأمل.

ثم عاد الى غرفته منتظرا اياها حتى غضى من

تعبه .

منحت المطبخ نظرة شاملة، لتتأكد من

نظافته، ثم تلفتت تبحث عن حماتها، لتعلمها

بانهاء مهامها، تنفست براحة حين لم تجدها،

تفكر أنها أخيرا ملت وبيئت منها، فأسرعت

الى غرفتها غير مصدقة أن اليوم انتهى أخيرا.

برأسه على مخدتها يأخذ من أنفاسها، فيشعر
بدفء يافه، كنسيم من الجنة. ليتنهد بسلام
نفسي لا يجده إلا بجانبها.

فتح عينيه مجددا على رنين المنبه في هاتفه،
تذكر زوجته فالتفت إليها ليجدها لاتزال
نائمة، فربت على وجهها بحنو، مستغرب من
عدم قيامها قبله كما فعلت في اليومين
الماضيين. رفرفت بجفنيها تئن بتعب، فهمس
باهتمام... (حق... أنت بخير؟؟؟... هل
تتألمين؟؟؟)... فتحت مقلتيها فاستقامت
جالسة، بينما يشعل الضوء، تهمس بوهن... (أنا

دخلت بهدوء، غيرت ثيابها وتعطرت، ثم آوت
الى الفراش بعد أن تأملت زوجها الذي اشتاقته،
طوال اليوم لم تلمحه، افتقدت حديثه معها،
مداعباته وملاطفاته. جمعت كفيها تتلو
أذكار النوم، فراحت في سبات عميق، قبل
حتى أن تنهي نصفها. أيقظه عطرها الهادئ،
فتفقدتها متلمسا خدها الناعم، لاحظ شحوب
بشرتها، فأرجع ذلك الى تعبها في مساعدة
والدته، أشفق عليها فقبلها بخفتة، يهمس
بحنو... (لا مشكلتة... الخادمتان ستعودان غدا
بإذن الله... لن تتعبني نفسك بعدها..)... حظ

أمنية، أن يجدها مستيقظتاً، يريد التحدث
معها قليلاً قبل أن يبدأ نهاره بمشاغله
الكثيرة، كما يتلف إلى أخبارها بآخر
تطوراته، ولا يعلم لذلك من سبب. هجم عليه
الاحباط بظله الثقيل حين لم يجد لها أثراً في
غرفتهما. فتوجه إلى الطابق الأول للبحث
عنها، ليجد والدته في وجهه تقول
ببرود... (دعها تساعدني يا ابراهيم... ما بك
... لم تعد تقوى على بعدها ؟؟؟!!) ... انتابه
الخبيل أمامها فقال بحزم وهو ينصرف...
(أعيدي الخدم أمة... لا تتعبها كثيراً... ولا

فقط تعبته... لا شيء مهم...)... تحدث بريبت
يقول... (أمتأكدة أنت ؟؟.. وجهك
شاحب...)... نظرت إليه مبتسمة ترد بتأثر
... (أنا بخير لا تقلق... تفضل وتوضاً... لتلحق
بالصلاة..). هز رأسه، ثم انصرف ليتوضاً.
اتكأت على ظهرها تنشد لحظة إضافية من
النوم، تشعر بأطرافها تهشمت بكاملها،
لكنها اهتزت مع خروج ابراهيم من الحمام،
فتنهدت تدعو ربها أن يعينها على أيامها
القادمة...
عاد ابراهيم من صلاة الفجر يسر في نفسه

تتعبي نفسك أيضا...)...مصمست شفيتها
بسماجت تهمس بغل... (مهمهم يا رقيق
القلب ...منذ متى؟؟...لقد سحرت عقاك
البلهاء... لكن دواءها بحوزتيو سنرى
...تذكرت على سيرة الدواء، فشهقت
تستطرد... (نسيت الدواء.... أوووف ... كَثُرَت
المشاغل بقدم هذه الفتاة....)

تراقبها شمتة بشفقتة، الفتاة لم يجف حناء
عرسها، بعد على بشرتها، وشعرها، عالقت وسط
قصعة عجيب ضعف حجمها، هي بنفسها لا

تقوى عليها لوحدها، بل تساعدها ابنتها
نجمتة. ما هذا الذي تفعله الحاجة
إيجتة؟؟...لم تكن يوما منعدمتة الرحمتة،
لكنها سلمت أذنيها لشیطان، وستندم كثيرا
حين لا ينفع الندم، فالظلم ظلمات يوم
القيامتة، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله
حجاب. حاولت من جديد تقترب منها قائلة
باشفاق... (يا بنتي دعيني أساعدك أشعر
ان يدك ستنكسر... بل أرى العجين
سيباعك). (ولما سيباعها يا شمتة؟؟؟) ...
خطت إليهما إيجتة، تستطرد بسخط والعصير

اليومي بيدها... (لم أسمع يوما بالعجين يبلع

أحدا أم أنك كبرت وخرفت يا امرأة

....) ... ردت بنبرة ذات معنى، فشمت وإن كانت

خادمت في بيت آل عيسى منذ الصغر، أصبحت

لها مكانة بينهم، ويحترمونها... (لا أدري من

كبر وخرف... يا حاجة!!!... الفتاة لازالت

عروس لم تكمل الأسبوع بعد.... لم يسبق

لي أن رأيت عروسا... تعمل قبل انقضاء أسبوعها

الأول... بل لم أرى في هذا البيت

بالذات.... عروس تعمل على الإطلاق من قبل

....) شهقت إيجتة بادراك لمعنى حديثها،

فامتنعت عن الإجابة، وهتفت في وجه حق

قبل ان تنصرف وهي تحط بكأس العصير

أمامها... (أنهي العجين واشربي هذا.... لا

تستمعي لأحد... وتذكري أنني أنا حماتك

هنا...)... توقفت قرب باب المطبخ ثم أردفت

بحنق... (ها أنا ذا اهتم بها... احرصي على

أن تشرب العصير... وأبقي أنفك الفضولي

بعيدا عني...)... غادرت فأومأت شمتة بيأس،

واقتربت من حق تهتف بحزم... (يكفي!!!...)

...قارنت قولها بفعالها وهي تنزع القصعة من

أمامها مردفه.. (العجين جاهز.... دعيه يرتاح

وهي تأخذ الكاس وتجرعته مرة واحدة، ثم
قالت تلاعب بحاجبيها... (انتهى أمر العصير
....) وفي تلك اللحظة ابتسمت حق بصدق
أظهر نواجدها.
.....
بعد أسبوع...
مصنع المرابط...
مستغرق في عمله كعادته، ينتظر مستخدمه
كي يجتمع به، ليستوضح أمورا أصبحت تشغل
باله في العمل مؤخرا، شحنات تتأخر، عن

... و اريحي يديك أيضاوتناولني ذلك
العصير ... غسلت يديها بهدوء ثم التفتت
الى الموقد تضع الماء لتصنع الشاي، فقالت
شمتة بحيرة .. (ماذا تفعلين يا حق؟؟؟)..
... ابتسمت في وجهها فشعت نورا أصاب قلب
شمتة في مقتل، فأحبتها دون سبب... (سأجهز
الشاي ...بينما اترك العجين ليرتاح...)
بادلتها البسمة بحنو ترد ... (و ماذا عن
العصير؟؟ ... ألا تشعرين بالعطش؟؟ ...)
تكمشت ملامحها باشمئزاز ترد بخفوت... (لا
أحب العصير في الصباح....) ...ضحكت شمتة

مواعد تتغير بأسباب غامضة. لم يصل في

تحقيقه الى شئ واضح، لذا قرر إخبار الحاج

زكريا بشكوكه كي يخلي ذمته. علا رنين

هاتف المكتب فرد بشكل موجز، ثم وافق

مخاطبه على طلبه. جمع الملفات أمامه يؤجلها

الى حين استقبال شخص ما طلبه بالاسم. دق

الباب فهتف بالإذن بعد أن رفع رأسه ليلمح فتاة

لم ينسى هيئتها المنكشمة و المتأهبة كما

الملامح عنوان الحزن و الأسى. تقدمت على

استحياء و توجس، و الكثير من الخجل، ظلت

طوال الأيام الماضية تفكر في حل، حتى

بيئت واستسلمت، و كلاً أمل أن يضيف إليها

عملها قليلا من القوة. وقف لا يعلم لما؟؟..وأشار

لها كي تجلس قائلا... (حفصة... صديقتي

شقيقتي وزميلتها في العهد... أليس كذلك

؟؟؟).. أومأت بخجل، فاستطرد باسمها وهو

يلتقط السماعة الداخلية... (عصير أم

شاي؟؟).. أومأت رافضة فطلب رغم ذلك

... (كأسي شاي من فضلك... صمتت

بتلبيك تفرك كفها الحرة بمعصم الأخرى

الممسكة بالملف... (بماذا أخدمك يا

حفصة؟؟؟).. بلعت ريقها ورفعت الملف تمده

إليه قائلة بحياء... (أنا أبحث عن عمل

....أخبروني أنك في حاجة الى عمالّة

...)... أوأ بتفهم وفتح الماف متفحفا فتذكر

شقيقته حق التي لم يرها منذ زواجها، حتى

يوم علم بنجاحها لم يستطع زيارتها، لكنه

اتفق مع ابراهيم على زيارة قريبته...راقبته

بتوتر تسترجع تهديد زوجها إن لم تحصل على

العمل، فتوسلت لربها في صلاتها كي ينعم

عليها بالخلاص، كيفما كان، تحدث برسميته

يقول.....(مبارك عليك نجاحك في المعهد

... نحن بالفعل نحتاج لعمالّة في الادارة.... و

طبعاً لا يمكنني رد صديقتي لحق...خصوصاً

إن كانت الوحيدة... لكن سنعتبرك تحت

التمرين لشهر...بعدها تعملين بشكل رسمي

بإذن الله...ما رأيك؟؟؟)... تبسمت دون وعي

تهتف بلهفة... (حقاً!!)... خطفت بسمتها

نظرة من نظراته، فاستغفر سرا متذكراً

زوجها، ثم قال بتأكيد... (أجل سيدة حفصت

....يمكنك البدء من الغد بإذن الله...)

لم تلاحظ رسميته تعامله وإضافة لقب السيدة،

وقامت تخم بالانصراف شاكراً... (أشكرك

سيدي....جزيل الشكر...)...ابتسم مجدداً

لارتباكها و أجابها مودعا.....(أراك غدا إن شاء الله ...). غادرت بينما هو تجمد مكانه للحظة يراقب الباب الذي اختفت خلفه، ليعي على رنين الهاتف، وعاد ينغمس في عمله المعتاد.

.....

إبراهيم منغمس في استعداداته لمشروعه الجديد و ترشيحه، ففرق بين اجتماعات في مصنعه و في المقهى مع الشباب الذين استرجع علاقته مع أصدقائه منهم، وتعرف على آخرين أعجبوا بشخصية الرزينة الحازمة. فلم يجد

وقتا لبحث خلف غياب زوجته المستمر، لا يكاد يراها، يغضى قبل انضمامها اليه على سريريه وتغادر قبل ان يعود من الضجر. اشتاق إليها يكاد ينفجر من غضبه كلما أرادها لا يجدها، وحين يهر على توبيخها تثير شفقتة على وهنها و شحوب بشرتها الذي بدأ يقلقه، لولا أهمية المشروع الذي سيبدأ يومه ذاك، لكان أولى اهتمامه لما يحدث معها تاركا العمل و سائر مشاغله خلفه....(لا تقلق يا ابراهيم كل شيء جاهز ..أمننا الموقع بأكمله ...). التفت الى صديقه طارق الذي

طلب منه تولي مهمة تأمين الموقع، مستغلا
رغبته الحارقة في القبض على المجرمين
الهاربين من العدالة يحتمون في الجبال،
... (شكرا لك طارق انا ممتن لك ... لدي
شعور سيئ.. .. لا أعلم لما؟؟؟... وبدأت اندم على
المشروع الجديد لا أريد توريط اناس في
مصائب لا دخل لهم فيها...)... هز رأسه ثم قال
بغموض لمعت له مقلتيه الحادثتين ... (دع لي
أمر تأمين الناس واهتم أنت بالعمل... ألا
يقولون لكل علم أهله؟؟؟) ... رد وهو يربت
على كتفه بامتنان ... (أجل ... صدقت ...)

صمت طارق للحظة يفكر فيما يريد السؤال
عنه مترددا فحشه ابراهيم ... (اسأل يا طارق
...)... نظر إليه بتصميم يريد سبر أغواره قائلا
... (إذا قبضنا على والدك يا ابراهيم ماذا
سيكون موقفك؟؟؟) ... شد على شفتيه حتى
ابيضتا كقبضتيه القوتين، لا يتحمل اهانتته
في والده، مهما تعلم وتدريب. يكره على قدر
كرهه لما لحق به من مهانة. استجمع قوته
الكامنة في سائر أطراف جسده، ورفع دقنه
قائلا بجديّة غاضبة... (لا والد لي يا طارق
..... لقد مات منذ اختار طريق الظلم و

الإجرام.... ومن ستقبض عليه ليس سوى مجرم

سيلقى عقابه العادل (...). ارتخت ملامح

طارق، وربت على كتفه بمؤازرة خفية... (لا

تقلق.... كل شيء سيكون بخير...)

.....

مساء...

بيت آل عيسى....

نفذ صبره وهو ينتظر عودتها الى غرفتهما بعد

العشاء، فحزم أمره وذهب يبحث عنها. توجه

الى المطبخ رأسا ليجدها تغسل أكواما من

مواعين الألمنيوم. اقترب منها مرتابا وهي

منهمكت في عملها، لم تلاحظ حتى دخوله

عليها. تحدث بحنق حين لاحظ أنها تغسل

المواعين المخزنة التي لا يستعملونها بشكل

يومي... (ماذا تظنين يا حق؟؟؟)... اهتز بدنها

وانزلق القدر من بين يديها محدثا صوت اثر

ارتطامه بحافطة المغسل، فاسرع مقتربا يهدئ

ارتعاشها... (أهدئي... لا تخافي..)... تنفست

بعمق تمسك أعلى صدرها، ليلمح احمرار

كفيها، وبعض الخدوش المتفرقة،

ليمسكها بين يده متفقدًا يسأل بلهفة... (ما

بهما يديك؟؟... هل تؤلمانك؟؟)... نظر

هذا بيتها الآن... والمتصرفته فيه... أنا كبرت

ولم أعد أقوى على ذلك... ارتبك

ابراهيم لا يستطيع التصديق وهو ينظر الى

حق المتسمرة مكانها بملاح فارغته، لا تنم

عن شيئ وكان الموقف لا يخصها بالمره، ثم

عاد الى والدته الدامعة يقول بوجود... (ماذا

تقولين أمه؟؟؟... أسأت فهمها هذا أكيد....

أدامك الله فوق رؤوسنا.... لا بأس... اذهبي

لترتاحي أمه.... تصبحين على خير...)

كفكفت دموعها المزيضة و انصرفت تخفي

بسمتها الماكرة، بينما التفت الى زوجته

اليها ثم الى المواعين مردفا بعدم تصديق

... (وكيف تعملين بهما وهما بهذه الحالة

؟؟؟... ثم... ماذا بحق الله تفعلين في المطبخ

في هذه الساعته؟؟؟)... همت بالرد فتدخلت

والدته تقول بإشفاق مزعوم... (أخبرها يا

ولدي.... تعمل طوال الوقت... لا تريح نفسها

أبدا.... بدأت أظنها مصابة بالوسواس القهري

... ترى كل شيئ وسخ... أتصدق هذا يا

بني؟؟؟... بيتي أنا وسخ... ثم ذرفت دمعتان

تردف بحزن متقن الادعاء... (نصحتها وحين

تعبت.... تركتها تفعل ما تشاء... فضي النهاية

الجامدة مكانها يقول بحزم... (اغسلي يديك

برفق واتبعيني) .. غسلت يديها تكثر

أنين ألم، ثم تبعته الى غرفتهما، ألتقيا

بمنصف خارج من غرفة عيسى متوجها الى

غرفته، فقال بمزاح لا يعلم أنه الشاهد الذي

ساقه الله إليهما دون جهد... (و أخيرا يا حق

وجدت منقذك ...من بين برائن عمتي ..) ...

وقف مكانه قائلا لحق وهو يشير الى الدرج

... (اسبقيني يا حق ..) ... أطاعته باستسلام،

ثم سأل منصف يحاول ادعاء المرح... (ماذا

تقصد يا منصف؟؟ ...لم أفهم طرفتك ..) ...

ضرب منصف على أعلى صدر ابراهيم بخفتة

يجيب بنفس المرح... (عمتي تحولت الى حماة

... كاللواتي نراهن في الأفلام و زوجتك

المسكينتة تذكرني بالسند ريبلا ... طبعا قبل

أن تجد أميرها المنقذ الوسيم ...)نطق آخر

كلامه غامزا يقصده، ثم انصرف ملقيا تحية

المساء. رفع رأسه متنفسا بعمق، صدق شعوره

تجاه الموضوع برمته، وهو الذي ظن أن

المشاكل ستكون من زوجته، لتصبح والدته

أكبر همومه. دخل الى الغرفة فلمح

استكانتها على السرير، جفنيها يتثاقلان

بتعب، جلب مرهما و جلس جوارها، متلقف
أحدى كفيها يضع عليها المرهم برقة قائلا
بحنو... (حديث والدتي كله كذب... أليس
كذلك؟؟؟)... حدقت به بتوتر، وأومات
بتوجس، فزفر بأسى يستطرد... (لما لم
تخبريني؟؟؟... تلميح فقط... كلمت
...)... بلعت ريقها ثم قالت بخفوت... (أنت قلت
... والدتك خط أحمر... و أنك مشاغلك
كثيرة... لا تحتاج لأخرى... ثم أنا استطيع
تحمل أعمال البيت...)... (الى متى؟؟؟... انها
أعمال شاقة... مستمرة طوال الوقت... لن

تشعري حتى تقعي بسبب التعب... ألم تلاحظي
شحوب وجهك؟؟؟)... صمتت فوضع المرهم
جانبا حين انتهى، ثم حل طرحتها و أزالها،
واستلقى جوارها يضمها إلى صدره، قائلا بحزم
... (سأحل الموضوع... أمي تريد اللعب
... فاليكن...)... رفعت رأسها ترمقه بحيرة
جزعته، فضحك ثم قبلها على شفيتها يقول
... (لا تقلقي... سنجاريها فقط... ألم تنعتك
بالوسواس القهري؟؟؟... سنبدأ إذن بالعلاج
... و سنستعين بطبيب النفوس... الذي يقطن
الغرفة في آخر الرواق...)... ابتسمت بحياء

فعاد يقبلها، ويضمها بشدة، ثم مال على

صدرها هي كي تضمه بطريقتها الحانية،

وانصت لذكرها الى أن غفى كلاهما .

لم تكد تنقضي ساعات الليل حتى انتفضت

حق من نومها جزعة، فاستيقظ هو الآخر على

لهاتها، أنار الغرفة ثم أمسكها من ذراعيها

يهتف بخوف بلغ مداه من بياض وجهها،

يحاكي شحوب الأموات... (اهدئي ...حق ...ما

بك حبيبتي ؟؟؟ ... (نظرت إليه بصدمته

أنستها جزعها من حلمها البشع، دون أن تستطيع

تمالك لهاتها، فوعى على نفسه مستغرب من

الكلمة التي خرجت بآلية كأنه معتاد

عليها، لكنه تجاهل الأمر يحثها على التحدث

... (هل كان حلما مزعجا؟؟) ... تاهت بمقلتيها

متذكرة، فقالت بنبرة لأول مرة تملو بشكل

طفيف على خفوتها المعتاد (الجبل

الأبيض.... هل تركتم أناس هناك ...أم أن

الجميع عاد الى بيته؟؟؟؟) ... انقبض قلبه

محدقا بها بدهشة تشوبها الريبة، ليجفلا على

رنين هاتفه. نظرا الي الهاتف كأنه أفعى

سوداء سامته، ثم تناظرا فيما بينهما بنفس

الجزع، فنتشه ابراهيم نتشا يرد بقلق بالغ

الحد الذي يستحقه لا أحد غيره فعلها

....لقد فجر الموقع بأكمله.(.....)

... (طارق !!!!!) ... أنصت لبرهته ثم قال بغضب

احمرت له قسماات وجهه ..(أنا قادمحالا

....) رمى الهاتف تجاهه الحائط بقوة،

فتشتت الى قطع، مما أضاف المزيد الى ذعر

حق ، التي تكمشت على نفسها. سحبها يضمها

بشدة هامسا بغضب حارق(لا تخافي

....عودي للنومأو قومي وصليوادعي

الله لي بالصبرلأن نيتي الآن هي القتل

فقط) ... دفعته لتنظر اليه، لكنه لم

يسمح لها مردفا بعذاب تشبعت به نبرة صوته

الأجشتر... (إن وجدته أمامي ...سأقتله فهو

العلم نور لا يأنس إلا بقلب تقي خاشع
....الإمام مالك بن أنس.

يقف بشموخ بملامحه الصلبة، لا يعلم أحد
بمدى المرار والغضب الجارف في أحشائه.
ترك زوجته دون وعي حتى أنه صاح بأمه
حين حاولت إيقافه لتستعلم عن خروجه في
ذلك الوقت، لم يشعر بالطريق و لا بكل من

التقاهم منهم من يحاول التفسير و من

يستنكر. كل ما يعيه هو الخراب أمامه، لقد
دمر كل شيء، آلات الحضرة الغالية والحديث،
جميع التجهيزات، استغل حتى المتفجرات
المرخصة للعمل. كل تلك الخسائر لم تهمة
في شيء، بل أمرين فقط ما أضرمت النار في
جوفه، خوفه من تحمل عبئ ارواح بريئة ذنبا
الوحيد، جريها خاف لقمته العيش، وهو
....والده ال.....شد على شفتيه ..إنه ليس والده
و لا يمت له بصلة، لقد أيقظ أشباح الماضي
بكل بشاعتها، كان يتوقع ذلك لكن جزء

منه ولو كان صغيرا، لم يصدق وتأمل، في
عمق قلبه تأمل في شيء ما، بقدر ما يجهل
كنهه، بقدر ما تعلق به شق من قلبه. أما
اللحظة فكل قبس من أمل قد انطأ، انمحي و
اجتت من صميمه، وحل محله الكره فقط لا
أمل، لا توقع، فقط الكره. (ابراهيم
...رافقني من فضلك...) ... نظر اليه بقسوة
لم يخفيها، والآخر لم يهتم، فهو بدوره غاضب
حتى أكثر منه... (طارق تحدث!)...
أوقفهما صياح عيسى فالتفتا ليجدا احدي
سيارات العائلة، قد ترجل منها شقيقه و

منصف وجدده، زفر بسخط يهمس ..(ماذا
...الآن؟؟؟)... ربت على كتفه طارق يقول
بمهادنته... (اهدئ ابراهيم ...من الطبيعي أن
يأتواالمدينةت بأكملها ستعلم بالأمر.... لذا
يجب أن نستعجل قليلا...)...هز رأسه متفهما
فقال جده بلهفة عند وصولهم ... (ولدي
...أخبرني الناس..).. رفع طارق يده ثم
قال مطمئنا ... (اطمئنوا لا خسائر بشرية...
(... زفروا بعدم تصديق لحظهم، بينما قال
إبراهيم بريبتة..(كيف ذلك؟؟ ...العمل
بدوام مستمر تتناوب عليه الفرق ...)... ابتسم

مكملا... (هذا أول أمر سيدفعني لمساندتك
في ترشيحك إذا كنت جادا في مساعيك
....) ... لم يجبه إبراهيم يرمقه بنظرات كانت
أكثر من كافية لطارق، ومقلقة لأهله
يعرفون معناها جيدا. تدخل الجد طالبا من
طارق إكمال حديثه فقال الآخر... (أخفيت
عناصر أمنية بين العمال ... في انتظار رساله
.... لكن صراحة لم أكن أعلم انه سيتحرك
منذ اول يوم ... على الأقل ظننته سينتظر
لأيام يبدو أن هذا الجبل مركز مهم له
... لذا يريد اخافة الناس منه ... تركنا

طارق بسمتة باردة، لا تليق سوى بملامحه
القاسية من قسوة الجبل... (ألم أخبرك يا
إبراهيم ؟؟ ... لكل علم أهله ... تفضلوا معي
.... لقد تأمن الموقع بأكمله...) ... رافقوه
يطوف بهم في الخراب وهو مسترسل.. (كنت
على يقين في تدخل) ... لم يذكر اسمه
مراعيا، ثم أردف.. (في الحقيقة كنت فرصت
لا تعوض بعد أن أضناني البحث و التحريات
.... يجيدون الاختفاء بين الجبال و
المديرية تتجنب تضيق المصادر في قضية
خاسرة و الصراحة...) ... نظر الى إبراهيم

والسخط... (هرب من جديد ...)... هز طارق
رأسه بأسف ثم قال... (أنا أسف من أجل
الخسائر المادية ... لكن الوقت كان ضيقا و
العناصر كنا في حاجتهم ...)... هتف
ابراهيم بغضب ... (لا تهمني الخسائر اللعينة
... بل أريده هو ...)... هز طارق كتفيه قائلا
بتأكيد ... (هناك من يساعده ... لكني
أؤكد لك سنجده ... بإذن الله سنجده ... لقد
كشفنا الموقع الأساسي ... صعب عليهم تجهيز
آخر بسرعة ... ومع قساوة الجبال ... سيكون
الآن في الطرق ... سيلجأ الى مدينة كبيرة لا

المرسال يطوف بحرية ... كي لا يشك بشيء
ويأخذنا الى موقعه ...)... توقف ابراهيم وقد
احتبست أنفاسه في صدره، يقول بنبرة جامدة
... (وصلتم لمكانه؟؟؟)... ضم شفثيه
بانزعاج يرد ... (لم يكن الوقت في صالحنا
... لذا صرفنا العمال بأمر مزيف منك
... وتتبعنا المرسال ... كانت ليلة سيئة ...
اشتبكنا معهم في قتال دامي ... وقبضنا على
البعض، مات البعض و طبعاً هرب الباقي ...)
تنفس ابراهيم بحدة، واسودت وجوههم
بالكامل فقال الجد بحزن دُمغ بالحقارة

الجبل لذلك صرفتهم البارحة وطبعاً
ستبعثهم لمواقع أخرى او في اجازة الى ان تعيد
تجهيز المكان القصة واحدة لكن يبقى
الاختلاف في طريقة تداولها ... إحداهما
... (رفع يده مشير الى الأعلى... (ترتقي بك
الى السماء ... والأخرى... (هو بيده
مكملاً... (تهوي بك الى أسفل السافلين
... (ظل مكانه جامدا يغلي، فتدخلوا أهله
مساندين ومشجعين حديث طارق، وانتظروا الى
أن اجتمع العمال الذين صدموا من مشهد دمار
الموقع بآلاته، فترك الحديث لطارق، الذي

مجالته عممنا صورته على كل النقط و
المراكز... هي مسألة وقت فقط...)
تحرك اسماعيل مستعينا بشخصيته العملية
قائلاً... (ابراهيم ... لا داعي للبقاء هنا
... (تركنا أهل البيت في فوضى ... (تدخل
طارق قائلاً... (هناك شيء يجب أن تقوم به
كي لا يصل المجرمين لهدفهم فتضيع
سمعتك هباء... (لفت انتباههم فاستطرد
... (العمال سيأتون بعد نصف ساعة تقريبا
... أريد منك ان تصاحبني لأشرح لهم أنك
نسقت معنا في عملية للقبض على مجرمي

على أرض الواقع) ... انصرف العمال بحيرة

لكن غلب عليها السرور، ليربت طارق على

كتفه قائلاً برضى ... (أحسنت صنعا ابراهيم

..... واعلم انني من اليوم مساند لكو

لحمايتكعفوا ..سأغادرو اعلمك

بالتفاصيل أول بأول).. غادر بعد أن

ودعهم، فقال عيسى ببعض التردد... (يجب أن

نتحدثلكن ليس هنا...).. نظروا اليه

بريبته، لكن رنين الهاتف قاطعهم ليسحبه

اسماعيل وتحدث ليقطب بقلق يقول

تحدث بمهنية أقنعت الناس. تأملهم ابراهيم

بوجل، منهم شباب صغار، وكبار على مقربة

الستين، بلع ريقه حين تذكر امكانية

تعرضهم للقتل على يد من أنجبه فهتف دون

وعي(اعتبروا انفسكم في اجازة مدفوعة

الأجر...الى أن يتم إعادة تجهيز المكان ...

ولا تخشوا شيئاً ...سأستعين بحراس محترفين و

نركب كاميرات للمراقبةأرواحكم أهم

عندي من العمل و الآلات...و من كان لديه أي

اقتراح يساهم في أمنكم و اطمئنانكم

....قدموه للإدارة... لنناقش امكانية تحقيقه

... (ابراهيم شمة هاتفتني زوجتك

أغمي عليها ...)

. اتسعت مقلتي ابراهيم بصدمة بعدها خطى

مسرعا الى سيارته.

.....

قبل لحظات في منزل آل عيسى ...

منذ أن خرج ابنها وهي تستشيط غضبا من

معاملته المشينته، لم يتجرأ يوما على الصياح

في وجهها، رغم طبعه الحازم و شخصيته

القوية، كان يعاملها بصبر و أدب. زفرت بغل

تهمس بحقد تمكن منها ... (طبعاً الحرياء

دخلت حياتنا و بدأت بنفت سمها.... الله أعلم

بما أخبرته به تدعي البراءة والتمسكن

(... أذن الفجر فاستغضرت ثم صلت، في

انتظار أحدهم ليتصل بها، فلا أحد منهم

أخبرها بشيء، مع أن سواد وجوههم كانت

تنبئ بمصيبة. سمعت حركة قادمة من

المطبخ فاتجهت إليه تزفر بغضب بلغ ذروته

حين تذكرت صياح ولدها، ليفيض على آخره

حين لم تجدها بل شمة تفرغ الدقيق في

القصعة لتبدأ الطقوس اليومية.....(تلك

إيجتة... ماذا ستفعلين؟؟... لقد جنت المرأة

....استريا ستار....)

أنهت صلاة الفجر فبقيت مكانها تسبح و

تستغفر، أمضت الساعات بعد مغادرة زوجها في

القيام تدعو له بالحفظ و السكينة. لم تشعر

بالوقت وهي منهمكة في كل ما حفظته من

أدعية و ذكر، لتهتز من مكانها بصدمة حين

فُتح الباب بجدة مصدرا الصخب. لمحت ملامح

حماتها المستشيطة، فتذكرت مهامها، تسمرت

مكانها تشعر بوهن أصاب رجليها بفعل التعب و

الخوف، والأخرى ترغي وتزبد بكل ما أوتيت

البلهاء لم تنزل بعد... أي مصيبة ابتليت

بها!!?)... انتفض بدن شمة فهتفت بجزع

... (بسم الله الرحمان الرحيم... ما بك يا

امرة؟! ..أصبحنا و أصبح الملك لله

....) ...هزت رأسها بحقد تهتف... (مولتنا

الأميرة حق... لا زالت نائمة... طبعا حققت

مأربها... و أصبح ابني خاتما في اصبعها

...فلتهدأ بنومها إذن... لكن لن أكون إيجتة

.... إن لم أعلمها درسا لن تنساه أبدا....)

استدارت تضرب الأرض بغضب، فتبعها شمة

بقلق بالغ تنده عليها ثم تهمس... (انتظري يا

من نبرة عالية... (تمسكنت حتى تمكنت يا

حرباء... تتلونين بلون الطيبة و البراءة

... لكنني أعلم بنيتك و لن تنالها مادام في

صدري نفس) ... كأنها تحدث جماد لا

يشعر، لا تصدر لا فعلا و لا حركة، فقط

جمود ترمقها ببلاهة ومقلتيها ترمشان بقوة.

زمجرت إيجت بغل وسحبته من ذراعها بقوة

لتدفعها الى باب الغرفة وهي تصيح ... (لا

تقفي هكذا كالغبيطة!! ... هيا الى عمالك

... ولا تريني وجهك اليوم أفضل لك !!) ...)

لم تستطع حق استدراك توازنها، فلصطدمت

جبهته رأسها بالحائط المقابل في الرواق،

ليلفها الظلام وتفقد الإدراك بما حولها.

شهقت شمة بصدمة، كانت تنتظر على باب

الغرفة، وقد استحت من الدخول، فأسرعت

إليها تتفقد وجهها الشاحب كالأموات. التفتت

الى إيجت المتسمرة مكانها تهتف

بسخط... (ماذا تفعلين عندك؟؟ ... أطلبي

احد ابنائك الفتاة لا تستفيق

.... هيا!!) ظلت تناظر شمة ثم حق

بالتناوب تهمس بتلبيك

... (م...م...م... اذا؟؟؟ ... لا ... أنا) قامت

شمتة بحنق تزيحها من أمامها، وقد قررت

الدخول الى الغرفة بحثا عن الهاتف. طلبت

إسماعيل أرزنده عقلا و اتزانا كي يستطيع

مساندة شقيقه، ثم عادت تحاول سند حق

المغيبية تماما، تحاول تفقد وزنها كي تنقلها

الى سريرها، لكنها لم تقدر فظهرها قد هذه

الزمن، ولم تعد ذات قوة.

أسرع الى الطابق الثاني، وكله ينبض بالخوف،

كان يعلم أنها تعبته، وجهها الشاحب و بنيتها

النحيضة. زاد من سرعته حين لمحها ملقاه على

الأرض، وشمتة تسنده رأسها، حملها قائلا

يستفسر بدهشة... (ما بها يا خالته شمتة

؟؟؟)... ارتبكت شمتة ترمق إيجته المتسمرة

مكانها كتمثال مصدوم، لينقدها من الجواب

قدوم شقيقه و منصف و الجد يهتف بجزع هو

الآخر، حين لمح ابراهيم يحاول ايقاظ زوجته

الشاحبة... (ماذا حدث ؟؟؟ ... اللهم قنا من شر

هذا اليوم ...رحمتك بنا يا أرحم الراحمين

...) ... نظر اليهم ابراهيم يسأل بقلق (اسماعيل

...اتصل بأمين و استعجله...)... هز المعني

رأسه بموافقة وخرج من الغرفة. ظل الجميع

صامتون، يراقبون محاولات ابراهيم....(حق

....أفيقي...حق..).. شحوبها هوى بقلبه الى
قاع الخوف، هي قطرة الماء الباردة، وسط
جحيم قلبه. بؤرة النور في قاع ظلمته، تاه
عقله الى أول يوم تعرف عليها، استغرب من
استرجاع لتلك الذكرى وفي تلك اللحظة
بالذات. هل لأنه احتاج رحمتها به واحساسها
الصادق تجاهه كما ذلك اليوم الغابر. يحتاج
تلك السكاكر، حلوة تعدت معناها الى
بلسم ضمد جراحه الفائرة، لمست حنان من
أصابع صغيرة مسحت دموع الكبرياء، تلك
الصغيرة شعرت بألمه العميق، من بين كل

الناس توجهت اليه ومنحته كل ما لديها
حينها، فظلت ذكرى عالقة بقلبه قبل عقله.
يريدها الآن، هو في أشد الحاجة اليها، تلك
النظرة الناعمة، المتدفقة بالرحمة كأنها
النبع بنفسه. تلك اللمسة الحانية، بطريقتها
الخاصة، كلماتها المستحبة بنبرتها الهادئة
الباعثة في قلبه السكون. رقيتها القوية
بصدق ايمانها بالكلمات المقدسة، وبين
ذراعيها الواهنة. يريد بها بكل كيانه الملتاع
المحتاج لكيانها السلمي، يريد احتواها داخل
احتوائه هو، أن تحيي بين أضلعه يمسي ويصبح

على ملامحها المُسرّة لقلبه. إنه يحبها، تنفس

بعمق معترفا بما صاحت به أحشائه، تقدم

القلب يضج الصدر معلنا عن صاحبه، وتقدم

اللسان مترجما حين ناداها حبيبتي، فماذا بقي

كي تعترف النفس لحالها؟!، إنها الماء العذب

سر حياته.

(ابراهيم ؟!)... رفع رأسه بحدّة، ليجد

الدكتور أمين يطلب منه التنحي ليتمكن من

فحصها. أوما بخفت وهو يقوم دون ان يحيد

بنظره عنها. تفقد امين نبضها و من ثم أخرج

قياس الضغط. لاحظ الكدمة التي احمرت

على جبهتها. فطلب من ابراهيم الانفراد به و

زوجته في الغرفة، وهكذا انسحب الجميع،

فجذبت شمتة إيجتة الجامدة كأنها تمثال نُحت

مكانه. قطب ابراهيم بريبتة فأشار أمين الى

جبهتها... (هل وقعت من جديد ؟؟...)...

تفقدتها هو الآخر، ورد وهو يكظم غيظه

....(أغمي عليها في الرواق... قد يكون رأسها

اصطدم بالأرض؟؟؟)... سأل الطبيب بدوره

....(لم تكن حاضرا أثناء وقوعها؟؟؟)..

...دعك مقلتيه بتعب يرد... (لا... كنت

خارجا... مع طارق...)... أوما أمين بحيرة يهتف

..(ليس الآن...المهم يجب أن تعرف مصدر

الكدمتة ... إن كانت بالفعل كثيرة الحوادث

يجب أن تستشير طبيباً مختصاً...لنعرف

السبب...)(... قاطعه إبراهيم بوجود يأس

...)(لا يا أمين ...هي فقط دائماً ما تحضر في

الوقت والمكان الخطأ ...)(... نظر اليها متأملاً

سكونها يردف بأسف ...)(بل ولدت في الزمن

الخطأ ...)(أستغفر الله العظيم ...).. ابتمس أمين

قائلاً بدهشة ...)(أصبحت شاعراً ...).أنتبه الي

...لأنني سأوقظها ...).هناك أسئلة يجب أن

تجيب عليها لأحدد أنواع الفحوص المطلوبة

.....ساعدي و أزل الرداء عن ذراعها الأيسر...

ضغطها منخفض للغاية.....)(... هز رأسه

متفهماً، وحرك يدها الباردة برقته. أثنى كـ

العباءة، ثم راقبه وهو يحقن ذراعها. قرب

القطن من انفها بعد أن وضع فيه سائلاً ما،

فرمشت بجفنيها تبعد انفها عن الرائحة

المزعجة. أمسك رأسها بين يديه قائلاً بهدوء

يكاد يقرب الهمس، فابتعد أمين مدعياً

البحث في حقيبته.....)(حبيبتي ...).أنت بخير

لا تخافي...)(... اتسعت مقلتيها بتوتر ترمق

بؤبؤي عينيه القريبتين بالتناوب يمينا ويسارا،

يسارا ويمينا، أنفاسها تتلاحق. هناك شيء ما
تغيرهي تعلم ذلك. لكنها مشوشة بين الألم
في رأسها وأطرافها حتى أن رؤيتها يشوبها بعض
الطشاش، رفعت كفها تتلمس على موضع
الألم، فوعى ابراهيم على قرب الزائد. ابعده
نفسه قليلا يتلفت باحث عن أمين ليجده لا زال
يبحث في حقيبتة، عاد الى زوجته يستفسر
بنبرة أجشه.. (كيف أصيب رأسك؟؟...).

رمشت بجفنيها مرات عدة كي تركز
ببصرها، ترد بخفوت
واهن.. (آ... آ... اص... ط... ضمت

....بالحائط...ف...في...الرواق....). زفر
بأسى وربت على رأسها قائلا.... (لا بأس عليك
...كنت أعلم أنك تعبته... وستقعين في أي
لحظة....). ... تنحج الدكتور أمين مقتربا،
فتركها ابراهيم دون ان يقوم من جانبها.
....(سعيد برؤيتك من جديد سيدة حق...مع
أن المناسبة لا تسعدني أبدا...).. أطرقت حق
مستحيية فنظر اليه ابراهيم بنظرة خطيرة،
ابتسم امين بمرح ثم ادعى الجدية قائلا
....(أريد ان أسالك بعض الأسئلة... إن كان
بالإمكان..).. نظرت الى ابراهيم فأوما لها

... فكر أمين في شيء ما، فلمس على جبهتها
قائلاً... (تؤلمك؟؟)... تحدثت بوهن ترد
... (ليس كثيرا...)... ليسأل بنبرة أرادها
عضوية... (متى موعد دورتك الشهرية؟؟؟)....
تجمدت حق مكانها، وانسحبت الدماء من
وجهها ليبيض أكثر من شحوبه الأصلي،
فابتسم ابراهيم ينتابه بعض الخجل هو أيضا،
لم يتعود على تلك الأمور. رمقه أمين ليحثها
على الرد، فاقترب رابت على يدها... (حق
...التاريخ... من فضلك...)... فتحت فمها في
محاولات للتحدث، فلم تكن تجد صوتها،

مطمئناً، ليقترب أمين بمصباح يدوي صغير،
وجهه الى مقلتيها فأمرها بالنظر إليه ثم
سأل... (هل تشعرين بدوار؟؟)... أو مأت بخفت
وهي تبتعد منزعجة من الضوء، اطفأ المصباح
ثم سأل مرة أخرى... (متى بدأ الدوار؟؟؟ اليوم
بعد الازمء... أم قبلاً...)... بلعت ريقها
تفكر، فقالت بخفوت.. (قبلاً...).. شد
ابراهيم على شرف السرير بين قبضته يده
بغضب، وأمين يتابع استجوابه، دون أن تخفى
عنه حالة ابراهيم... (متى تقريبا؟؟؟)... رفعت
عينها تفكر، فقالت... (أسبوع... تقريبا...)

ابراهيم بحيرة، فاستطرد أمين مفسرا... (تاريخ
اليوم الثاني والعشرين لذا يجب أن نتأكد
من الحمل إذا حدث يجب أن تحُد من
حركاتها.... لأن حادثا أخرى قد تؤدي بها و
بحملها إذا وُجد... ولن يكشفه سوى فحص دم
في هذه المرحلة المبكرة) اندهش
ابراهيم يقول بعدم تصديق... (حمل ؟؟
.... لكن ...). رمقه أمين بريبتا
يستفسر... (لكن ماذا ؟... يا سبع
الرجال؟؟؟).... عبس إبراهيم في وجهه ناطقا
بحنق... (ما قصدته أن اللقاء بيننا كان لمرات

لتهمس أخيرا بنبرة تكاد تُسمع... (الخامس
عشر من الشهر...). أوما أمين ثم قال.. (متى
آخر مرة؟؟... الأسبوع الماضي؟؟؟)... سكنت
للحظة تفكر بريبتا تبعها ادراك لتومئ
سلبا، فابتعد مشيرا الى ابراهيم لينزوي به،
ثم قال بجديتة... (يجب ان نأخذها للمشفى
حالا...)... بلغ به القلق مداه، فهتف
بلهفتة... (لما؟... تحدث يا أمين !!)... ريت على
كتفه مهدئا... (اهدأ ابراهيم... وودعني أشرح
لك أول فحص هو لرأسها لتتأكد من
الضرر و الأهم فحص الدم). قطب

قليلتة... تعلم.... العمل و العائلة...و...لماذا
بحق الله تبتسم؟؟؟)...تمالك أمين نفسه
بأعجوبة قائلاً بنفس الخفوت، الذي
يتحاوران به منذ البداية... (لهذا اخترع
الناس شيئاً اسمه...شهر العسل.... ليأخذ
العريس عروسه الى مكان بعيد لا يعرفه أحد
....فيختليان ببعضهما دون تدخلات.... لكننا
بعدين جدا عن ذلك الفهم....لم نصل
لمستواه بعد....) ...زفر ابراهيم من نبرته
المتهكمت، فأردف أمين بجديتة استرجعها
بشق الأنف... (على العموم....في حالات

كثيرة....يكفي لقاء واحد....الحمل لا
يحتاج للقاءات كثيرة إن كتبه الله....و
يسره...ونحن لم نتأكد بعد....لذا أرجوك
لا تأخر فحصها...)... تحمس لفكرة حملها
كما تلهف قلبه قلقا عليها. فالتفت إليها
يحملها بين يديه تحت أنظارها المدهوشة،
ليقول باسماء....(عباءة صلاتك ساترة تليق
بالخروج....)....وجده أهله مصطفىين في
الرواق ينتظرون، فانتفضوا بقلق حين لمحوه
يحملها، ليقول وأمين من خلفه يبتسم بمكر
....(سندهب للمشفى لفحص رأسها....)....

....) ... لهتت الخادمة تهتف بتوسل ... (اتوسل

اليك آنستي لا تخربي بيتي ... لقد نبهتك

منذ البدايتة... يلزمننا أثرها ويلزمننا وقت

لأنها من الملتزمين لا تضارق الذكر ...)

اقتربت منها صباح تهمس بحقد ... (لا أصدق

أكاذيبك ... أنت وهو تنصبان علينا ... أريد

كل المال الذي صرفته... إلا أدخلتك

السجن ... أنت وهو...)... هتفت تحلف بالباطل

على الكذب ... (وحق سيدي بن الناصر ... أنا

لا أكذب ... آتيني بأثر لها ثم أنا اقترحت

عليك سحرا للأكل لكنك رفضتي

تبعه أمين يهمس لإسماعيل الذي رافقهم

.... (عشت ورأيت أحد ابناء الجبل يعشق

..... اوعدنا يا رب ...).

منزل المرابط

(يا غبيته كل ما أكادت عليه لم يكن

سوى كذب لم يحدث فراق والعروس

في حضن زوجها سأبلغ عنكم الشرطتة

... و اخرج بيتك و بيت الدجال ذاك

ليمتنع عن الكذب وادعاء ما لا يستطيع فعله

كل جارحة فيه، ثم قال بغموض... (قريبا
ستعلمين عن خططي...الخطرة...)... اقترب
منها و النظرة تتحول الى زيغ ينفلت من
عقاله... (أما أنت.... فأكملي في طريق السحر
هذا.... واسمعي نصيحة الخادمت... فالسحر
في جوف الرجل.... غير السحر خارجه
....إسأليني أنا عن ذلك...)... هم بتقبيلها
فانفلت من أمامه تهتف بسخط... (هل جننت
مجيد؟؟... لقد حذرتك.... ابتعد عني
...)(صباح!!)... انتفضا على نبرة الحاج
زكريا الغاضبة، ليتوجه اليهما عابرا المسافة

....جربيه وسترين النتائج...)... زمت شفيتها
بتكبر ترمقها باحتقار، فأتاهم صوت مجيد
الأمر... (انصرفي لعمالك.... هيا!!)... نظرت
الفتاة الى صباح باستجداء، فأشارت لها
بالذهاب. فقال بتهكم... (لم تجدي غيرها
مشجبا لتعلقني عليها فشاك.... سحر و شعوذة
...هراء...)... تخلصت تهتف باستصغار لترد
عليه بنفس التهكم... (و ماذا فعلت أنت يا
صاحب الخطط الخطرة؟؟...).... ابتسم بتمهل
وقح وهو يرمق منامتها الملاصقة لبدنها،
والشعر الحريري اللامع الذي سلب ولازال يسلب

إلى آخر الرواق حيث غرفتها يهدر بانزعاج

... (كيف تخرجين من غرفتك بهكذا

ملابس؟؟... و أين طرحتك؟؟...)... ردت

بتلبك تتلمس على شعرها... (أبي انا في

البيت لا أحد غريب...)... أجابها بتهكم

يشير مشيرا الى مجيد.... (وهذا الرجل هل

هو زوجك أم شقيقك.... أو ربما شاركك

حليب أمك و انا لا اعلم...).. تدخل مجيد

ممازحا بسماجة... (مستحيل يا عمي

...أكبرها بأربع سنوات ... كيف سأرضع من

زوجة عمي وأنا في مثل ذلك السن؟؟.... أنا

عن نفسي اختار الأول.... كزوج سيسعدني

الأمر جدا يا عمي....)

جحظت مقلتي صباح و شفيتها ترجف بغل،

بينما والدها يقول بمكر امتزج بامتعاض

شابه الغضب.... (بما أنها لا تستحي أمامك

....أظن انها قد تكون فكرة مناسبة...)

وهكذا نرتاح من اعوجاجكما معا...)

استدار لينسحب بعد أن أشار لمجيد

بالانصراف، فاقتربت منه صباح تضمه بدلال

تقول برقة أحسنت ادعاءها، بشكل أضحك

مجيد وهو يبتعد... (بابا.... حبيبي... من

الوالد كما يُدلل ... يقسو حين يرى أن القسوة

في صالح ولده ... وأيضا يعاقب

.... فاحذري عقابي يا ابنتي (...). راقبت

مغادرته بسهولة، لتهمس بتصميم ... (ستري يا

أبي كيف ستفخر بي ... حين يخسر ابراهيم

أمامك ويتسولون من النسب). علا رنين

هاتفها فهرولت الى غرفتها، ردت حين لمحت

رقم الحاجة إيجت، وصمتت لبرهة تنصت

بتركيز، ثم زمجرت بغل أسود وهي تضرب

هاتفها بالحائط، لیتشتت أمامها الى قطع من

الخردة.

فضلك لا تغضب مني انا صباح صغيرتك

المدللة أنا أسفتت على كل شيء فات ... و

اقسم لك سأصحح أخطائي ... و أنا اعمل على

ذلك ... فقط امنحني وقتا).. أزال يديها

ببرود أرغم عليه نفسه وقلبه الخائن يحث

عليه ضمها الى صدره، ليحميها من نفسها، هي

صغيرته صباح، متى كبرت لتصبح عبئا،

يكافه الكثير، وأول هذا الكثير هي نفسها.

رمقها بتحذير جاد، ونبرة تشبعت بالحزم

.... (أخطائك كثرت يا صباح تدليلي لك

ليس ضعفا مني بل حبا ... لكن اعلمي أن

منزل عزيز..

استيقظت اليوم بنشاط، وقلبا يهدر بسعادة
افتقدتها منذ أن طلبها عزيز للزواج، فرماها
والدها لأول مخلوق يحمل صفة الذكورة كي
يريح ظهره من عبئها. نظرت الى المرأة وسوت
طرحتها، ثم تنفست بعمق وابتسمت بضعف
لانعكاسها، فقط كي تبث في نفسها بعضا من
الثقة.... (أين أنت؟؟... لن انتظر للغد...)
اهتز بدننا و طارت عزيزمتها أدراج الرياح.
حملت حقيبتها و أسرعت إليه وهو يستطرد
بنفس تهكمه المهين.... (لا أعلم كيف

قبلوك في العمل؟ ... لكنه نفس الفخ ...
مظهر كن الجاذب للرجال كالذباب الى
مصرعه حول النور الزائف ..) ... بلعت ريقها
تدعو الله في سرها أن تمر نوبته على خير،
فهي لاتزال تستغرب أمر موافقته، وهو على
عادته يسمعها سُم كلماته، وإهاناته. أعطاه
ورقة ما امسكتها تتفقدها وهو يقول بتشفي
... (أضيفي هذا للملف انه رقم حسابي....
كي يحولوا إليه أجرك ...). ... رمقته بعدم
تصديق، هل سيستولي على تعبها؟، كانت
تعلم، المجرم البائس. اتسعت بسمته اللئيمة،

وأمسك دقنها بين اصبعي سبابته و ابهامه،

بشدة ألمتها وهو يهمس بحقد قرب

شفتيها... (لا تخافي... سأعطيك مصروفك

صباح كل يوم القليل يكفيك على

كل حال... هيا... لا تريدين التأخر عن

عملك في او أيامه...)... ثم ضحك بصخب

وهو يفلتها، باعت ريقها ودمعة يتيمت تنحدر

على وجنتها، فمسحتها بحددة، تهمس بكل

وجع من جوف قلبها المكلوم... (حسبي الله و

نعم الوكيل....).... كلمات سهله النطق،

سريعة الحفظ، لكنها كالسهام النفاثة، لا

يردها عن هدفها حد ولا حجاب...فيا ظالم

اتقي دعوة المظلوم...فليس بينها و بين الله

حجاب... (صدقت يا رسول الله...عليك أفضل

الصلاة و السلام)

.....

المشفي ...

تنفس بنفاذ صبر، فتحدث اسماعيل مهدئا..)

أخي... استرخي.... كل شئ على ما يرام

(.. هز رأسه ثم نظر إليه قائلا

بتوتر... (كيف أصيبت في رأسها يا اسماعيل

؟؟... لقد راوغت وأجبت بما لم أقتنع به ..)

قطب الأخير بريبتة يقول... (ماذا تقصد؟؟)...

زم شفتيه بامتعاظ ثم قال ..(أمي تقوم

بتصرفاتها النسائية يا أخي ...و انا مشغول جدا

كي اجاري هذه الحرب بين الحماية و الكنت

..).. ضحك إسماعيل قائلاً باستهانتة ... (لا

تحمل الموضوع أكثر من عبئه ...) ...أوما

بجدية قتلت البسمة المرحة على محيا

شقيقه،... (ألم تفكر في الأمر؟؟ ... وقوعها

المستمر ... الفتاة لم تكمل الشهر ..ويديها

متقرحة ..أطرافها ترتعش ألما ...و الآن تلك

البقعة الحمراء على جبهتها...و كأنها في

حرب وليست عروس حديثة الزواج)... صمت

إسماعيل مفكرا في الأمر، فأردف ابراهيم

بتأكيد ... (أجلوان وجدت جوابا شافيا

....اخبرني ...لأنني لا أريد تصديق الجواب

الوحيد الذي يظل عقلي يُطربني به ...)..

ظهر لهما أمين فقاما إليه، على وجهيهما ترتسم

ملامح التساؤل..(اطمئنا ...الضربة لم تكن

قوية كفاية لتسبب ارتجاج في المخ

.....الحمد لله على ذلك ... لكن ضغط الدم

يستمر في الانخفاض كلما زال مفعول الدواء

.... بدنها تعب جدا لن يتحمل حادثا

أخرى ها أنا ذا أحذركم ومع حالتها

المؤكددة...تلتزمها راحة ضرورية (...)... قطبا

بحيرة فاستطرد باسماء... (مبارك عليك يا

ابراهيم...ستصير أبا بإذن الله... زوجتك

حامل...)... ارتخت ملامح ابراهيم مستبشرة و

أمين يكمل بتحذير... (حملها في مرحلته

المبكرة... الأسبوع الأول.... و أي تعب يشكل

تهديدا لها و للجنين ..)... أوماً بتأكيد يسال

بلهفتة... (أين هي؟؟؟)... أشار له الى غرفتها

فأسرع اليها، بينما أمين يضحك اسماعيل

قائلا بمرح... (أخبرتك... شقيقك عاشق

(...)... لكن الأخير له يكن في مزاج

للضحك، وهو يفكر في سعادة شقيقه

المهددة بالزوال في أي لحظة. بعد تفكيره

الجاد في الأحداث الأخيرة، استنح أمرين غاية

في الأهمية، أن تلك الفتاة التي اختارها

ابراهيم زوجته له، بشكل ما اختارها قلبه،

ولسبب ما هي دواء لكل آلام قلبه، وخير دليل

على ذلك نسيانه لفاجعة أيقظت نيران

الغضب و الأسى فيهم جميعا، وبسرعة قصوى.

ما فعله والدهم، أعادهم الى سنين الذل و

المهانة التي تركهم يتخبطون في مستنقعها،

يدمر ابراهيم نهائيا. فتكون تلك القشة
التي قضمت ظهر البعير....(ما بك يا اسماعيل
؟؟...)... أجفل من تفكيره العميق، ليبتسم له
قائلا بمجاملته... (شكرا لك يا دكتور أمين
...).

.....
اقترب منها بخطوات هادئة، متأملا إغضاءتها
الساكنة كسكون ملامحها وصفاتها. تلك
الفتاة الضئيلة الحجر، مكانتها تتضاعف
لديه كل يوم. لقد نجحت في صرف انتباهه
عن ظلمته من جديد، أسعدت قلبه ومنحته

وها هو إبراهيم يقف من جديد كالجبل
الشامخ، بعد سويغات من غضب جارف أصابه
بإحباط واجم، ليستعيد شغفه بالحياة في
لحظة فقط، بسبب بشرى حمل زوجته، وشيء
ما غامض في علاقتهما. متى احبها وكيف؟،
ظل هذا السؤال عالق في ذهن اسماعيل، مع
سؤال آخر أكثر أهمية، لما والدته لا
تتقبلها؟، وهذا أوصله الى الأمر الآخر الذي
استنتجه، أن الطبيب و ابراهيم محقان، الفتاة
الآن في وضع حرج، وإن أصابتها حادثة لا قدر
الله ولو بسيطة سيدفعون ثمنا باهضا، قد

ابتسم لها فابتسمت له بوهن، وتحدث بهمس
قائلا برقتة... (كان يا مكان قبل ما يزيد
عن عقد من الزمنفتى وحيد بائس ...
حاوطته الأقدار ببلايا أكبر مما يتحمل ظهره
الفتي ...حتى أنهكت أعصابه.... فانزوى ليلعق
جراحه بعيدا عن العن جف حلقه وامتد
المرار في جوفه كالعلقم ...).تعلقت
مقلتيها بملامحه الرجولية المسترخية، تتبع
الكلمات على شفثيه بتركيز متمعن ... (فجأة
وبغتة ... شعر بلمسات خفيفة على وجهه
...فرفع نظره ليجد فتاة صغيرة تحت رداء

سكاكرها الحلوة، وفي يوم كان ليترك
علامة جديدة سوادء تؤرق أحشائه لسنين
قادمة، أما الآن.... اتسعت بسمته بشكل لم
تعدهه صلابته ملامحه،... أما الآن فقد دمغت
تلك الذكرى بأخرى ستبقى معه الى آخر
العمر، وهو يرى ولده يكبر أمامه ليربيه كما
يريد ويؤمن، بعيدا عن كل ما تلقاه من والده.
قبل جبهتها، موضع الكدمتة، فعبس بخفتة
وهو يتذكر الغموض حول ما يحدث معها.
فتحت مقلتيها حين تسالت رائحته الى أحلامها،
لتجد وجهه قريبا جدا، حيث أفته مؤخرا.

ضعف حجمها الضئيل ... تقدم له سكاكرة
مستديرة بألوان مختلفة ... استنكر الفتى
فعلتها ... وقد كان للرجولة معنى آخر في
إدراكه ... لكنه تراجع حين أخاف تلك
الفتاة الصغيرة ... متذكرا جروحا أخرى
شخصية ... ناغشته ببراءتها وهي تقنعه بأخذ
السكاكر المختلفة و الساحرة بمفعولها
... إلا أنها تريد استرجاع واحدة ... الحمراء
بالذات ... لكن الفتى كان أنانيا فأخذها
كلها ... قد يكون نسي ارجاع الحمراء ...
لكنه لو خير لفضل أخذ سكاكرها

كلها ... فقط كي تطفئ نار جحيمه
المستعرة ... صمت محققا في وجهها
المأخوذ بكلامه كليا ، فاقترب أكثر يقبل
شفتيها بخفتة ، ثم سأل بحنان صاحبة
الذكرى ... (هل تذكرين شيئا يخص هذه
القصة؟) ... بلعت ريقها الجاف من مشاعرة
اهلكت قلبها النابض بشدة ، ثم سحبت
مقلتيها من على وجهه كي تستطيع استعمال
عقلها ، فالقصة مألوفة لديها لكنها مركونة
في زاوية الذكرى البعيدة . سريعا ما تذكرت
تلك السكاكر ، حصلت عليها في ندرة قل ما

حمراء... بل تعدت ذلك الى ديون قد لا
أستطيع الايفاء بها....) فاجأته حين ردت
عليه بفهم لما يقصده... (ربما ... لم تكن
ديونا من الأساس....) عاد يبتسم بحب شع
من مقلتيه، ووضع كفه على بطنها
هامسا... (أنت محقة.... قد لا تكون ديونا
.... لكن نعماً بلا شك.... ويجب علينا الحفاظ
عليها بعد الشكر و الحمد لمن رزقنا بها
...) نظرت الى موضع يده، فحمدت ربها
بخوت، ليردف بجديته حازمته، وان كانت
هادئة... (لا حوادث بعد اليوم يا حق إذا

تحدث لتفقدتها من أجل فتى لفت انتباهها، لا
لم يكن هو من لفت انتباهها في الحقيقة بل
دموعه. التفتت اليه بادراك لتهمس بدهشة
... (انت كنت تبكي !!) ... ضم شفتيه
بسخط مزعوم، يرد وهو يلمس أعلى
أنفها.. (قلت لك من قبل... لم أكن أبكي
...) رمقته بعدم تصديق، فاستطرد باعتراف
مجبور... (حسنا قليلا ... لكن لا تخبري
أحدا ... كي لا أفقد هيبتى ...) ... ابتسمت
بمرح أنار وجهها التعب، فقال بغموض... (ديني
تجاهك ... لم يعد يقتصر على حبة حلوى

بيت الحاج عبد الله ...

تنهدت رواح بمال تقول بتوسل ... (أرجوك أومي
... اشتقت لحق ... أريد رؤيتها ... نحن لم نزرها
بعد العرس ... أرجوك لنذهب مساء
... لطالما زرتهم قبل أن نتناسب معهم ...
زفرت بياس في وجهها تجيب بسخط ... (يا فتاة
افهمي ... أتمنى زيارتهم كل يوم ... لكن
والدك حذرني من ذلك ... لا أعلم لما
... سأموت من غيظي ... وأنت أعلم بوالدك
... إن عصيت أمره ...) ... قلبت رواح شفتها

حدث ووقعت مرة أخرى لا قدر الله ... قد

تعرضين نفسك وابنك لخطر محقق ...
لمعت مقاتيتها بدموع لم تذرفها ثم همست
برقة أذابت قلبه ... (أنا ... وهو ... وأنت ... بين
يدي الحق ... لا تخشى شيئاً ...) ... هز رأسه ثم
قبل اعلى رأسها قائلاً بنفس الحزم ... (استعدي
... سنعود الى البيت ...) ... أو مات موافقتاً ،
واستدار ساحبا الهاتف ثم هتف بعد برهت
... (السلام عليكم ... الحاج عبد الله
... كيف حالك ؟؟) ...

.....

قد يوافقنا على زيارتها (...). لم تكذ تفتح
رواح فمها لينتفضا على صوت الحاج عبد الله
يهتف بامتعاض متهكم ... (ستذهبين يا
ميمونته... فارحمينا من مكر النساء ...).
قامتا من مكانيهما ورواح تقول بلهفته ... (حقا
أبي ؟؟ ... سنزور حق؟؟).. نظر اليها وقال
بحزمه المعتاد .. (سنذهب جميعا بإذن الله...
بعد عودة ياسين من عمله ... اجمعي بعضا من
ملابسك ... لأنك ستبقين لأيام هناك ...).
قطبتا بريبتة وميمونته تهه بإلقاء سؤالها ،
لقاطعها زوجها بحدة ... (أريحي نفسك سأجيب

السفلى بطفولية تقول .. (لما ؟؟؟؟... أنا لا أفهم
تصرفات والدي ...). ثم ما لبثت ان ابتسمت
تستطرد بحماس ... (إذن لنطلي منها هي
الحضور اشتقت إليها...). دفعتها بخفتة
تمط شفيتها بحنق ... (و ماذا سنستفيد
؟؟... أختك البلاء لن تجيب على اسئلتني ... و
لن أكسب شيئا ...). عبست رواح باستنكار
لأفعال والدتها ، وصمتت تفكر في حل لتري
أختها. لكن الأخيرة كانت أسرع منها وهي
تضمها قائلته بمكر ... (لما لا تطلبي من
والدك أن نزورها اقنعيه باشتياقك لها و

فضولك ... ابراهيم طلب مني الإذن لتبقا
رواح مع اختها بضعة أيام لأنها حامل....
والطبيب أمر لها براحت... ..) شهقت ميمونتا
بصدمة بينما رواح تبتسم بسرور، لتهمس
الأولى بسهو حقدھا ... (بهذه السرعة؟؟ ... يال
حظك يا حق يا ابنته حق ...) اهترت حين
أتاها صياح زوجها الساخط ... (ماذا تقولين يا
امراة؟؟ ... أخبرتك قبلا ... فقدت عقلك
والعوض على الله ...)... زفرت بكمد تقول
بتردد منزعج ... (ما هذا الحمل الذي يحتاج
الى خدم؟؟ ... لقد حملنا قبلها ولم يخدمنا

سوى أنفسنا ... بل وخدمنا اهل بيوتنا ...)
زمجر بغضب فتكشمت على نفسها خوفا.
انصرف تاركا اياها، ورواح تهرول الى غرفتها
تسبقها فرحتها الصادقة بأختها، دون أن تسمع
همس والدتها الحاسدة ... (الأميرة حق تحمل
... و ابنتي أنا تخدم ... من أين آتي لقلبي
بالصبر؟؟ ...)

.....

في مكان ما ..

ضرب قبضتيه حتى ابيضتا قائلا بنبرة محتدة
... (كيف تفعل ذلك يا ابي ... هل جننت؟؟ ...)

يا إلهي ... كنت ستقتل عشرات من الرجال

الأبرياء ... نفث الدخان من فمه مجيبا

بانفعال... (يال رهافة قلبك ... هل نسيت

عملنا؟؟ ... أفق من نوبة الضعف ... وتذكر

تجارة السلاح ... يعني الموت ...) ... اقترب منه

يهتف بكره أسود ، قاومه بشدة من أجل

كلمة واحدة ... الوالد ... لكنه لم يستطع

سوى أن يكرهه ومن صميم قلبه المكالم

.. (أنا اتاجر في السلاح أجل كبرت و

تربيت على ذلك ... لكنني لم أقتل نفسا من

قبل ... ولن أفعل ...) ... ضحك والده بسخرية،

وهو يرمي بما تبقى من سيجارته. فسمعا دقات

على الباب ليقول ابنه بغضب ... (أنا لا أثق في

ذلك الرجل ...) ... أجابه مشيرا الى الباب

... (أعداء أعدائي ... أصدقائي ... ألم تسمع

بذلك قبلا؟؟ ...) ... تحدث ابنه بيأس تشوبه

حسرة... .. (أبنائك ... أعدائك ...) ...

تجمدت ملامحه ليصيح بضجر ساخط .. (افتح

الباب ... و اتركني معه ... هيا!!) ... أطاعه على

مصنع المرابط...

وصلت في موعدها و التحقت بمكتبها، لتعلم

بعدها أنها مساعدة لمدير مكتب ياسين آل

طالب. سعدت بمعاملة الرجل الخمسيني

الطيبة، مع انه يعامل الجميع بنفس الطريقة،

إلا أن حرمانها من الحنان الأبوي، جعلها تُقدر

تلك المعاملة كنعمته لا تباع بثمن. جعلها

تتخلى عن خوفها بسهولة، وتندمج مع

تعليماته بأريحية، فانطلقت و ركزت اهتمامها

على سير العمل..(جيد يا حفصة ... انت

تلميذة نجيبته...اذا سرت على هذا المنوال

مضض، وفتح الباب ليعبس في وجه القادم،

قائلا بامتعاض... (أنا خارج ...لدي عمل)... نظر

الوالج الى يونس آل عيسى ناطقا بريبة ... (ما

به ؟؟ ... أشعر أنه يكرهني).. ... أشار له

بالدخول مجيبا بتهكم ... (المشاعر للنساء

.... لا الرجال ...ام ان أهلك لم يعلموك

ذلك يا ابن المرابط ؟).. رد الباب بخفظة فلم

يقفل عن آخره، لينصت من لم تسعفه خطواته

بالهروب من أهوال والده، الى خطرة حيكته

في الخفاء، لكن ما الذي يخفى عن الله ؟.

.....

ستتعلمين بسرعة... و تريحيني قليلا من
تعبي أظن انني بدأت أشيخ (...). ابتمت
بخجل ترد باحترام ممتنة... (أطال الله في
عمرك سيدي... جزاك الله خير الجزاء
...). استقام واقفا يقول باسماء، وهو ينظم
الملفات بين يديه.. (أنا في السنة الرابعة بعد
الخمسين يا حفصة.... يجب ان أبدا في
التخطيط لتقاعد مبكر... أريح فيه بدني و
أسافر انا وزوجتي... المسكينة لم ترى معي
سوى الشقاء... حان الوقت كي نعيش يومين
جميلين... قبل ان تتزوج ابنتنا و تجلب لنا

حفيدا نُفتن به فنسى البقية من حياتنا
...). ثم ضحك بمرح قاطعه ياسين، الخارج
من مكتبه قائلا بنفس المرح... (لن تذهب
الى أي مكان يا عمر... و انت لست كبيرا
كما تدعي... حتى بعد ان زرت الديار
المقدسة... رفضت دعوتك بحاج كي لا
أساعدك في ادعائك... و انا سأفعل أي شيء
كي لا أخسر...). رفع أحد حاجبيه،
قائلا بمكر تمثل في بسمته الجانبية... (أي
شيء... أي شيء...؟؟؟). توترت حفصة بين
الرجلين فتكلمت على نفسها، تعود الى

الخلف خطوات بسيطة حتى انزوت جانب
مكتبها المقابل لمكتب السيد عمر الرزقي،
الذي قال دون ان يخفى عنه فعلها، كما
ارتجافها منذ أن عتبت مكتبه..(أعدك بأن
أظل في عملي الى آخر نفس....إن فقط
تزوجت ابنتي...ما رأيك؟؟؟).... تفاجأت
حفصة من طلب عمر، لتتفاجأ بزيادة حين
ضحك ياسين رافعا يديه باستسلام....(أستسلم
.... اخبرني فقط بيوم تقاعدك و سأوقع لك
... واهديك اضافة الى أتعابك رقما سينال
رضاك و يتحمل كلغة يومين جميلين...)

ضحكا بصخب و حفصة تفتح فمها بجهل
ودهشة،... (هكذا إذن...انت ترفض الزواج
من براء....سأخبرها...)... ليرد الآخر بنفس
المرح... (فلتجدها اولاً.... كي تخبرها....ثم
أنا متأكد من فرحها حين تسمع رفضي...بل
العقاب سيكون من حقاك...حين تعلم انك
تعرضها على الشباب لتزوجها...)... تعلق
الغضب بمحيا حفصة، على قول ياسين ليطير
شعورها بالمعزة لعمر ويحل محلها كرها بعث
من قلب جفاء تجرعتة على يد والديها،... (براء
تحب والدها....ولن تغضب مني...ثم انا نسيت

إخبارك ... انها عائدة بإذن الله ... و ستعمل
هنا و تستقر أخيرا ...).. قوس ياسين حاجبيه
قائلا باستغراب ... (سترك الإذاعة الوطنية
وتعود هنا؟؟).... هز راسه و قد هدأ المرح و
الضحك مجيبا ... (ستفتتح إذاعة خاصة
بمدينته الجبل ... فعرضوا عليها المنصب و
قبلت ... فهي وحيدة والديها اللذان يحبانها
... ولا يستطيعان العيش من دونها...)... جلست
حفصة على مقعدها و الحيرة قد بلغت بها
المدى لا تفهم من حوارهما شيئا ، ليقول ياسين
مبتسما في وجهها ... (أعاننا الله عليها... لقد

دلها حتى أصبحت مزعجة لا تطاق ..) ... عاد
عمر للضحك قائلا بمزاح... (جيد ... جيد
...هيا قل ما عندك و انا أسجل ... سأبلغها
بكل كلمته ...)... نظر الى حفصة نظرة ذات
معنى يقول ... (أرأيت ... إنه يهددني بها هذا
ما قصدته) ... نظر اليها هو الآخر مدافعا
.... (كل ذنبي انني أحب ابنتي ... و علمتها
كيف تواجه صعاب الحياة ... فأنا لن أكون
حاضرا دائما لأدافع عنها ثم انا لست من
أهل الجبل كي أقسو عليها... كما تفعلون
....) ... أشار ياسين بسبابته رافضا ... (لا لا

بنطاله، و الأخرى مشغولتة بلمس جانب وجهه،

... (أنا اثق في السيد عمر... إنسان أمين وطيب

المعشر... وسيعلمك كل ما يخص العمل

..) ... عادت تهز رأسها وهي مطرقتة، فتنحج

ينصرف هامسا بتحيةة تكاد لا تسمع، مستغربا

من جاذبية تلك الفتاة الغامضة، ليعود

مذكرا نفسه بزوجها.

.....

تجمع الكل في كفة واحدة.... ثم... أنت

ربيت ابنتك لتتصب نفسها محامية عن كل

مظلوم.... وجمعية كاملة لدفاع عن حقوق

الإنسان... أستغرب اختيار تخصصها... ظننت

أنها ستدرس المحاماة... (أخذ الملفات منها

الحديث قائلا وهو ينصرف... (أحمد الله على

ذلك... فالإعلام أفضل بكثير من المحاماة

.... عن اذنكما... (تقدم خطوتين نحو

مكتبها قائلا بهدوء... (كيف وجدت العمل

؟؟؟).... هزت رأسها ترد بخفوت... (جيد الحمد

لله... (صمت واقفا، إحدى يديه في جيب

منزل آل عيسى

تخطوا جيئة و ذهابا و كأنها على صفيح
ساخن، (إيجت ... اهدئي سيكون كل شيء
بخير ...). نطقها الحاج بهوادة يستجير من شر
ذلك اليوم، فتوترت إيجت بينما شمتت تبتسم
ساخرة، لتزجرها الأولى بنظرة حانقة، فتمط
الأخيرة شفتيها بتجاهل. تدخل عيسى الذاهل
من كل ما حدث، لتستفيق جراحه كبقية
عائلته، قائلا بمؤازرة لشقيق أخذ مكانة
والده الحقيقية، والتي تخلى عنها الآخر من
أجل أهواءه (أنا لا أفهم ... ما بها حق؟؟ ...)

ألا يكفي ما يجري عبئا على ظهر أخي

... كي تمرض زوجته هي الأخرى.. (!) ... رمقته
والدته بريبتة، قاطعه الحاج بنظرة
زاجرة... (العمل كله مشاكل يا بني ... ولا
تخف ... زوجته أيضا ستكون بخير ..) حل
عليهم الصمت للحظرة، قبل أن يسمعوا ضجة
مرافقة للعائدين من المشفى. أسرعوا
ليستقبلوهم فقال الجد بلهفة .. (كيف
خالك بنيتي ... عسى لا شر بإذن الله ...).
أمسك ابراهيم يدها، يجيب مبتسم على غير
عادته... (هي بخير جدي نحمد الله

ونشكره...)... عضت الحاجة إيجت شفتها

غيظا من تغير ابنها، ووقوعه تحت سحر

الحرباء، كما تظن فنطقت بدون

وعي... (كنت أعلم أنه دلال فتيات ...)

التفت إليها ابراهيم وقد انطفت بسمته قائلا

بوجود... (لا يا أمي ... لم يكن دلالا ... حق

بالفعل مريضة ... صمتت تخفي توترها

بشق الأنف، وهو يستطرد بنبرة ذات معنى

... (الكدمات على جبهتها سببت لها دوار ...

لكن الأهم أن بدنها تعب ... وبسبب حالتها

المستجدة ... اي وقوع آخر لا قدر الله ... قد

يسبب بكارثة ... فحق حامل ...). ففرت

إيجت فمها تظن نفسها سمعت كلمة خطأ،

ليهتز بدنها على إثر زغرودة أطلقتها شمت

بتعمد جانب أذنها، وهي تمر جوارها ثم هتفت

بفرح حقيقي ... (مبارك عليكم يا ولدي ...

أسأل الله أن يحميكم من العين الحسود ...)

فجأة تعالت الضحكات و التهانى، ابتداء من

الجد الذي ضم حفيده بسرور يبارك له، ثم

عيسى الذي ملئت البسمة وجهه الضاحك

كما منصف ليتأملهم اسماعيل بنظرة الرضى

المغلظة لخوف حقيقي، الجميع نسي ولو

للحظة مصيبة والدهم فكيف يضمن استمرار
فرحهم، ولا يسمح لأي كان من اختطافها مرة
أخرى. خطى إبراهيم ووقف أمام والدته
المصدومة، وقد انسحبت الدماء من وجهها،
يقول بحزن أجاد إخفاءه فظهر جمودا على
ملامحه الصلبة.... (أئن تبارك لنا أماه؟؟) ...
بلعت ريقها ترطب حلقها الجاف، تتساءل بسهولة
أريكه... (كيف؟؟!!... لكن!!) ... (لكن ماذا
أمي؟؟) ... (ها؟؟) ... نظرت إليه فأجفلت من
كلماتها ونظرته الجامدة، لتتهف بتوتر
مفضوح... (م....مبارك..عليك ولدي

....مبارك عليك...). ... قبلته واستدارت
مغادرة تسحب هاتفها حين ابتعدت تهمس
بدهشة... (صباح.... لن تصدقي.....حق حامل
!!) ... أما إبراهيم فقد زال قناع الجمود ليظهر
الحزن عميقا، حتى لاحظته الجميع، ولو كان
أحدا من الخلق، قد اطلع على قلوبهم، لعلم
أنها اتحدت على اتفاق غير معان أن يحموا
فرحته تلك، هو عماد بيتهم الذي ضحى
بالكثير من أجلهم، حتى منصف الغريب
عليهم.

منزل المرابط ...

رفعت رأسها الى المرأة، لترى انعكاسها الفاضح
لبشاعة حقيقتها. عينيها اختلطتا بالدم
واشتدت عروقهما حد الانفجار، وبؤبؤيها
يتزعزعان في عدم استقرار. شعرها تشعت
بكفيها حين فقدت زمام عقلها للحظة. ذلك
الجنون المطبق ينتابها كل مرة فقدت فيها
شيئا ما تريده وبشدة، فتكبر الرغبة وتتغذى
على الروح الأنانية الى أن تصبح هوسا. تلفتت
حولها لتجد كل أثاث غرفتها على الأرض

مندى قصص مه وهي الاعضاء

مكسور ومهشم، فارتعدت أطرافها خوفا لتهوي

على ركبتها، حاضنة رأسها بين كفيها،
فتطلق سراح دموعها تنتحب بحرقة صامتة.
دفعت الباب بخوف بعد ان بلغتها الخادمة
بصوت تهشم الأثاث، فأسرعت اليها تضمها بين
ذراعيها شاكرة ربها على غياب رجال العائلة.
... (صباح ... حياتي ... ما بك بنيتي ...؟)
تحدثني الي ... صباح! (...). رفعت وجهها
لتجحظ مقلتيها برعب، فأسندتها وتوجهت بها
الى الحمام، وغسلت وجهها بالماء البارد. شهقت
صباح بفعل برودة الماء على بشرتها، فهتفت

فتاة صغيرة يا أمي ... طلباتي لم تعد دميت
غالية او حتى حيوان أليف ... لقد كبرت ... و
صارت لي احتياجات أكبر وأهم ... فهل
تستطيعين تلبيةها يا حاجة نعيمة ... زوجة
الحاج زكريا المرابط ...؟؟ (...). هزت رأسها ترد
بارتباك ... (نحن نعمل على ذلك ... قليل من
الصبر و كل شيء سيسير حسب خططنا ...).
ضحكت من جديد تقول بتهكم ... (أبشرك
يا حاجة نعيمة ... أن لا شيء يسير حسب
خططنا ... حق حامل ... وابراهيم يغرق في
حبها كل يوم ... كما يزداد قوة ... ويصبح

والدتها بقلق ... (صباح اخبريني ... ما بك
حبيبتي ... ما الذي اغضبك؟؟) ... ابتعدت
عنها تأخذ المنشفة من العلاقة ثم خرجت من
الحمام، تبعثها تراقب حركاتها المرتعشة،
فجلست وجاورتها تربت على جانب وجهها قائلة
برقة، ... (حبيبتي الغالية ... ماذا
بك؟؟ ... ماذا تريدين وأتيك به حالا ...).
ابتسمت صباح بسخرية تقول بتهكم ... (أريد
اسماعيل ... هل تستطيعين إحضاره لي
؟؟ (...). قطبت نعيمة ترمق ابنتها بحيرة،
فضحكت الأخرى تهاجر بسخط ... (انا لم أعد

حلم نسبهم بعيدا كل يوم بمسافة أكبر
 (... عبت نعيمة تسأل بدهشة .. (لكن
 كيف؟؟ ... ألم تكن ...)... اشتدت ملامح
 صباح بغل تقاطعها ... (تلك الفتاة ... أقسم
 ... انها ... لا أعلم ... هناك شيء غامض حولها
 ... حتى أنني لا أستطيع تفسير ذلك
 (... ضمتها والدتها تهدي من رعشة أطرافها،
 تقول ... (لما لا نجرب ... ما قالت عنه الخادمة
 بما أن انواع السحر الأخرى لم تنفع ...
 دعينا نجرب الباقي ...)... ابتعدت عنها صباح
 ترمقها بجديّة تسأل ... (هل انت متأكدة ماما

؟؟... هل سأحصل على الرجل الذي أحبه؟؟...
 لما لا نسأل عن سحر ليحبني اسماعيل
 ماما؟؟؟...)... هزت رأسها بخوف حقيقي على
 ابنتها فقد وضعتها على طريق لم تعد ترى له
 من معالم ... (سأنادي على الخادمة ... ولنرى
 ماذا ستقول؟؟ ...)...
 تفقدت الخادمة الغرفة بتوجس، فهتفت
 نعيمة لتلفت انتباهها ... (تعالى هنا
 !... أخبرينا عن طلبات الفقيه (الاسم
 المتداول للدجال بينهم) ...)... جلست الخادمة
 عند أرجلهن متذللّة وهي تقول بحذر

... (سيدي الفقيه ميلود ... طلب مني ... أثر

الفتاة و الشاب ... و يفضل إن كان فيه عرقهما

....أو خرقت فيها ماء جماعهما ... عليها يعمل

سحر محبوبك وفعال ومع سحر الأكل

يضمن نجاحه مليون بالمئة ... هتفت صباح

بامتعاض... (ماء جماعهما ؟؟ ... ومن اين آتيك

به ؟... أنت تلعبين بنا ...) أسرعت الخادمت

مؤكدة بمكر... (والدة الشاب ... يا أنستي

...أغلب الأزواج يتركون اثر جماعهم على

ثيابهم الداخليّةوهي قادرة على الحصول

عليهاوان لم يكن فقط العرق يكفي

كبايئة ...).صمتتا مفكرتين فأضافت

الخادمت لتبلغ مبتغاها ... (سحر مأكلهما غال

...و إن كان سحر القبول أغلى)

تركزت نظرات صباح عليها ، تسأل

باهتمام... (ما هو سحر القبول هذا ؟... و لما هو

الأغلى ؟...) ... تحدث بمكر تفسر بجديّة،

حديثا يفتقد الى منطقيّة الفهم... (سحر

القبول أن تجاعي أحدا يحبك بجنون وهو

غالي لأنه يصنع من ماء بين خلايا مخ الضبع

.....يمكنك السؤال عن هذا الأمر...الجميع

يعلم عنهلكن القليل من يوثق في ذمته و

بوعده ... سأبلغ عنكم جميعا)....ارتعدت

الخدمة خوفا، لكن الطمع كان أقوى فأعمى

بصيرة قبل البصر.

.....

مصنع المرابط...

(هل سعت أخبار اليوم؟؟) ... نطقها الحاج

زكريا وهو يوقع على أوراق بسطها ياسين

أمامه، الذي اوما قائلًا بنبرة يطغى عليها

الاستغراب... (أجل ... اتصلت بإبراهيم لكن

هاتفه لا يجيب ...أظن أن هناك أكثر مما

يقال ...). أجابه الحاج بموافقة يقول... (وأنا

براعته....).... حدقتا بها بتفكير ثم

تناظرتا الابنة و أمها في حوار صامت، لتقول

نعيمت ... (نريد ذاك أيضاهيا اذهب إليه و

اسأليه ها يريد ...في كلا الحالتين ...؟)...

انتفضت مقتربة تقول بلهفة ومقلتين زائغتين

طمعا (أعرف كل شيء يريد ...بالنسبة

لسحر الفراق ...صورة لها و له مع أثرهما ...أما

سحر القبول ...فصورة المرغوب وأثره)...

هزت صباح رأسها، وقامت من مكانها تقول

بتصميم و تحذير.... (سأحضر كل شيء

أستطيع تأمينهوأقسم لك إن لم يضي

جدية... (حاج.... هناك أمورا لا أرتاح لها
...السيد عمر لاحظ هو الآخر وقد قررنا
اخبارك). ... قطب بتوجس، انقلب الى
ريبتة لينتهي بشك شبه مؤكد فتصلبت
ملامح وجهه غضبا، وياسين يشرح له كل
النقاط المشبوهة بالدلائل والإثباتات. لكنه
كظم غيظه، وطلب منه شاكرا مجهوداته ان
يمهله ليتأكد من شكوكه، بعدها سيتصرف
بما تقضيه العقوبات.

أيضا... ما قيل يفيد سمعته كثيرا.... لكنك
تعلم بني البشر... ومع تاريخ والده سيربطون
الأمر ببعض (...). ... هزياسين كتفيه بتلقائية
يقول... (أظن أنه في طريق حصوله على
مساندة الشباب وهذا هو الأهم...)... رمقه
زكريا بحيرة، فاستطرد مضرا... (عاد الى
شارع البقالين و اندمج مع الشباب واسترجع
علاقاته مع أصدقائه... وبدأ الشباب بالتفاف
حواله...) ... سهى الحاج زكريا ساهما، في ما
خطت له، ويبدوا أن القدر يستعجله التنفيذ،
ليعي على نبرة ياسين المتغيرة بغتة الى

...آخر الدوام...

خرج من مكتبه ليجد الغافلة لازالت مطرقت
على الأوراق أمامها مركزة باهتمام، التفت الى
مكتب عمر ليجده فارغا، فخطى إليها
متنحج. رفعت رأسها بحدة لترمقه
بحيرة... (الدوام انتهى قبل نصف ساعة
...أعلم أنه يومك الأول وقد أخذتك
الحماسة.... لكن أظن أنه يكفيك ما قمته
به اليوم...). تلفتت بمقلتيها توترا، حين
اكتشفت أنها تأخرت ولا بد زوجها ينتظرها

على باب المصنع، كما وجودها لوحدها مع
هذا الرجل بالذات يوتر أعصابها بزيادة، لا
تعلم أن لها نفس التأثير عليه، يرفع يده مهادنا
حين لاحظ ارتجافها... (سيده حفصته؟؟...
انت ترتعدين... هل هو المكيف؟؟
...أظن...). (لا تشغل بالك بها سيد ياسين
...). اهتز بدنهما رعبا وياسين يستدير بجسده
الى المدخل، لتقع عينيه على الملامح
المتهكمتة بسماجتة،... (حفصته هكذا
... دائما ترتجف كأرنب مذعور... لا يعتمد
عليها في شيء...). قامت من مكانها مسرعتة

ولم يعجبه بالمرّة. فذلك لم يكن تملك
حب أو حتى تملك زوج لزوجته، بل شيئاً آخر
لم يفهم كنهه، لكن كرهه بشدة.
ألقى بها على مقعد السيارة يستشيط بغضب،
ثم انطلق بالسيارة كأنه لا يرى أمامه، وهي
في صمت قاتل تكثفي بالارتعاد رعباً. أوقف
السيارة وسحبها إلى بيتها كأنها بهيمة
منقادة للذبح، ثم رماها على أرض بهو بيتها
وأقفل الباب بجدة زعزعت الجدران من حولهما.
نظرات ياسين لها لا تفارق عقله المريض، كم
يفقه هو تلك النظرات، لقد وقع صريع

للتجنب فضيحة قد يحدثها عزيز فقط كي
يذلها، بينما هو يقول بتهكم فائض عن حده
... (تأخرين في أول أيام عمالك ... حبيبتي
!... يال حماستك) ... بلعت ريقها ترمي
ياسين بنظرة تجمع بين الاعتذار الصامت
والخوف والترقب، تهمس بخجل ... (عن إذتك
سيدي) ... لتصل أمام عزيز الجامد مكانه
مهدداً بأمر تعرفه يقينا، فتدعو ربه أن يستر
عليها. تبادل وياسين نظرات فيها من التحدي
الكثير، ثم أوماً دون حرف وأمسك ذراع
حفصة يسحبها بحزم متملك، لمحّه ياسين

تلك الكلمات في ذهنه، كلما ضمها بعنف
او حاول وصالها، لكن كل مرة أطرافه لا
تسعه، وكأنها متآمرة معها عليه، فهل عليها
صافعا لوجهها مرة بعد مرة. ليستسلم أخيرا
بفعل تعب، ويقوم من عليها الى وجهته
المعتادة بعد كل محاولة فاشلة معها، كي
يثبت لنفسه المريضة انه رجل سليم، وانما
فشله معها هي السبب الوحيد فيه. بينما هي
تئن بألم وكلمات قد دنى أجلها واقترب.....
حسبي الله ونعم الوكيل.

مقلتيها البريئتين، وهننا وخجلها فخ مميت يقع
فيه أدهى العقول. أمسك رأسه بين يديه
كالمجنون، ألم يكن هو من أرسلها
هناك؟؟... اذن ما مشكلته؟.. يعلم أنها لن
تجراً على عصيان أوامره، و الطوق قد
احكمه حول رقبتها. انكمشت على نفسها
خوفاً، أشعل المزيد من نيرانه، فانقض عليها
حاملا اياها الى غرفة نومهما، ليبدأ عدوانه من
جديد، وكل مرة تحاول فيها التحرك،
يضعها بقوة غضبه، واحساسه المخزي. مهما
فعل فهو لم يملكها بحق، ليست له، عاقت

...كيف؟؟...ها؟ ...إنها حامل ... وابني جن بها

...ابراهيم آل عيسى ...صاحب الهيبة والرزاق

...ثُفقدته فتاة ولدت بالأمس كل رجاحة عقله

... (... عضت شفتها كي لا تعود هي لفقد

عقلها، فتطلق سراح جنونها، ثم قالت بمكر

... (لقد سحرت له انه شئ ظاهر ... يجب

ان تسعي غي فك سحرها... كي يعود ابنك

كما كان ...). مسحت إيجت أنفها بالمنديل،

ثم قالت باهتمام ... (كيف ذلك؟؟) ... ردت

بحذر ... (نسأل أحدا ما مختص في أمور السحر

كي يدلنا ..). او مات إيجت بخوف

منزل آل عيسى ...

في غرفة ... إيجت ..

جلست صباح على طرف سرير إيجت،

المعصوبتة الرأس بطرحة سوداء، تحتها شرائح

ليمون تلف جبهتها وجانبي رأسها بشكل

مضحك، مربعتة رجليها، وتمسك بمنديل

أبيض تمسح به أنفها من رشح وهمي. تحدث

صباح كأنها تهدي من روعها ... (لا تقلقي يا

حاجت ... سنجد حلا ..). مططت شفتيها ترد

بانفعال ... (كيف؟؟ ... أخبريني

... (تقصدین فقیها ... لا یا ابنتی .. الیس ذلک

حرام؟؟) ... زفرت بخفوت ثم اقتربت منها،

تفتی بما لیست له أهلا .. (حرام إذا كانت

نیتك أذیتة أحد ما ... ونحن ننوي فك السحر

وحمايتہ انفسنا ... لا غیر... فاین الحرام فی

ذلک؟؟)... قلبت عینہا تفکیرا، فأومات

صباح مؤکدة. لتنتفض الأولى من علی

السریر، تقول .. (إذن هذه فرصتی کی أجلب

ثیابهم ... لأن أهلا علی وشک الوصول

... وستظل معها أختها العرجاء ... لکی تحرص

علی عدم اتعاب نفسها ...)... قطبت صباح

بعدم تصدیق، وإیجتہ تردف بغل... (هل

تصدقین؟؟... مرارتی سٹفقع ...)... سحبت

یدیها تقول بتحذیر، هی الآن برفقتهم فی

الصالون ینتظرون أهلا. ستراقبین مدخل

الرواق، مدعیة انتظاری، وانا سأدخل غرفتهما،

هیاء! ...

تبعتها تبتسم بظفر، أخیرا شیئا ما سیسیر

علی هواها. راقبت اختفاءها فی آخر الرواق،

فتسللت الی هدفها هی الأخری. دخلت غرفته

تتأمل شکلا، ودقات قلبها تهدر بعنف، رائحة

عطره تلف المكان الراقی فی بساطة اثاثه

التقليدي. خلاف باقي أثاث المنزل العصري.

استجمعت تركيزها لتبحث عن ضالتها،

فدخلت الى الحمام، تفقدته فزفرت حين لم

تجد ما تريده، لتنتقل الى الخطة البديلة،

وخطفت قميصا من على المشجب، اشتمته

لتتأكد من عدم نطاقتة، ففرقت في سحر

عطره الفواح. جمعته كيفما اتفق ودسته في

حقيبة يدها، فاستدارت مغادرة لتجد المعني

في وجهها يهم بدخول غرفته.

تجمدت خطواته وهو يرمقها في قلب غرفته. لا

يكفيه انزعاجه من صحبتها لأمه، يشك

حتى في نواياها، والآن يجدها في قلب خلوته

عن العالم أجمع. لمعت مقلتيه من تحت بلور

عويناته الطيبة بجمود، يقول بهدوء... (ماذا

تفعلين هنا؟) ... بلعت ريقها توترا في بادئ

الأمر، لكنها سريعا ما تجاوزته مرغمة نفسها

على الثبات وتقمص شخصيتها الماتنت، لتقول

باسمته بإغراء... (لن أكذب عليك اسماعيل

.... لطالما تمنيت رؤية غرفتك ... ولم أجد

يوما الفرصة ...). ربح يديه قائلا ببرود، دون

ان يتأثر بتمثيلها المفضوح ... (وما الذي

استجد ووفر لك تلك الفرصة؟) ... خانيتها

ثقتها الزائفة وارتبكت من نظراته

المتفحصة، ليس كرجل، بل كطبيب يسبر

أغوار النفوس، فتوترت نبرة صوتها وهي تقول

بحذر... (الحاجة طلبت مني انتظارها في

الرواق... كي تجلب غرضا ما... فغلبني فضولي

...فأنا... أنا... معجبة بك اسماعيل ..)

حاجبه الأيسر الذي تقوس بشكل طفيف

كانت إشارته الوحيدة بتفاجئه، من جراتها.

بينما هي احدث انفاسها، لا تعلم كيف نطقت

بما يضني كيانها، تنشد منه ردا يروي ضمأ

قلبها. فكر قليلا وهو يحدق في عينيها

بشكل زاد من توترها، لينتزعها أخيرا

ويحيد بهما تجاه يدها اليسرى المرتعشة. ثم

عاد مرة أخرى يرمقها بتركيز قائلًا بنفس

الهدوء البارد الحازم... (آنست صباح... أنت

لست معجبة بي... من الأفضل لك انتزاع

تلك الفكرة من رأسك... والأفضل لو

كففت رجلك عن هذا البيت... سأكتفي

بتحذيرك هذه المرة... لكن في المرة

القادمة سيكون لي تصرف لن يعجبك اطلاقا

(... سقط قناع الفتنة لتظهر بشاعة الغضب

و الغرور، تنطق بتكبر وتعال... (كيف

تجرؤ؟؟... أنا صباح المرابط ... كل شباب
المدينة يرمون تحت رجلي.... من ضمنهم
شقيقك الأكبر.... سليل آل عيسى ... ام انك
نسيت ذلك.... رفضته فقط من أجلك (...)
تنفس بعمق لاجما نفسه عن تصرف قد يندم
عليه، متشبثا بشخصيته الباردة بكل ما أوتي
من قوة.. (من فضاك غادري وليس فقط
غرفتي ... بل ... منزلي) ... رفعت رأسها
ترمقه بعدم تبات لاحظته عينه الخبيرة، ثم
أضاف بتأكيد .. (الآن لو سمحت) ... تنفست
بعمق ثم خطت لينزوي هو الى جانب الباب

كي يسمح لها بالعبور، فيلمح حركة والدته
التي ظهرت من داخل الرواق، كأنها تخفي
شيئا ما، وهي تقول بارتباك ساحبة صباح
معه... (أسفرت ابنتي جعلتك تنتظرين
.... هيا بنا ... لقد انتهيت من جمع الغسيل
...). تسمرت قدما اسماعيل يراقب اختفاءهما
أعلى الدرج، مستغريا من المشهد بأكمله
فيهمس بقلق هبّ بحواسه اليقظة ... (صدقت
يا إبراهيم الأمر خطير جدا ...).
(ماذا كنت تفعلين مع اسماعيل ؟ ...).
نطقتها إيجه بتوجس مرتبك، وهما تجاوران

سيارة صباح التي ردت بحقد لم يغادرها

بعد... (أتى على حين غرة... فلم أعلم ماذا

أفعل... لذا فتحت أي موضوع كي أشتت ذهنه

عني...). ... قدمت لها ملابس داخلية،

تحذرها... (هذا ما وجدته في سلة الغسيل...)

لا أعلم كيف نسيتهم تلك الداهية؟!)

...فهي ليست بلهاء أبدا... اظنه مرضها أنساها

...خبئهم أسرع! (...). ...أطاعتها صباح وهما

تتلفتان حولهما.

أجفلهما صوت سيارة لم تكن سوى لآل طالب،

فقالته إيجته بغل قبل أن تتدبر أمر ابتسامته

منافقتة... (ها قد جاؤوا... صبرني يا رب...).

ترجلت ميمونة تبتسم في وجه الفتاة والمرأة

بجانباها، تلقي التحية عليهما، فتبعها رواح

هي الأخرى. بينما ياسين يخرج حقيبة ملابس

صغيرة، ورمى النساء بنظرة عابرة كتحيته

الفاترة، قبل ان يتقدم والده المقطب بحيرة،

فقد كان مراقب لسلكه ما إن لمح ابنته

المرابط، لا يستسيغ وجودها بين آل عيسى،

لكن ياسين فاجأه بتصرفه ذاك، فيعود

بذكره القريبة، ليكتشف أن ابنه اليوم

ساهر على غير عادته.

داخل الصالون...

اقترب عيسى يجاور أخاه قائلاً بخفوت
... (أخي... أريدك في أمر مهم...).. تنبه له
يرد بنبرة مستجديه... (ألا يمكنك الانتظار
قليلاً؟... أهل حق على وشك الوصول...)
لم يكذ يجيبه ليلمحوا ياسين متقدماً والده
يلقي عليهم السلام، فانشغلوا باستقبالهم
وتبادل الأحاديث الودية... (خيراً يا إبراهيم
يا ولدي... ما سمعناه اليوم عن الجبل
الأبيض... ما حقيقته؟؟)... سأل الحاج
عبدالله بقلق عن الخبر الدائر على ألسنة أهل

الجبل يومهم ذاك، لجيب إبراهيم بود

كاظماً غضبه الذي برّد لهيبه على يدي ابنته
مخاطبه... (أجل يا حاج... لقد ساعدنا
الشرطة في الكشف عن مخبئ المجرمين
... ولقد قبضوا على أغلبهم... والأهم أن
مخباهم صار مكشوفاً...)... ابتسم الحاج
عبد الله بإعجاب، يمدح شجاعة صهره...
(أحسن يا ولدي... عسى أن نتخلص منهم
جميعاً... خستوا منعدمي المروءة...)... تلك
كانت طعنة في صميم الأبناء والأب، وإن
كان فخراً على لسان صهرهم، لكن منعدم

المروءة يظل من لحمهم و دمهم ، ومهما تجاهلوا

تلك العقدة، تبقى ملتفتة حول

كبرياتهم... (حفظ الله لك ياسين يا حاج

عبد الله ...). قالها الحاج إبراهيم مجاملت،

بينما المعني ساهم في وجه عنوان الحزن، فتاة

ترتعد اوصالها كل حين، ومشهدا كالشاه

المنقادة الى حتفها، لا يغادر خياله.

.....

عند النسوة ...

في خضم نظرات ميمونة المتفحصت لحق

بحسد ، لمحت بقعة حمراء تزين جبهتها،

فسألت بريبت ..(ما بها جبهتك يا فتاة؟؟... لما

هي محمرة؟؟)... تفقدتها رواح المجاورة لها

فرمقتها هي الأخرى باستفسار، قاطعته إيجت

تهتف ... (صدمت رأسها بالحائط... فأغمي

عليها ... بسبب ذلك اكتشفنا حملها

... (سبحان الله ..) ... ضمت ميمونة شفيتها تقول

بتهكم ... (لازلت لا ترين أمامك ... إن لم

تحذري...ستسببين لنفسك بالإجهاض....)

شهقت رواح تضر أختها بحمايتها، بينما حق

ترمقهن بهدوء ظاهره الصمت، باطنه ذكر

للرحمان، فتدخلت إيجت بنبرة مترفعته مغلفته

بتهديد... (أخبريها... لأنها إن فقدت حفيدي

...ابراهيم لن يسامحها أبدا...). اغتاظت

ميمونته من حديث إيجت المبطن، رغم حاجتها

للتنفيس عن حنقها و حسدها، إلا أنها تكره

من يحدثها بدونية واحتقار. عادت تحديق بحق

تنهي تفحصها الفضولي، لتلمح يديها

المتقرحتين، فشهقت بفرع تضرب صدرها

تهتف باستنكار... (ما بها يدك؟؟... يا إلهي

هل زوجناك ام أرسلناك للعمل في مصنع

المعادن؟؟... استدارت الى إيجت التي بان

التبكي على ملامحها، وشمتة تحط بالضيافته

على المائدة... (ألهدا أرسل ابراهيم في طلب

ابنتي؟!.... كي تنوب على أختها في الأشغال

الشاقرة؟!.... لا!! أنا لن اوافق... وسأخبر

والدها...). ارتبكت إيجت فها هي امرأة مثلها

فهمت مكرهن، وستشرح لزوجها الذي لن

يُقصر في تبليغ ابنها وسيفتح عينيه على ما

اخفته بمهارة. حملت طبق الحلوى تقدمه لها،

قائلة بمهادنة انطلقت من بين أسنانها...

(اهدئي يا ميمونة ... لا تنسي ... لدينا خدم

... ولا نحتاج ابنتك في شيء ... وابني لم

يقصد سوى اسعاد زوجته بحضور أختها كي

تؤنسها لا غير ...). حركة شمة فمها

المضموم الى كلا الجانبين تهكما، بينما

ميمونة تسأل بتشفي، حين التمست توتر

نسيبتها ... (بما ان لديكم خدم ... ماذا حدث

ليدي حق؟؟) ... ردت بسرعة والمعنية تراقبهن

مع أختها، وكأنهما تشاهدان مسرحية

استهالكت ولم تعد تليق بالترفيه... (أرادت ان

تبرهن على جدارتها في المطبخ لكن

لسوء حظها ... المسحوق الذي نغسل به

المواعين ... أصابها بحساسية ... لقد فحصها

الطبيب لا تقلقي ...). جحظت مقلتي شمة

من الدهشة، وفمها لا يتوقف عن الدوران في

كل اتجاه، تحسبن و تحوّل في سرها. مططت

ميمونة شفتيها بعدم اقتناع تقول بامتعاض

... (ممممه !!) ... من يراها لا يحسبها عروسا لم

تكمل الشهر بعد ... كاله من العين الحسود

... حق تزوجت من ابن عائلة غنية ... يال

حظ حق ... ويا سعدا وهناها ... اصابوها

بها هو وعائلته... (ما بك يا خالتي؟؟... لما
تحديثين نفسك؟...)....تبعها الى المطبخ
وهي تقول بانزعاج... (هل تظنني جننت أخيرا
...لهذا أكلم نفسي؟؟).... ضحك قائلا بمرح
... (على فكرة يا خالتي.... من يحدث نفسه
...بعيد عن الجنون .. بل هو سلوك طبيعي
وصحي... من خلاله ينظم الانسان أفكاره
ويعالجها لغويا.... فيحتد ذكاءه...)
التفتت إليه تقول باسمته بحنو... (الحمد لله
... زادك الله من علمه بني...)
قال... (لم تخبريني بعد ... أي كيد نساء

بالعين فلم تستمع حتى بأيام عرسها
أجارنا الله منهم...)...هزت إيجت رأسها
مؤكدة، وهي ترتشف من كأس شايبها ، فقامت
شمتة تخرج قبل أن تنقض على احدهما ،
فتسبب فضيحة لن ينسوها أهل الجبل. قابلها
اسماعيل وهي تحدث نفسها بيأس حائق
..(حسبي الله ونعم الوكيل نساء آخر زمن
...نفاق ومكر.... أي عين حسود؟؟... وهل
هناك شيطان غيركما !!)..أعوذ بالله من
كيد النساء...صدق خالقهن...ان كيدهن
عظيم....)
... ابتسم لها قائلا بمودة يختصها

اغضبك؟؟... (ها؟؟؟) ... توترت شمة
واستدارت تنشغل بالمواعين قائلة بتجاهل
... (لا شيء بالتحديد النساء على العموم
....) ... ابتسم بجانب فمه، ثم قال بلطف
... (أتمنى من يا خالتي أن تخبريني إن لاحظت
شيئا قد يفقد أخي ابراهيم سعادته ...)
عادت تستدير إليه بحدة، فأردف
بجدية... (أنت منا يا خالتي... تعلمين كل
صغيرة وكبيرة كما تعلمين العذاب الذي
عاشه أخي نحمد الله على نعمته التي
أغدق بها عليه ليبتسم أخيرا من قلبه لا

نريد لفرحته ان تختفي من جديد)
شهقت شمة تقول بقلق ... (لا قدر الله لا
تقل ذلك بني حفظكم الله جميعا ...)
رمقها بامتنان يقول قبل أن يخطو مبتعدا ... (لا
تنسي خالتي ... افتحي عينيك وان لاحظت أي
امر شائك أخبريني...)
راقبت ابتعاد
خطواته بإشفاق تهمس ... (والدتك تطرق
سمعها للوسواس الخناس حفظكم الله
من شياطين الإنس والجن ...)
.....

منزل المرابط

(هل أنت متأكد بني؟؟) ... مال الحاج أحمد
مقتربا من ابنه الذي قال بتأكيد ... (أجل أبي
... كل التأكيد... إنه الحل الأمثل
... سأقصد بيتهم قريبا فجدها مريض جدا
... بعدها أريد منك مفاتحتة الحاج إبراهيم
في الموضوع بشكل سري...) ... صمت مفكرا
للحظة ثم سأله بفضول ... (وما الذي يضمن
لك موافقتها؟؟) ... تنهد الحاج زكريا بحسرة
يشوبها الندم ... (لو رفضت لن أستغرب ... لكن

سأحاول إنه الحل الأمثل...فأنا لن اقبل
بخسارة ما حارب جدي من أجله لن نفقد
مكانتنا في هذا الجبلوابراهيم في
طريقه لاسترجاع المنصب الذي يجعل الناس
هنا يحترمون مقامنالذا أفضل حل بعد
المنصب هو نسب آل عيسى... أريد لدمائنا ان
تختلط بهم ...وهكذا سينسى الناس غربتنا
عن جبلهم ...) ...هز والده رأسه مؤكدا ثم
قال بحذر ... (وماذا عن زوجتك؟ ... وابنتك
اذا علمت هي الأخرى؟...) ... قست ملامحه يرد
بعبوس ... (نعيمتة سيكون عليها

....والده المجرم فجر الجبل الأبيض.... وكان

من حظه غياب العمال وليتستر على

فضيحته...رشى العمال بعطلة مدفوعة الأجر

وادعى اتفاهه مع الشرطة للقبض على مجرمي

الجبلهل تصدق فعلته الماكرة؟؟).. ...

اندهش الجد بينما الحاج زكريا يسأل مقطبا

بريبتة... (كيف علمت عن حقيقة الأمر؟؟)..

تجمدت ملامح مجيد للحظرة، وجيزة قبل أن

يقول ببعض التوتر... (لي اعين في كل مكان

يا عميفانا على عكسكم يقظ لعدوي

....) صمت الحاج يرمقه بنظرات غامضة،

التحمل...يكفي ما اقترفته يداي قبلا من

أجلها أما صباح فقد حان الوقت لتعلم

(...هز والده كتفيه قائلا... (إن كان

خيارك فلا اعتراض...وليقدم الله ما فيه

من خير... (.... رفعا رأسيهما الى الوالج عليهما

بعاصفته، يقول بغضب (نفذ منها سليل آل

عيسى من جديد لفق كذبتة كي يرتفع

بدل أن يغرق في الوحل... (.... حدقا به

مرتابين من ثورته، فسأل جده بحيرة... (من

تقصدا يا مجيد؟) ... جلس في الأريكة

المقابلة يرد بغل... (ابراهيمومن غيره

وقال جده بحنق من غباء حفيده... (بحق الله
أخبرني لما تكره ابراهيم؟؟... ولا تتحجج
بالمنصب أو حتى رفضه لشقيقتك... لأن
كرهك له قديم جدا...)... شد على شفثيه
بقوة، انجلت حين سأل عمه بغموض... (مجيد
... ما أخبار الشحنات؟؟... هل كل شيء على
ما يرام؟؟...)... زاد تلبكه فقال ببرود يدافع
... (أجل... كل شيء يسير حسب مواعيده...
لما تسأل عمي؟؟...)... رفع الحاج زكريا
رأسه، يضيق مقلتيه يرميه بنظرات متفحصة،
ليقوم مجيد من مكانه، قائلا بغضب يدرئ به

توتره... (ابن آل عيسى قلب مزاجي... تبا له
...)... تحدث الحاج أحمد قائلا بحيرة... (هذا
الولد يخفي شيئا ما... أنا أعرفه كراحة يدي
...)... استقام زكريا واقفا وهو يقول بجمود
... (كل شيء ينكشف يا أبي... مهما كال
الزمن... تصبح على خير)..
.....
بيت آل عيسى ...

غادر أهل حق تاركين روح لترعى أختها، التي
سحبها ابراهيم محذرا كل من في البيت، انها

....(لم أخبركم بعد عن سبب الحادثة....لم

أكن مستعد....والآن أشعر بأنه الوقت

المناسب....)... قطب إبراهيم قائلاً ببعض

العبوس....(لم يعجبني اطلاقاً.... سباقك

المميت بالسيارة....ولولا الأحداث

الأخيرة...لكنت أخبرت جدي كي تمنعك

من السفر مجدداً....)... بلع عيسى ريقه قائلاً

بتوتر....(لم يكن سباق سيارات أخي....)...

هتف إبراهيم بغضب باطنه الكثر من القلق

على حياة شقيقه، واسماعيل صامت يعلم أن

يومهم ذاك طويل ولا يزال في جعبته

ممنوعة من أي عمل مهما كان تافها، ثم

تركها في صحبتها، ليجتمع بشقيقه.

كان لا يزال في الشرفة الأمامية برفقتي

منصف و اسماعيل، حين انضم اليهم إبراهيم

قائلاً وهو يتخذ كرسيًا بينهم....(أخبرني

عيسى.... كالي اذان مصغية..)... تلاكأ

عيسى قبل ان ينطق فقام منصف، يدعي

التعب....(أنا آسف يا جماعة....أشعر بالتعب

...وأشتاق للنوم....تصبحون على خير...)

رمقه عيسى بامتنان، لمحاه شقيقه وقبلاه

بتفهم. بلل شفثيه ثم بدأ حديثه بوجود

الكثير... (كاميرات الشوارع صورت تسابقك

مع السيارة الأخرى... سباق مميت... كان

ليؤدي بحياتك... لا أفهم للآن... كيف

تصرفت (بتهور؟)... ربت إسماعيل على يد

شقيقه كي يهدأ، فصمت زافرا بتعب. رفق

شقيقه الأصغر بحنو يحثه على التحدث فقال

بحزن... (لم يكن سباق سيارات أخي... بل

مطاردة... قطبا بريبة فاستطرد يقول

بخجل... (كنت في ناد ليلي مع بعض

الأصدقاء... وبينما كنا نتسامر لمحت ما أيقظ

حواسي في لحظة... شاب يشبهه... رحل

الخجل ليحل محله حزن صغير فقد والده، في

سن يصعب عليه فهم السبب... (صورة طبق

الأصل للرجل الذي أذكر أنه والدي... حتى

أنتي ظننته هو... لولا فارق العمر...)

تنفس اسماعيل بعمق، بينما اشتدت العروق في

وجه إبراهيم... (الفضول قتلني... لم أستطع

إبعاد عيني عنه... فتبعته حين خرج....

لكن في مرحلة ما اكتشف ذلك فهرب مني

.... حاولت مجاراة سرعته... لكن سيارتي

انقلبت حين فقدت السيطرة... زفر إبراهيم

باستنكار يهتف.. (لما أخي؟... لما؟... ماذا

كنت ستجني حتى إن علمت انه على صلة به

؟... او حتى لو كان هو؟...ماذا تريد منه؟...)

صمت عيسى بفعل الألم في قلبه، فقال

اسماعيل بهدوء لم تهنا به قلوبهم....(عيسى

....أخي....قد يكون شابا غريبا....الشبه

يحدث بين عائلات لا علاقة بينهم....)

توقف حين أوما عيسى برفض، وقد تجمعت

الدموع في مقلتيه رافضة التحرر من سجنها،

فباع ريقه المرقبل ان يقول....(حين انقلبت بي

السيارة.... تشوش بصري وشعرت بدوار

لكنني كنت واعيا له وهو يتفقدني....وقال

بالحرف...).رمقاه بتركيز وهو يكمل

بحرقة..(هل أشبهه لهذه الدرجة؟؟... أم ان

الصغير يفتقد لوالده...للأسف هو لا يكثرث

.... يا....أخي...).قام ابراهيم من مكانه

يشعر بالغضب يكاد يفتك بأحشائه، بينما

اسماعيل يربت على يد شقيقه المرتعشة

يردف بنبرة تقطعت من الألم....(الشاب من

عمري....هل تعلمان ماذا يعني ذلك؟؟.... ان

كل ما قيل في الماضي...حقيقة.... لقد

كان على علاقة ب....).بتركلمته يشد

على شفتيه بألم، يرفض البكاء، يرفضه

بشدة ومن أجل ذلك الرجل، لا لن يفعلها،

أبدأ. قام بحدة يقول بانفعال... (لا يهمني هذا

الآن.... لم اعد أهتم ... لكنني أخبرتك

كي تبحثوا عن ابنه وبالتأكيد ستجدونه

الشرطي... قال أن أحدا ما يساعده.... وبما ان

سيارته ظهرت في التسجيلات الرقم سيظهر

بالتأكيد.... تصبحون على خير... انصرف

يخفي لمعة الدموع في مقلتيه، بينما إبراهيم

يتصل بطارق كي يبلغه عن المعلومات لهم

يستعملون عن الأمر.

.....

في غرفة حق قبل لحظات ...

(عن ماذا تبحثين يا رواح؟...) ... نطقها حق

بنفاذ صبر وهي تراقب حركات اختها

الجنونية، في بحث مضني لا تعرف له سبب،

لم تجبها تبحث بين الثياب فارتمت على

السرير بتعب، لتتهف رواح بقلق... (لا!!).... لا

تجلسي على السرير بعد... قومي!!... قامت

حق تعبس بريبت، بينما رواح نقلت بحثها الى

السرير. قلبت المخدات تتفقدتها، ثم رمتها

على المنضدة لتسحب الشرف بأكماله،

ففغرت حق فمها بدهشة من تصرفاتها الغريبة

منذ أن وشوشت لها والدتها بشيء قبل مغادرتها.
أزالت الغطاء السفلي فتنهدت تحمل المرتبة
لتنظر تحتها، فشهقت بشدة، وهي ترميها الى
الجانب الآخر، امسكت ذراع حق وسحبتهما
برفق، تريها شيئاً ما على خشب السرير... (يا
إلهي لقد صدقت أمي... حين طلبت مني البحث
في غرفتك عن اي شيء غريب... كبيضته
مكتوب عليها او ورقته عليها طلاس او حجاب
...)... تجمدت حق تحديق بأختها التي حملت
ذلك الشيء المغلف بقطعة قماش سوداء،
تشير به أمام وجهها.... (إنه سحر.... لا أصدق

ان الحاجة إيجتة تتعامل مع الدجالين.... يا
إلهي... سأذهب للبحث عن ابراهيم... يجب أن
يعلم...)... امسكتها حق تقول بعبوس... (لا
... لا أحد سيعلم... اسمعيني رواح...)... أخذت
من يدها الحجاب، ثم اردفت باستجداء... (هذا
الشيء لا سلطان له علينا.... سنفتحه ونحن
نقرأ عليه القرآن... ثم نرميه في الحمام
... لأنه نجاسته... لن نذكر فيه و لن ندع
شيئاً تافها كهذا يؤثر على حياتنا... فلا
أهميته له سوى ما نُحمّله نحن... هل
تفهميني؟؟...)... قلبت شفتها السفلى رفضاً،

لكنها أومات على مضمض، لتفعلا ما طلبته
حق، بعدها رتبنا السرير، فتركناها تتلو من
آيات الله، بعد أن ألقنا عليها تحية المساء.
خرجت وهي مصرة على رأيها، ابراهيم يجب أن
يعرف عن الأمر، لأن النساء لا يؤتمن جانبهن،
وقد تنتهم الحاجة إيجت، أختها بالسحر،
حينها لن يمكنها الدفاع عن نفسها. وقد
يصدق زوجها والدته، ففي النهاية هي والدته.
وعت من افكارها على ضربة أوجعت ذراعها،
همت بالصياح غضبا فصمتت حين قابلتها
مقلتين غار فيهما الحزن ولمعتا بخزي، تجسد

في دموع متحجرة، أبت النزول بكبرياء. نظر
إليها فغلف ملامحه بالجمود قائلا ببرود
... (أسف.... لم أركب....) ... هزت رأسها ثم قالت
بتوتر... (أبحث عن إبراهيم... ألا تعلم أين
هو؟....) ... بلع ريقه مأخوذا بالعرشة في نبرة
صوتها، فينسب كالحرير بدفته عبر اذنيه،
تنحنحت من تحديقه، فقال بارتباك قبل أن
يكمل خطواته الى غرفته..... (ستجدينه
في الشرفة السفلية.... تصبحين على خير)....
وقفت للحظة، ترمق حالته الغريبة، الحزن في
عينيه أثر بها، وجعل قلبها يهضو إليه بحنان

واشفاق. تنهدت بخفوت ثم استأنفت طريقها.

أخبرت ابراهيم بما حدث، في حضرة شقيقه

الذي منحه نظرة ذات معنى، فقال الأول

يوصيها محذرا... (من فضلك... أريد منك أن

لا تفارقي أختك مهما حدث... وان شعرت بأي

شيء مريب... هاتفيني في أية لحظة... لا

تدعيها تتعب نفسها... ولا تتركها بمفردها

مع أي شخص مهمن كان... استطيع الاعتماد

عليك؟)... هزت رأسها بتأكيد ترد

... (طبعاً... سأفعل... لا تقلق... تصبحان على

خير... انسحبت فألقى بهاتفه الجديد على

المائدة، يقول بتعب.. (لا تكفيني مشاكل

ذلك الرجل... كي تقرر أمني شن حربها في

هذا الوقت بالذات... وكأنه رد فعل متأخر

لصدوماتها؟!)... لم يلقى جواباً من شقيقه

الصامت، فأردف بنفاذ صبر... (ساعدني... انت

المختص هنا... من قال شر البليّة ما

يضحك، قد صدق، لأن إسماعيل ضحك من

همهم، وهو يرفع يديه متأسفا... (آسف أخي

...سامحني... لكن... ارتمي إبراهيم على

المقعد جواره مبتسماً، يوماً بتفهيم، فقال

الأول حين تمالك نفسه... (آه... يا أخي

....لولا إيماني باللهلسلمت بأن الدنيا لا
تريد انصافنا... لكن حين أسمع العجب من
المرضى أحمد الله على نعمه ...و استغضره
....).... هز شقيقه رأسه مؤكدا، وأضاف..(أنا
كفيل بالمشاكل خارج البيتلكن أمور
النساء هذه تريكني ...). رمقه بتأزر مطمئن
....(لا تقلقسنراقب الوضع جيداو أنت
هون عليك ...وتمتع بلحظاتك الأولى مع
زوجتك....لا تدع بشاعة الدنيا تنال منك
....).... اتسعت بسمت ابراهيم، وقام من مكانه
قائلا بسرور وكان الهم انجلي بمجرد

ذكرها... (أنت محقسنكمل حديثنا غدا
بإذن الله تصبح على خير ...). تأمل
ابتعاده ببسمت راثقتا، يهمس بنوع من الحزن
...)(هنيئا لكوجدت لجروحك بلسما
....).
بحث عنها ليجدها على السرير، والكتاب لا
يزال بين يديها، تهمس بتلاوتها العذبة. علم
انها مندمجتا، فلم تعي على وجوده وهو يغير
ثيابه. اندس داخل الغطاء جوارها، فأنتهت
قراءتها والتفتت إليه تبتسم في وجهه، ليدق
قلبه بسعادة طردت كل همومه خارج باب

صدره قائلاً برقة... (لما لم تريدي إخباري بما

وجدته رواح؟؟)... رفعت وجهها إليه ترمقه

بأسف... (لا أحب المشاكل ستغضب أمي و

تحزن أنت... وأنا لا أخشى تلك الأمور.... الله

أحق بأن نخشاه وحده..... ولن يصيبنا إلا ما

كتبه لنا...)... تنفس بعمق يرمق ملامحها

البريئة، فاقتنص شفيتها في قبلة طالت حتى

شعرا باحتياجهما للهواء. أبتعد عنها يهمس

أمام شفيتها بأنفاس لاهثة... (عديني بأن

تخبريني بكل شيء يخصك... مهما كان

صغيرا.....). حدقت به تلهث، فاقترب أكثر

غرفتهما. وضعت المصحف على المنضدة ثم

ضمت كفيها ونفثت فيهما ثلاثا، لتهمس

بسورة الإخلاص والمعوذتين. استلقت تنظر

إليه قائلة بهدوء... (إنها من السنن المؤكدة

.... لما لا تقوم بها؟..... فهي حفظ من شرور

الليل...)... بسط يده وسحب طرحتها

المرخية، ثم مسد على شعرها وهو يقول

.... (لم أتعلم من السنن الكثير.... فقد كنت

مشغولا بالعمل.... فلم أجد وقتا للكتب إلا ما

تعلمته من جدي....). ابتسمت له بتفهم،

ف فعل مثل ما فعلته، ثم سحبها يضمها الى

يحط بأنفه و جبهته على خاصتها

يحثها....(عديني حقعديني حبيبتي

(.... شهقت بخفت، لقد كررها من جديد،

وقلبها لا يتقبلها بنفس البساطة التي ينطقها

بها، بل قلبها يرج صدرها كلما سمعتها من

بين شفتيه، وبنبرته الأجشة الهامسة، تفعل

بمشاعرها الأفاعيل... ضمها كي تنتبه إليه

فأومات بحياء، ومد يده يطفئ النور لتغرق

الغرفة في ظلام دامس. أخذها بين ذراعيه،

يهمس برقة....(نسيت أن أبارك لكابننا

أو بنتنامبارك علينا انا و أنت....)... همست

بالمقابل وهي تتشبت به تبادل له شغفه بحياء،

وتعثر....(بارك الله لنا في ما رزقنا

(...)...ضمها إليه بقوة، يتمنى أن يزرع في

قلبها شعوره بها، وقبل وجهها متتبعا طريقه الى

ثغرها ليالتقطه مجددا، يبثها لهيب نار

أضرمتها، فلم تعد تنطفئ.

.....

صباح اليوم التالي ...

قرية بئر السواد...

مالت على أختها تهمس بتذمر... (متى سيحن

دورنا؟! ... لقد تأخرت تلك الفتاة داخلا

...) ... بللت أختها ريقها الذي جف من حرارة

المكان، ثم قالت ... (أخبرنا أن التجهيز

سيطول قليلا ... لنصبر ...). قلبت شفتها

سخطا تحيب ... (أتمنى أن يصدق قوله هذه

المرة ... لقد سئمت ... أتصدقين انه سمح لها

بالعمل؟؟ ... إنها تستولي عليه كل يوم

أكثر... أخشى أن تحمل منه فيصعب التفريق

بينهما ...). ... او مات تهمس بحزم ... (الخلطت

هذه المرة مضمونته ... وقد دفعنا ثمنها الغالي

... ستحقق هدفها لا تخافي يا أختي ...).

عادت الى صمتها ترمق عقارب الساعة أمامها

بضجر، غافلت عن الزمن الضائع منهما، إن مرت

منه لحظة، لا تعود أبدا.

هوت تجلس على الأرض قرب رجله، تقول

بتذلل ... (هل فهمتني يا سيدي الفقيه؟؟ ...).

اسمعني جيدا ... السيدة مستعدة لدفع أي ثمن

... لكن إن لم تجد النتائج التي تريدها

....ستخرب بيتناأنا وأنت) رفع

المسبحة بتوتر يقول بتجاهل، وهو يرخي

ظهره على الكرسي الخشبي... (لا تستطيع

فعل شيء لا يغرنك الحي الذي اخترته

لأعمل فيهالناس الذين يقصدونني من

عليّة القوم) اقتربت تقول بمكر

... (وهذا هو المطلوب ...أن نقنع السيدة أيضا

بقدراتك يا سيدي الفقيهفرق بين الرجل

وزوجتهوقرب منها حبيبهاهكذا

سنقنعها و ستدفع الكثير...) ضم شفثيه

يمسد على لحيته المزيفة بتفكير، يلف

بعينه على محتويات الغرفة ذات الرائحة

الخانقة. أمامه طاولة عليها أنواع من الأحجار،

و المداد، كما مجموعة من التوابل، وقناني

مملوءة بعضها بسوائل غريبة، وأخرى بأمور

مختلفة. رفع رأسه متأملا رؤوس بعض الحيوانات

المعلقة من السقف، الى أن وصل الى رأس

الضبع ليقول بامتعاض....(التفريقسهل

أمره ... بيضتة مدنستة مكتوبتة بماء الزعفران

... وخالطتة للأكل من مخ الضبع نفسهتفي

بالغرضوهناك امرأتان ينتظرانه أيضا

....).... تلكأ ثم استطرد بغموض ..(القبول

....(لا ضير إذن سأجهزه الخلطات بما بقي

في المجمد لكن احذري يجب أن

يتناولونه في المعاد الذي سأحدده إن تأخر

قد يسبب تسمما مميتا ولن يتحمل

المسؤولية غيرك أنا أحذرك) ... بلعت

ريقها بخوف لكن الطمع غالب، تهتف

بتصميم ... (حسنا أنا موافقة ...).

.....

....سيحتاج الى ماء مخ الضبع وهذا غير

متوفر الآن.... هو موجود لكنه ليس طريا

...قد يسبب تسمما ...)(... نظرت إليه باهتمام

تقول ... (سحر الأكل هذا ضروري يا سيدي

....؟) ... مال عليها يرد بسخط ... (يا غبيتا

افهمي التفريق يجب ان يسبقه سحر

للأكل كي يمرضوا و المرض يمنع

صاحبه عن أغلب الفرائض والسنن....وهكذا

يكون المسحور مستعدا لتلقي السحر

....(فيكون تأثيره أكبر...)) ... ضمت شفيتها

تهز رأسها بتفهم، فقال بعد أن حسم قراره

الفصل الثامن

من علم أن قوله من عمله قل كلامه
.....الامام مالك بن أنس.

منزل آل عيسى ...

عاد من صلاة الفجر، فلم يعد الى نومه بل
اقتدى بضعل زوجته، وبدأ بقراءة الورد الذي
اقسم بينه وبين ربه ان لا يدع قراءته بعد
يومه ذاك. لم يشعر بمرور الوقت إلا حين

تسللت أشعة الشمس عبر ستارة الشرفة. وضع
الكتاب على المنضدة جواره، ثم التفت
بتلقائية يتفقدتها، ليلمحها تغط في نوم
عميق، ابتسم بخفتة واقترب منها متأملاً.
ساكنت ذات ملامحة صغيرة ناعمة، لا
تمتلك جمالا أخاذا، إنما هو نور يشع من
بشرتها بين البياض والسمرة، قسما
متراخية، وكأن لا هم يضني كاهلها الوهن.
لمح شعرها المجموع في عقدة تحت قرص
الشعر، فأزاله برفق وشتت الخصلات على جانب
وجهها، ثم لمس خدها بظهر أصابعه، متذكرا

نعومة بشرتها أثناء عاصفة مشاعرهما،

احتدت دقات قلبه، تلح عليه إيقاظها يود

وصالها من جديد، يشاق إليها كل لحظة،

مشاعر جياشة قوية جديدة عليه كليا.

تنفس بعمق ياجم نفسه التواقفة، فهي تحتاج

للراحة. التقط هاتفه، فقطب حين لمح رقم

المفتش طارق، تسحب بخفة من السرير، وخرج

الى الشرفة، ليسمع ما لم يكن في حسبانته.

.....

قرية بئر السواد ..

زفر بضجر ثم التفت الى الخادمة قائلاً

....(اسمعيني جيداًعودي الى سيدتك

...وأخبريها أن الخاطات ستأخذ وقت لصنعها ...

ذاك المخ لم يعجبني لونه لذا اكتفيت

باستعماله للمراتين ...فهو على قدر ما دفعته

من مال) ... تحدثت بعبوس تهتف ... (متى

ستجهز بضاعتنا ؟؟ ... السيدة مستعجلة...)

هز رأسه مشيراً لها لتصرف قائلاً... (بعد ثلاثة

أيام ...هيا!! ... انصرفي !!) ... ضمت شفيتها

وشيك، ولو انهما تعلمان بما في قلب الفتاة،

لما تكبدتا عناء شقاء أسود سيحل على

نواياهما. فسبحان العليم الخبير.

.....

منزل عزيز ...

لم تتعب نفسها في تحضير نفسها، بعدما

حدث، ظنت انه لن يسمح لها بالذهاب الى

العمل من جديد... (الى متى

سأنتظرك؟؟...) ... اهتز بدنها من صياحه،

فأسرعت إليه من المطبخ تسأل بريبتة... (لما

تنتظرنى...؟؟؟) ... رمقها بتهكم يقول بحنق

حنقا وانصرفت متبرمة. دخلت المرأتين بعد

انتظار طال في الحر، فجلستا تلهثان من العطش

والتعب. أغمض عينيه يتمتم بكلمات غير

مفهومة قرب يديه المضمومتين، ثم بسطها

لهما كي يلتقيا قنيتين صغيرتين بحجم

نصف الكف، قائلا بتحذير....(يجب أن

يأكل منها اليوم ... ليس الغد ..اليوم

.... واحرصا على تخزينها في البراد الى أن

يأكل منهااليومأنا حذرتكماهيا!!)

انصرفا...) ... خرجتا تحثان الخطى، وهما

تبتسمان بظفر، تتوعدان الفتاة بطلاق

... (غبائك يفاجئني كل حين العمل يا
حمقاء أم ان المدير سيخصك بمعاملة
استثنائية ؟) ... عبت من اتهامه المخزي، ثم
همست دامت .. (سأستعد بسرعة ...)
خطفت من بين ملابسها، عباءة سهلت
الاستعمال أحاطت رأسها بشالها، ولحقت به بعد
أن تناولت حقيبة يدها. نظر إلى وجهها فقال
باشمئزاز.. (لو كنت مثل النساء تعرفين عن
الأنوثة القليل ... لتعلمت كيف تخفين تلك
البقع البشعة على وجهك..) ... نظرت الى
المرأة الجانبية للسيارة فشهقت بفرع، لقد

نسيت امر الرضوض على خدها وجانب عيناها،
بينما هو يردف بتشفي مبتسما بسماجتا،
... (هكذا أفضل كي يتعلم كيف ينظر
إليك مرة أخرى) ... لم تنتبه لمعنى
كلماته وهي تسحب أطراف شالها تخفي جل
وجهها، وتفكر في حجج مقنعة، فالأكيد أن
كل من سيلاحظ سيسأل.

منزل آل عيسى ..

تميل بكوع يدها على طاولة المطبخ،
تضحك شمة وابنتها التي في سنها... (الحمد

لندخل في موال الحمل....فليحفظنا الله من
اعين النساء....) صمتت عن حديثها حين
لمحت رواح الثابتة مكانها تبتسم بخفت،
وترمقها بنظرات خطيرة أربكتها فقالت... (آه
...رأسي... لم أذق طعم النوم....لما تقفين هنا
يا ابنتي؟!....) ... ربَّعت رواح يديها تقول
بنفس الملامح الخطرة، ترسل اليها إشارات انها
تكشف كل مكرها... (صباح الخير يا خالت
...الله يشفيك.... أنا هنا أنتظر الفطور كي
احمله الى اختي...)... تحركت تريح رجلها
ثم استطردت بتفكه متهكم ..(أخي

لله اننا انتهينا من الثانوية وهما....) ...
ابتسمت نهاد ترد بمرح... (صدقت حتى
انني اخترت تخصصا في الجامعة الجديدة....
لا يشترط الحضور كي لا أتقيد
بمواعيد....) ...أومأت بتفهيم ليحل الصمت حين
دخلت عليهن الحاجة إيجت تمسك بجانبني
رأسها، تدعي التعب وقلت النوم، تقول بسخط
يشوبه بعض الامتعاض.... (شمتة.... هل ارسلت
في طلب من يساعدك؟؟....فميموننة لن
تقفل فمها والمدينة بأجمعها ستعلم عن حمل
ربيبتها.... لم نكد نخرج من موال العرس

جملتها تشهق بشدة، حين وجدته في وجهها
على عتبة باب المطبخ، يرمقها بدهشة وان
ارتفعت زاوية فمه بشبه بسمته ساخرة. تجمدت
ملامحها صدمتاً، والآخر لا يرحمها بنظراته
المتسلية. امسكت نهاد بالصينية حين
ارتعدت بها يدي الأخرى، تقول بمزاح... (ما
بك رواح؟... أكملني... تتمنين زوجا مثل
ابراهيم... و...). (نها اد!!).. هتفت بها رواح
بحنق، وهي تتشبث بصينية الأكل، ثم
تقدمت بروية تكتم توترها. لم يتزحزح من
مكانه فرفعت حاجبها، وأومات له كي يخلي

لها الطريق، عض شفته كاتما هو الآخر
ضحكت من منظر وجهها المحمر، تدعي القوة
بكبرياء كعادتها، زفرت بقوة فرقع كفيه
مستسلما وانزوى كي تمر بسلام. ضحكت
نهاد تقصد عيسى... (أخجلتها... عيسى
...). تقدم المعني وجلس الى طاولة المطبخ،
مجيبا بنفس مرحها... (أنا؟!... لم افعل شيئاً
... وربي شاهد علي... هي من قالت...).
اقتربت منه شمة تلعب في شعره الكثيف
كما تعودت منذ صغره، فزمر بسخط مزعوم
... (أنت ماكريا ولد!!...). (لماذا يا خالتر

؟؟... أنا اللطيف بين إخوتي....) ... نطقها

مدعيا البراءة، فهزت رأسها بياس ضاحكة،

ونهاد تجلس على الكرسي المقابل قائلت

بتذمر ساخر... (لا تتعبي نفسك أمي ... إنه

مدلل آل عيسى) ... رد عليها ببسمة جذلت

... (أنتما بالذات يجب عليكم مساندتي

فانت مرضعتي يا خالت ... يعني ابنك أيضا

... (... ضمت رأسه تقول بمقلتين دامعتين

... (أنت ابني بكل تأكيدرحم الله سعد

... لو لاك بعد فضل الله لكنت فقدت

عقلي بسبب موته صغيرا جدا ...).. سحب

كفها وقبلها بحنو يقول ... (رحمه الله يا

خالت... وأنت بالفعل أم ثانية ليأنا جدا

محظوظ بك ...). ... مسحت دموعها، وربتت

على رأسه باطف، فتدخلت نهاد مغيرة

الموضوع الكئيب ... (أحذرك عيسى ...رواح

فتاة حساسة وتخرج بسهولة ... اسألني

أنا... فهي زميلتي في الدراسة ...). ... انجذب

فضولا لا يعلم لما، فسأل ... (لاحظت ذلك

... و لا أعلم له من سبب ...). ... أسندت وجهها

بكفها، تقول بعبوس حزين ... (انها فتاة

خالقة ... طيبةبسيطة ... لو انها فقط لا

تتحسس من عاهتها...دائما ما تظن الناس

يسخرون منها... حتى من يودها....تظنه شفقتا

بها (...)...قطب مفكرا، بينما هي تردف

بامتعاض..(و الناس لا ترحم...فيهم من

يتعمد إهانتها....).. تنهدت تكمل وهي تقوم

الى المغسلة... (لذلك تجدها طوال الوقت

ذات سلوك دفاعي....متأهبة لأي

إهانتة....فلم تعد تميز الصالح من الطالح

(....)... قلب شفته باستغراب، يفكر في صلتا

بين سلوكه معها منذ أن تعرف عليها، وبين

إهانتها بأي شكل من الأشكال.

التقت بإسماعيل في الرواق الطابق الثاني،

فأومات له بتحيةة، ردها بابتسامتا يسألها

بمجاملتا... (كيف حال أختك

؟؟)... (الحمد لله....تركها نائمتا....حين

تفقدتها آخر مرة...)... قطب بحيرة

يقول... (أخي ليس في البيت؟؟)... هزت رأسها

سلبا تجيب... (لا....أيقظني باكرا كي

أكمل نومي بجانب اختي...)... رفع رأسه

متفهما، ثم استأذن بأدب، فانصرفت تهمس

بدهشتا... (لما لا يشبه أخويه....خلوقين و

ذوا آداب عاليتا....منحل!...)... كانت قد

دخلت الى غرفة أختها، وهي تنهي همسها
الساخط، لتعي على سؤال أختها المريب... (ما
بك رواح؟؟) ... (ها؟؟) ... حدقت بها
أختها الواقضة أمام خزانة ملابسها، فقالت
حين لمحت ثيابها... (إلى أين انت
ذاهبة؟؟) ... أجابتها بتلقائية... (إلى
الأسفل ... لما أتيت بالفطور الى هنا؟؟) ...
وضعتة على المائدة الزجاجية، تقول بنبرة
ضجرة من اليأس... (إبراهيم يحذرك من
إجهاد نفسك وأن بقيت في غرفتك اياما
تتسطين على السرير ... سيسره ذلك)

خطت إليها تمسكها من كتفها مستطردة
بقلق... (نحن نخاف عليك حق يجب أن
تتنهي لنفسك أنت مسؤولة عن روح أخرى
الآن أختي حماك ...). قاطعتها حق
تقول بعبوس طفيف.. (حسنا سأبقى في
غرفتي مادام إبراهيم يريد ذلك)
توترت نبرتها وهي تنطق باسم زوجها،
فابتسمت رواح تقول بمكر... (لأن إبراهيم
طلب ذلك... ها؟؟) ... احمرت حق تبتسم
بحياء، فطوقت أختها وجهها بحنان تقول
... (لقد احببته اليس كذلك؟؟) .. رمقتها

... (زوجك أوصى بذلك أيضا). ... اتسعت

بسمته حق بصدق، وكلمته حبيبتني تطرق

خلايا عقلها، وتنعش صدرها بأحاسيس ذات

خفر، تزحف الى كيانها بخطوات مستحيته.

.....

أمام مركز الأمن للمدينة الجبل ...

صافحه بود ثم التقط هاتفه من جيبه، ليقول

بجمود قلق ... (إنه اسماعيل أظنه علم عن

خروجي باكرا ...). ... أوما طارق بجدية يقول

بحزم ... (إياك ابراهيم لا أحد يجب أن

بخجل تهمس ... (أليس زوجي ؟.... من المفروض

أن أحبه ...). ... اندهشت رواح من استجابتها،

لحوار لم تكن لتقبل حتى الحديث فيه

سالفا، فردت بسرور ... (الحقيقة أن

إبراهيم.... شخصية تستحق الاحترام و

الحب... أنا سعيدة جدا من أجلك أختي

....). ... ضمتها حق بحب، تهمس لها بالدعاء

... (أراح الله قلبك أختي). ... امننت رواح ثم

ابعدتها لتسحبها الى المائدة قائلة بمرح

... (هيا لتفطري و كلي كل ما احضرته

لك ...). ... رمقتها بمكر، تردف بتسليته

يعرف ... هي أيام فقط و ننتهي من هذا
الكابوس (....) ... هز رأسه بتفهف، ثم ودعه
ليجيب أخاه مدعيا الهدوء، عكس العاصفة
تموج بأحشائه.
استدار طارق عائدا الى المركز، فتناهى الى
اسماعه صوت شجار في احدى الأروقة. غير
وجهته متتبعا الضجيج، لتتسع مقلتيه حين
وجد فتاة تكاد لا تصل الى كتفيه، كما
العسكري الذي تمسك في زمام قميصه تهدد
بغضب سطع من قسماات وجهها المضمومت
كليا، والمحمرة حنقا ... (أيها السافل

...تظنني سهلة المنال!!... أقسم لأفضحنك
هنا يا منحل!! (....) ... لاحظ أنظار الناس بدأت
تلتف حولهما، فاقترب مت دخلا ... (عسكري
....ماذا هناك؟؟....) ... تراءى له الارتباك
على وجهه وهو يقول بتوتر... (لا ...)
قاطعته القطة على صفيح ساخن، ديل حصان
شعرها يتراقص لغضبها، وهي واقفة على
أطراف أصابعها كراقصي البالي، في محاولة
منها لتصل الى مستوى نظره، فلم تفلح أمام
ذلك الضخم بطوله وعضلاته، ليضيف ذلك
من غضبها الكثير.... (ولما تسأله هو؟؟....

يتصبب عرقا، يسأله بصياح اهتر له بدنه
... (ماذا فعلت يا هذا؟؟؟) ... بلع ريقه يناظرهما
بالتناوب، لتتهتف هي ... (المنحل تحرش بي ...
وأصبحت الرشوة عرضا بدل المال)
جحظت مقلتي طارق يرمق العسكري بنظرات
حارقت، حاصره بها ليتفتف رعبا (لا
تصدقها سيدي هي من توددت الي كي
أمدها بأخبار عن الجبل الأبيض ..) ... شهقت
بصدمة، فانقضت على قميصه تسحبه الي
مستوى طولها وهي تصيح ... (لهذا يلقبون أبناء
الجبل ببني الهمج حين تحدثك أنثى

تفترض أنه شاهد صادق ... ليس سوى منحل
.... لكن ماذا أنتظر من كبيرهم؟؟.... إن
كانوا هم ... قاطعها بزئير أرب قلبها
لكنها لم تستسلم، تقف بشموخ تحدق به
مترقبته لأي حركة منه ... (أصمتي !!) ... إن لم
تحترمي أحدا هنا فاحترمي هيبة المكان
على الأقل ... لاحت السخرية على جانب
ثغرها الزهري، ترد بتهكم ... (هيبة
... ها؟؟؟ ... أخبر رجالك ان يحترموا هيبة
مكان عملهم أولا ... كي يحترمه الغرباء
...) ... زفر بحنق والتفت الى الجامد مكانه

بلطف... لا يعني ذلك أنها تتودد إليك يا

همجي ...)... اشتاطت احشاء طارق وله

يتذكر سوى إهانتها، فنسي القليل من اللباقة

التي فقدها بين تربيته الجافة وتدريباته

العسكرية، وسحبها بشدة دفعت بها و

العسكري الذي تمسك في تلايبب قميصه....

(من هؤلاء الذين تلقبهم ببني

الهمج؟... تحدثي؟!...) ...تركت قميص

العسكري، ترمقه بمقلتين جاهدت لتحافظ

على تباتهما من سواد وجهه الغاضب، فبرقت

الزرقة فيهما صافية كالزجاج العاكس للون

سواء صافية. رطبت شفيتها من جفافهما،

والجو قد ازدادت حرارته بالقرب من كومت

العضلات، انفاسه الساخنة المختلطة بالعطر

بعد الحلاقة تلمح وجهها القريب منه، بل من

عضلات صدره المشدودة. تملمت جاذبة

كتفها من قبضته القوية، فنفضها عنه

وكانها عدوى ما، ستصيبه بالموت... (انت

عديمة التربية!...) ... اخرجي من هنا... قبل

أن أحبسك بتهمة سب و شتم الموظفين اثناء

تأديت عملهم....) ... زمت شفيتها بغل تتميز

بها أحشاءها، واستدارت منصرفت تهرب من

يشعر بحفيظته تشتعل، حتى صاح باهتياج
يقصد أحد زملائه... (أنا ذاهب للتدريب!!)
....) ... أسرع بخطواته يهمس من بين أسنانه
....) (سأصوب على مجسم ... قبل أن أقتل أحد
ما... بني الهمج ... قالت ...).

.....

مصنع المرابط ...

تقدمت بخطوات مترددة لا ينفك لسانها عن
الذكر، ومقلتها تنبئ بدموع وشيكة،
تكبتها بتجبر أنك قلبها المكوم. لمح

غضبه المستعر، فهي لماحة تعلم جيدا حين
تكون المعركة خاسرة، وهذا الرجل ليس
أبدا بهين، لكنها لن تكون هي إن لم تنتقم
منه، ستجعله يبحث عنها ولا يجدها.

بلع العسكري ريقه، لم يكد يهنا بتخلصه
من المزعجة، لينتفض على ضربة قوية خلف
عنقه، يتبعه صياح غاضب... (انت محول
للتحقيق وإن تبث تحرشك بالفتيات
فلتودع وظيفتك الى الأبد.... بسبب غياب
امثالك ... يقبوننا أمثالها بالهمج أغرب
عن وجهي!!) ... تلاحقت أنفاسه بانفعال،

السيد عمر خيالها فقام يقول مبتسما ..(مرحبا
يا ابنتيهيا... اتبعيني إلى قسم الحسابات
...كي ...). بتر كلماته، يتفقد تملأها
المتوتر... (حفصة؟! أنظري إلي..)... رفعت
رأسها ليقطب بريبة مستطردا ... (لما تخفين
وجهك يا حفصة؟!؟!... انت بخير؟!?)...
تلبكت وهي تشد على اطراف طرحتها،
لتنقذها عاصفة ولجت المكان بغضبها تهتف
بغل ... (أقسم يا أبي لولاك وأمي ... لكنت
عدت من حيث أتيت ...). قطب السيد عمر
متاقف ارتماؤها بين ذراعيه، يسأل بحيرة

... (ما بك يا براء؟! ... كنت سعيدة جدا
... حين تركتك صباحا و متحمسة لعمالك
... ما الذي حصل قلب مزاجك...؟!?)... (وهل
تحتاج لسبب ... إنها براء ... يكفي...)... صمت
ياسين حديثه بغترة، واختف المرح من على
ملامحه في لحظة، يشعر بشلال ماء ساخن قد
تدفق على سائر جسده. اتسعت مقلتيه بجحوظ
مرعب، وتلاحقت أنفاسه بغضب لا يذكر حتى
متى شعر به آخر مرة، يقول بخطورة مهددة
... (حفصة ما به وجهك؟!?)... الجواب معلوم
لهم ... لعمر الذي عاد يتفقدتها حين

تذكرها،....لبراء التي استغربت من موقف

ياسين، لا تذكر فيها يوماً راته بذلك

السواد، لتتفضل هي الأخرى حين لمحت

الكدمتة تحت عينها اليسرى. نسيت كل ما

حدث معها وانقلب الغضب الى ما هو أشد،

تقترب من الفتاة المنكشمة على نفسها خوفاً

وتوترا وشيئاً ما آخر لا تعرف كنهه، بين غيرة

من موقف السيد عمر حين احتضن ابنته بحب

أبوي ظاهر، وغضب ياسين الذي من المؤكد

قد ربط ما حدث أمامه بالأمس بالكدمات في

وجهها. اختلطت عليها المشاعر بتفرغ غريب،

غيرة وخجل وغضب وخوف بل رعب، لم يسبق

لها أن واجهت أناس غضبوا لما ألم بها، سألوا،

اهتموا، تشتت فكرها وهي تحديق بهم،

مقلتيها ترتعد كسائر أطرافها، مما جعل

ياسين يحثها بما يجتاح صدره، يكاد

ينفجر... (هل زوجكمن فعل هذا؟....

تحدثي حفصة ... لا تخشي شيئاً)

كانت براء قد اقتربت منها، تبعد جوانب

الطرحته من على خديها، تهتف بسخط... (لا

بارك الله فيمن فعل هذاوغضب مني

الجلف حين لقبتهم ببني الهمج ... أليس من

فعل هذا همج (؟؟؟)... نظر اليها والدها يقول
بانزعاج واضح،(من هذا الجلف؟؟.... ألم
احذرك من إهانتة أهل الجبلسيؤذونك يا
ابنتي ...). هتفت تشير الى حفصة الشاحبة،
تتنفس بسرعة أثارت قلق ياسين المراقب
لكل سكناتها... (أنظر يا أبيما رايك
؟؟... تخيلني مكانها واحكم ...). تخصر
عمر يفسر بنفاذ صبر... (أنا بالفعل أتخيلك
مكانها... لذا أحذركمن إهانتة أحد
...الناس ليسوا سواسية ...). همت براء
بالتحدث لتشهق صدمتة من سرعة ياسين

تجاهها، لتكتشف أنه أسرع يتلقف الأخرى
جوارها، فقد كان الموقف أكبر من قوة
تحملها الذي استنزف على آخره، فتستسلم
أخيرا لعالم اللاوعي، علها تجد فيه راحة لم
تعرف لها يوما من لذة.
.....
منزل المرابط

همست باضطراب تمسد على جانبي
جبينها... (متى ستجهز؟؟....). ردت الخادمتة
بنفس همسها بما أخبرها الدجال... (ثلاثتة

أيام أنستي المادة الأساسية غالية

....ويلزمه وقت كي يدبر ما نحتاجه)

عضت شفتها بتوتر أصبح مرافقا لها ، كالسواد
تحت عينيها ويدها المرتعشة طوال الوقت.

....(ما بك أنستي؟؟.... لا تقلقي ... الثياب قد

استعملها ودفنت في مكان لن يجده أحد مهما

بحث ... لم يبقى سوى الخلطة... وسيتحقق ما

تتمنيه ...).. هزت رأسها واستدارت عائدة الى

غرفتها. لم تنتبه لمجيد المسرع خارجا على

أذنه الهاتف، ولا لأبيها المراقب له بغموض

حدث به أحدا ما في هاتفه.

(أجلكل شيء كما خططنا له ... راقب

ابنك فقطلأنني لا أثق به ..) ... صمت

لبرهته ينصت ثم رد بحيرة ... (سافرالى أين

؟؟)... أبعد الهاتف عن أذنه بانزعاج ثم قال

بضجر ... (حسنا لا شأن لي ...فقط احذر

...الى اللقاء ...). أقفل الهاتف يهمس بسخط

... (اللعنة !!... مما خلق الرجل ؟؟)... أنطلق

بسيارته مردفا باستخفاف... (إذا أراحني من

ابنه ... حينها ليذهبوا جميعهم الى الجحيم

...)

فقد كانت تلقي بكلماتها خارجاً كي يرتاح

جوفها، تلك كانت خطتها للعلاج الدائم،

تتحدث وتتحدث بكل ما يرضيها حتى تهدأ

ولينفجر من ابتلي بها. ... (بعد الفضيحة التي

أحدثتها هناك....الأفضل لك الابتعاد

عنهم ... الفتاة المسكينة لا ينقصها مشاكل

....) ... ياسين منفصل عنهم تماما، ذهنه سارح

مع المغيبة بين ذراعيه قبل لحظات. كثيرا ما

سمع عن المعنفات، لكنه لم يرى واحدة من

قبل، يكره الظلم، يمقت العنف. أمر من

النوادر التي تعلمها من والده وتوافق هواه،

راقب ابتعاد السيارة أمامه، فأشعل محرك

سيارته منتظرا المسافة المناسبة بينهما، وقال

منهيا مكالمته... (بلى سيدي إنه أمامي

....حاضر...أمرك سيدي...)

.....

المشفى ...

منتظرين على باب غرفة المستعجلات، وبراء

تزمجر بغل لا يهدأ... (لما لا تريدون إبلاغ

الشرطة؟؟... أنا لا أفهم...)... رد والدها

بسخرية بعدما علم عن سبب تغير مزاجها،

الرجولة لا تعني التجبر على الضعيف، الرجل
من يواجه نده بكرامة و كبرياء، أما
المتسلط على الضعفاء ليس سوى جباناً لثيماً
لا يمت للرجولة بصلة. قد يكون والده فضا
في حديثه، لكن أبدا لم يسبق له أن رآه يمد
يده على ضعيف قط، أو امرأة. تحرك قلبه
اليوم، متأكد هو من ذلك. ليس إعجاباً، حبا
، أو حتى رغبة، بل غضب، نار تأججت في
خلايا قلبه. في صباح يومه ذاك شعر بشيء ما
ينغص عليه نشاطه، بل منذ ان تركها منقادة
خاف زوجها بتلك الطريقة، مشهد علق في

ذهنه، يتكرر كل حين من غير حول منه و
لا قوة. لم يشعر قبلا بالعجز، كما شعر
بالأمس او اليوم. قبض على كفه بشدة
وقربها من فمه المزموم....(ياسين...من
فضلك ساعدني هنا)... جفل من جحيم
أفكاره، يرمقهما بحيرة أعلمتهما بسهولة،
فأردف السيد عمر بقلق... (تريد إبلاغ الشرطة
....)... تنحنح بعبوس، فهتفت براء بسخط...
(من اقترف تلك الجريمة يجب أن يعاقب
....)... أشار إليها والدها بضجر، فقال ياسين
بوجوم.... (براء كفي عن هتافاتك

مكتوم وهو يسأل(من منكم عائلتها
؟؟).... صمت ياسين وعمر في حين تولت براء
الحديث قائلة....(الفتاة لا تقربناأغمي
عليها في العمل....واحضرناها... هل اخبرتك
من ضربها ؟؟).... تغيرت ملامحه الى بعض
التقبل يرد بأسف... (لا أنا لا أفهم نساء
هذه المدينة....بدنها يتعرض لضرب مبرح
....وباستمرار....هناك رضوض قديمة وأخرى
حديثا....).... كز ياسين على أسنانه
بكمد ، والطبيب يعتذر منصرفا ، بعدما سمح
لهم بأخذها.

للحقوق الانسان....لن تنفعك هناأول
الأمر الفتاة...لم تخبرنا شيئا....ثانيا وهذا
الأهم... لن تجدي امرأة في هذه المدينة
تشتكي على زوجها...حتى لو يمسي و يصبح
على ضربها....).... استدارت الى والدها تقول
بتهكم....(أخبرتك....بني همج....)....
أسدل ياسين جفنيه بيأس ، بينما والدها يقول
بضجر....(لا فائدة منك يبدو أنني
سأندم على عودتك الى هنا أشد الندم
....).... هزت رأسها بلا معنى ، بينما الطبيب
يخرج من غرفة المستعجلات ، يرمقهو بغضب

نغزه هزت قلبها، يصرخ بوجود آباء يستحقون
لقب الأب، ليس والدها بالطبع... (من ضربك
يا حفصة؟؟... تستطيعين الثقتي بي...)
تسلل التهكم مرافقا للمرارة متطفلان على
الوهن في بسمتها، لتكتمل لوحته البؤس على
وجهها الشاحب... (وماذا سيغير ذلك؟؟...)
تشجعت براء حين تواصلت معها تقول بان دفاع
... (نشككي عليه عند الشرطة.... القانون
أصبح فيه انصاف كبير للمرأة ... سنقدم
التقرير الطبي... ونسجنه...)
في الوجوه تقول بياس أخذ منها القدر الوفير

تحركت بتعب وجلست ترتب نفسها، خائفت
هي، زوجها إن علم بما حدث قد يقتلها، بل
سيقتلها، أكيدة هي. رفعت رأسها حين أطلت
عليها تلك الفتاة الساخطة، تسألها بملامح
رقت ولانت عن ما كانت عليه.... (كيف
حالك.... أفضل؟؟)... أومأت بخجل، ثم قالت
بتوسل... (من فضلك أعيديني الى المصنع
....) ... ضمت براء شفيتها بياس، وجلست
جوارها تقول بحنو حاولت تصنعه، علها
تستدرجها.... (أنا براء... ابنته السيد عمر
....) ... ابتسمت بوهن تهز رأسها بتفهم، بينما

وضعتها في كف يدها تقول بحزم(الله
سبحانه يبعث العون بطرق شتى أنا
استطيع مساعدتكفكري جيداإن
أردت ان تعيشي بكرامة ... اتصلي بي ...)
أطبقت حفصة على البطاقة، تومئ لها
بامتنان، فتقدمتها لتجد ياسين على باب
الغرفة يرمقها بمقلتين لامعتين بتصميم
غريب. هز رأسه بتحيةة ثم استدار مغادرا دون
كلمة، وأوصلها السيد عمر الذي عاملها بنفس
الحنان الأبوي الذي يعامل به ابنته التي لم
تكف عن التحدث و التحدث الى أن وصلوا الى

....(لا أستطيع أين سأذهب بعدها؟؟...)
ربتت على كفها تستفسر بحيرة...(أنت يتيمت
؟؟...لا أهل لك؟؟)... لا زال التهكم المرير
متشبثا بملامحها تجيب بألم(في الحقيقة
أجلأنا يتيمت يتيمت والدين على قيد
الحياة). قطبت براء بريبت، فقامت من
مكانها تكمل بمرار...(أهلي أول من سيجلدي
إن أخذت حقيأتوسل إليك يا أنست
...أعيديني الى المصنعلن يتولى أمري سوى
خالقي). تأملتها بصدمة، ثم تنفست
بعمق تخرج بطاقة من جيب سروالها الخلفي،

المصنع. و لعجبها لم تمل من ثرثرتها، بل
أنصتت لكل كلمة تشجيع تخرجها من بين
شفتيها الصغيرتين بقوة غريبة، كغرابية
تحمّل والدها لها، وابتسامته المرححة تلمع
بفخر يخصه بها كلما تحدثت بثقة وإقدام.

.....
منزل آل عيسى بعد الظهر...

أطرق برأسه وهو يلج متسللاً بخفتة الى
غرفته، بينما الضيوف ثهل على بيته مباركاً

الحمل. كان سيفتح الباب لكنه تذكر
أختها، فتردد ودقه مستأذناً. زفرت رواح بضجر،
فأختها هادئة كما العادة تستغل راحتها بين
الذكر و تلاوة القرآن، بينما هي فعلت مثلها
ثم أشعلت جهاز التلفاز الذي لم تجد فيه ما
يرفه عنها. خرجت للشرفة مرات عدة، واتجهت
للمطبخ مرة واحدة أعادت فيها أواني الفطور
وجلبت الغداء لها ولأختها، متجنباً التجول في
الأرجاء خشية من ملاقات المنحل مرة أخرى.
سمعت دقا على الباب، فقامت مسرعة تحمد
الله على أمر ما يخرجها من الضجر. فتحت

الاباب فابتسمت بهدوء تقول..(مرحبا أخي

ابراهيم)... أوماً يلقي نظرة الى داخل

الغرفة يجيب ... (مرحبا رواح ... كيف

الحال؟؟).... خطت الى خارج الغرفة، تشير له

كي يدخل قائلة بمكر(على خير حال

...الحمد للهكلما أخبرتها أنك طلبت

منها شيئاًفعلته دون نقاشعن اذنك

..).. ابتمس بخفت، ثم أقفل الباب ليستدير

إليها، ويجدها تنظر إليه تومئ بياس. اتسعت

بسمته واقترب منها وجلس بجانبها على

السرير، يرمقها برقة لا تمت لحاله قبل

لحظات بصلة، وكأنه يتجلد بجلد ليس له ما

إن يتركها، ثم يعود الى أصله معها وبها. داعب

أنفها بطرف اصبعه قائلاً ... (كيف حالك

؟؟)... همست تحمر بتقائيت ..(بخير الحمد

لله ...)... تمتم بالحمد فسألت باهتمام ..(هل

أكلت شيئاً؟؟)... تذكر مصابه، فقال بوجود

وهو يرمي الحذاء من على رجليه، ليتمدد

بالقرب منها... (أجلأكلتطعاما ...)

صمتا يتبادلان النظرات، دون أن يتجرأ أحد

منهما على النطق. ثم وفجأة رفع رأسه ووضع

على أعلى بطنها متنهدا بتعب، مطوقا خصرها

بذراعيه. مرغ أنفه برقة في ملابسها فوق بشرة
بطنها، واخذ نفسا عميقا يستنشق عطرها
الهادئ. هدوء وسكينته هما ما يشعر بهما
بجانبا، كل ما يفتقده في حياته يجده معها،
تلك الصامتة تناسبه أكثر من أي شخص
آخر، كان يسمع في الشرع أن الزواج سكينته
ومودة، وكم سمع عن الناس السخرية من
الأمر، وما لانهاية من النكت عن الحياة
الزوجية، وجحيمها. وقد عاش واحدك
العلاقات، بين والديه. هل هذا يعني أنه
محظوظ، أم أنه يقال عسل البداية؟؟!!

ضمها بشدة ينفي لنفسه مخاوفه الداخلية،
يهمس بأفكاره... (لا... انا لست مثله
.... سأحافظ على نعمته الله علي لطالما
أحترمها و أحافظ عليها أحميها حتى من
نفسي... فهي ستبقى لي رحمة وسكن لن
أقع في أخطائه ... بما أن الله قال أنهم سكن
لنا و نحن سكن لهم... فهذا موجود و حقيقي
.... ولا شأن لي بشواذ الأمور..) ... شعر بلمس
كفيها الدافئتين على رأسها، فاغمض جفنيه
ليفتحهما باتساع حين همست بتردد مرتعش،
خائف.... (ما بك إب..... راهيم؟؟)..

نظر إليها مقطباً بدّهشته، فاستطردت بنفس
الهمس المتردد... (أسفتة ... أنا ...). رفع رأسه
والتقط شفيتها بحاجتة ملحتة بدأ يفهم
عاطفتها، إنه يحب تلك الفتاة، أول حب في
حياته، زوجته. أبعدا قليلا جدا وهمس بحب
تمكن من قلبه فاتحد بجفاء، ينطق كلما
اقترب منها.... (لا تتأسفي حق ... أنا من حقتك
... كما أنت من حقي... إسأليني كما لم
تسألني أحدا تدخلني في خصوصياتي فأنا
خاصتك كما أنت خاصتي). دمعت
مقلتيها، تشعر بالعذاب في جوفه، فيمسح

دموعها مستفسرا .. (لما البكاء الآن؟؟؟) ...
رفعت اصبعها ولمست عينيه دون حقا أن
تلمسهما، تهمس بوجود أصاب قلبها الذي
اضناها بتغيره، بهيجانه القوي، بنبضاته
المسرعة. (أنت تبكي تماما كما
كنت في الماضي ... الفرق الوحيد هو انعدام
الدموع ...). شهق، حقا شهق صدمته، انه
بالفعل يبكي، لا بل ينزف دما، أمسك
وجهها بين كفيه يهمس بلوغة أليمة.... (أنا
أنزف حق أحشائي تتقد بألم رهيب ... ألم
لا اجد له مسكنا سوى بالقرب منك أنا

.....).... في تلك اللحظة انطفا اللهيب في

أحشائه، وحل السلام بردا على قلبه من لهيب
آلامه. إنها حقا سكن له.

.....

مصنع المرابطنهاية الدوام

جمع الملفات ووضعها جانبا، ثم نظر الى
ساعته ليجد ان الدوام قد انتهى، وقد أنهى
عمل أسبوع بالكامل، كانت تلك أفضل
طريقة كي يمر الوقت عليه بسرعة لا تثير

بالفعل أبكي ...). بلع ريقه يردف بلوعتا

.....(أبكي بلا دموع.... ليس كبرياء يا حق
.....فقد أنهكت قواي.... واستنزف الصلب من

دمي ... لكن الدموع قد جفت منذ زمن

بعيد..... بعيد جدا حيث لم اعد اتذكر

...متى بدأ التزييف بدل الدموعآه يا حق

!...آه)... عاد يدس وجهه في بطنها، مطوقا

خصرها بشدة، لتجذبه هي الأخرى تطوقه

تحميه من مجهول تشعر به ولا تعرفه، فتفعل

ما تبرع فيه ما تثق في قوة تأثيره.....(بسم الله

الرحمان الرحيمالحمد لله رب العالمين

جنونه. استعد واقترب من النافذة منتظرا،

لحظات وحمل محفظة حاسوبه وانطلق بعزم.

أوت الى الحمام، بعد ان لاحظت تجنب السيد

عمر تحميلها أي مسؤولية، مراعاة لحالتها.

تشكر له صمته وابتعاده دون أن تخفى عنها

نظراته المتفقدة كل حين. إنها تنساق له

بعاطفة متأثره باهتمامه الأبوي، جوفها يلهث

بأوار شديد لقطرة حنان، رأفتا أو حتى شفقتا.

حدقت في المرأة ترى انعكاسها، لا، تلك

الفتاة ليست هي، ذلك الوجه المكدوم

المزين ببقع زرقاء بشعته، ليس لها. انها فتاة

أخرى. فتاة ضعيفة بائسة، مُعَنَّفَه، فتاة تثير

الشفقتا. ماذا جرى وكيف ومتى؟، حتى

أصبحت لا تتعرف على نفسها. هل هذه هي

حياتها الأبدية؟، هل قدر لها العذاب والذل

طوال حياتها؟، كيف السبيل الى السلام.

كل ما تريده هو السلام. تردد قول براء يريج

ذهنها بقوة... (إن قررت العيش بكرامتا

.....العيش بكرامتا.....العيش بكرامتا

.....).... سالت دموعها من مقلتيها المحمرة تعباً

و بكاء. تهمس بمرار... (لم أعش بكرامتا

تحت سقف أبي.... فكيف سأجده تحت سقف

غريب مهمن يكن ...). جلدت نفسها بقوة
زائفة، وخرجت من مخبئها، تستجير بخالقها
من شر ما هو آت. أسرعت الى الشارع بعد أن
أقلت تحية مقتضبة على السيد عمر، ورمت
باب مكتب ياسين بنظرة واجمة، فهي تخشى
دخول زوجها بفضيحة جديدة، هي في غنى
عنها. فتحت الباب ما إن أوقف سيارته، وركبت
بصمت تحت انظاره المراقبة بمكر، يزفر
أنفاس الدخان بين إصبعيه. تلفت حولهما
يبحث عن شيء ما، فنظرت إليه حين لم
ينطلق، ليقول بتهكم ... (غريب !!)....

قطبت بحيرة فأردف باسمها بسماجة ... (لم
يسأل أحد عن هياتك البشعة ؟؟)....
عبست تلمع مقلتيها بدموع جديدة وقديمتا،
فهز كتفيه وانطلق مستطردا يرميها بسهام
السم ... (ستظلين دائما تافهتا حقيرة لا
يلتفت لها أحد) ... عضت شفتها وصمت
اذنيها عن حديثه، تستغفر سرا، وتفكر في
كلمات براء التي لحسن حظها لا تفارق سمعها.
تفاجأت بهزه لها لتجفل من سهوها الرحيم بها،
فرفعت راسها لتجد نفسها امام بيت
حماتها.... (لم اكن أريد المجيء بسبب

منظرک هذالكن أُمي ألحت علي بشكل
غريبأقضي فمک و لا تبرري شيئاً)..
زفرت بإرهاق، هذا ما كان ينقصها. ترجمت
باستسلام غريب تُسلم مقاليد نفسها لخالقها،
ولسانها يلهج بالذكر وبطريقة لم تعهدها من
قبل.

.....
منزل آل عيسى

(تعال معي منصفلنجالس في الحديقة

...الى أن يخرجن النسوة ..).. تبعه صديقه

قائلاً باستغراب....(بيتكم لا يخلوا من الناس

مندى قصص من وهي الاعضاء

...و كأنهم لا يصدقون انتهاز فرصة

لزيارتكم).. ضحك عيسى وهو يرخي

رجله المكسورة يرد بسخرية... (إنها العادات

... وطف على ذلك تقليداً خاصاً بنا ...قبل

ان....).. بتر حديثه ونزل الوجوم على وجهه

بغتة، ليقول منصف بجديته....(اسمعي

عيسىأنا صديقك ... عشتي معك تحتم

علي إخبارك بشيء مهم ...).. انتبه إليه

باهتمام فاستطرد ... (يجب ان تتحدث عيسى

....أخرج ما في داخلك ...تخلص منه

....ذلك الهه يتغدى على أعصابك و

أحشائك... أشعر أن ما تخفيه (...). زم شفثفه

باحثا عن أنسب كلمات توافق حساسية

الموضوع... (ما تخفيه يسبب لك حرجا

...بل شئ ما أكبر... خزي...). جمهد الدم

في عروقه فنظر منصف الى عينه مباشرة

يقول بقلق... (أنا صديقك عيسى لا أكاد

أفارقك... حين تألف الحديث عن ما يظنيك

أمامي... يخف الأله تدريجيا... ويوما ما ستجد

نفسك حرا من سجن بنيت أنت جدرانها

حولك... (لاح شبح ابتسامتها على جانب

فمه قائلا بمزاح... (أخطأت في تخصص

دراستك... أنت تتحدث كأخي اسماعيل

(...). تنهد بضجر يقول بعبوس مزعوم

(...). (تتهرب... وأنا صادق في قلبي...). زفر

عيسى ممسدا على صدره فحل عليهما الصمت

بظله، سوى من أصوات نساء بعيدة. فقال فجأة

(...). (كل صبي صغير... يتطلع الى رجل واحد

...يعتبره قدوة... بطل خارق... ينسج أحلاما

طفولية حول ذلك الرجل الذي يراه كل

صغير ضخم... قادر على كل شئ...).

استدار الى صديقه مردفا بجمود... (الوالد

!?)... ثم ابتسم ببرود... (أتعلم ماذا يحدث

....) عَادَ إِلَى صَمْتِهِ وَمَنْصَفٍ يَنْتَظِرُهُ بِصَبْرٍ،
وَحِينَ قَرَّرَ التَّحَدُّثَ مَرَّةً أُخْرَى، كَانَ تَزَامُنًا مَعَ
قَلْبٍ آخَرَ تَجْرَعُ مَا هُوَ أَقْسَى وَأَشَدَّ، يَهْمَسُ
لِزَوْجَتِهِ بِنَبْرَةٍ خَافِتَةٍ، لَا يَعْلَمُ إِنْ كَانَ مِنْ
الْخَجَلِ، الْخَزْيِ، أَمْ فَقَطِ التَّعَبِ.... (ذَلِكَ
الرَّجُلُ.... وَالْوَالِدِيُّ.... كَانَ عُنْوَانًا لِلْقِسْوَةِ
...كُلَّ مَرَّةٍ عَلِمْتَ فِيهَا عَنِ عِقَابِ يَنْتَظِرُنِي
...بِسَبَبِ صِفَةٍ فِيهِ لَمْ أَفْلَحْ فِي التَّحَلِّيِ بِهَا
....أَوْ أَمْرٍ لَمْ أُسْتَطِعْ تَنْفِيزَهُ....). تَلَكَّأْتُ
أُرْدِفُ بِنَفْسِ الْخَفْوَةِ... (أَتَعَمَدُ الْإِنْفِرَادَ بِهِ عَنِ
شَقِيقِي.... فَلَا يَتَعَرَّفَانِ عَنِ مَدَى قِسَاوَةِ وَالِدِهِم

....حِينَ يَفِيقُ الصَّبِيَّ الصَّغِيرَ مِنْ حِلْمٍ وَرَدِي
....يُعْتَبِرُ مِنْ أَبْسَطِ حَقُوقِ كُلِّ طِفْلِ...!!؟؟
عَلَى كَابُوسٍ يَمْلَأُهُ الْخَزْيُ وَالْخَجَلُ.... وَالذَّلْ
بَعْدَ عِزَّةٍ!!؟؟ (...). صَمْتُ مَنْصَفٍ يَنْصَتُ
بِإِمْعَانٍ، بَيْنَمَا عَيْسَى يَدْعُكَ رَاحَتِي يَدِهِ
بِالْأُخْرَى مُسْتَطَرِدًا بِإِمْتِعَاضٍ مَمْتَرِجٍ
بِوَجَعٍ... (يَتَكَسَّرُ كُلُّ مَبْدَأٍ وَأَسَاسٍ بَنَى عَلَيْهِمُ
كِيَانَهُ.... هَكَذَا.... يَتَفَتَّتُ إِلَى ذَرَاتٍ
...يَسْتَحِيلُ جَمْعَهَا مَرَّةً أُخْرَى.... مَهْمَا حَاوَلَ
....مَهْمَا رَحَلَ وَابْتَعَدَ... وَادْعَى التَّجَاهِلَ...
تَحَاصِرُهُ لَيْلٌ نَهَارٌ... فَتَغْرَقُ قَلْبَهُ فِي كَمَدٍ

..... لكن اسماعيل كان يعرف رأيتها في

عينيه التان تلمعان بدموع حبيسة... كل مرة

عدت فيها من اجتماع منفرد بأبي.....) ... شد

على ضمها يبحث عن حنان لم يشبع منه، يقول

بلوعة... (لقد حاولت أقسم أنني حاولت ...

حتى أنني كنت أضحك في وجه عيسى

... حينها كان طفلا صغيرا وكلما رأني

أضحك له يسعد فيجري ليأخذ حقه من

السعادة المفترضة من والده... ليتلقفه دافعا

إياه الى السماء يضحك بانتشاء من تسلط

مارسه علي لكن اسماعيل كان أوعى

لذا كان متباعدا خائفا)

تاقت مقلتي عيسى الى نفس الماضي، ينطق

بنبرة لم تختلف عن نبرة أخيه المريرة

.... (أحببته يا منصف أحببت ضخامته و

تخيلت كل بطل خارق... يحمل ملامح وجهه

.... أتذكر غيرتي من ابراهيم... ظننته

تجمعه به علاقة خاصة كان يصاحبه

كثيرا ... ويجتمع به لوحدهما أكثر

.... فأنتظر بفارغ الصبر كي يحين دوري....

معنى الحب و الحنان الأبوي.... مع أننا أبناء
جبل و نعلم عن جفاء الرجال لكن قسوته
هو شئ آخر لا تمت للإنسانية
بصلته...كبرت لأعلم أن ابراهيم من واجه
وجهه الحقيقيحتى اسماعيل كان عالما
به لكن من تحمله شقيقي الأكبر.....)
مسد منصف جانب فمه بخفت، ثم سأل بحيرة
... (صرت متأكد من أن السبب في همك
والدك كما فهمت انه كان يسيئ
معاملتة شقيقك لكن الى الآن لا افهم
.... ما هذا الذي فعله ؟... قلب موازين

و حين يطل علي وجه أخي ابراهيم الضاحك
....تهتاج الغيرة في قلبي ...فأطلق كرصاصة
مسرعا ليتاقفني ويلاعبنيوأشعر.....)
بلع ريقه والتفت اليه مردفا بشجن... (كنت
أشعر بي أطيير في السماء و اتخيله البطل
الخارق الذي يطير محلقا بيبعدها يضعني
على الأرض ويرحل كان لدي احساس
ببرودة تتخلل اهتمامه بي ...شئ ما لم
يستوعبه عقل صبي صغير.....).... تلكأ قليلا
ثم أردف ... (النفاق!!)....عاطفته نحوي لم
تكن صادقة منصف... ذلك الرجل لا يعرف

مدینتکم بأكملها...ولیس فقط عائلتکم
.....وآین هو؟...).

الآخر فی حزن زوجته، یلقى بالكلمات الی
خارج جوفه تحمل أعباء من الألم والوجع
....(تعلمین یا حق؟؟... تحملت منه کل ما
فعله به....تهزئیه وإهانته لی کل یوم
بمختلف السباب و النعوت....جلده لظھری
ورجلی بحزام سرواله...لازلت أحمل ندوباً إن
كان علی الجسد أو الفؤاد....لکننی
رفضت کرهه....كنت أطفئ کل نار تتأجج

فی کیانی لتنتقم لکبریائی و کرامتی
....بکلمتہ واحده....إنه والدی.... مهما كانت
صفاته ومهما عاملنی بقسوة...کل ذلك من
أجل مصاحتی....لکن....).

مد عیسی کفه الیمنی یجذب بها طوق
قمیصه، یشعر باختناق انفاسه فی صدره،
لیقول بمقلتین انحبس فیهما الندی، حتی
لمعتا کالبلور الأسود....(کل ما اذکره أنه
اختفی فجأة من حیاتنا....كنت صغیرا جدا
لأستوعب...فکذبوا علی...کل مرة بحجتہ

على صياح أمي تولول وتنوح على جدي

...هذا الأخير كان وجهه مسودا كما لم

يكن من قبلجامدا وشاحبا شحوب

الأموات.... لم افهم من حديث أمي ...سوى

كلمات عن خيانتة وابن حرامليقاطعها

جدي بما قلب كياني وجعل كل ما مرتت به

من عذاب لا يقترن بجحيم التهمنا بعدها

....(....

أراح ظهره على الكرسي في الحديقتة، ورفع

وجهه الى أوراق الشجر فوقه يلتحم مع

....بكيت وثرث ...كنت أريد أبي او

بالأحرى الصورة التي نسجتها لهوبعد

الثورة استسلمت فلم أعد اذكره إلا قليلا

...إلى ان علمت كل شيئ بأشد الطرق بشاعرة

....(.

دموعها مدرارا على خديها، تشاركه الألم

بصمت، كل ما تفعله هو احتواء رأسه في

حضانها، تمسد على خصلات شعره القصيرة

بحنو. تمده بدعم خفي، ساكنة تنتظر

كلماته المتباعدة بصبر....(استيقظت يوما

الذكرى....(علمت كل شيئ في المدرسة

...حين تلقيت اهانات ممن كانوا أصدقائي

قبلا....استشعرت تفير الناس في معاملتي

...نظرات مريبة...كلمات جافتة...الى أن

ضاق بي الذرع من اهانات الاولاد من حولي

فضربت أحدهم...لأسمع ابشع الكلمات

يمكن لصبي أن يسمعها في حياته....)..

التفت الى منصف المصغي باهتمام، وقلق من

ارتعاد صديقه الثابت دائما، ثم قال..(والدي

العزير....لم يكتفي بخيانته والدتي مع

عاهرات المدينة.....ولم يكتفي بإنجاب ابن

حرام من احداهن.... بل تعدى الأمر الى

تورطه في تجارة السلاح... مع عصابة مطايرد

الجبل.....تصور أنت...بكر آل عيسى

...كبير مدينة الجبل والذي يفترض به حاميا

لأهل الجبل وحقوقهم.... تنكشف حقيقته

المخجلة....على انه خائن لأهل بيته و لأهل

مدينته...فكيف سيكون رد فعل الناس

؟؟...بل كيف سيكون رد فعلنا بالله

عليك؟؟...).

(كشفه أقرب اصدقائه... وأحد شركائه يا

حق.... من كان طبعه الخيانة لا يميز بين

ضحاياه... خان صديقه وهتك عرضه

.... فكشفه للناس... لم يهمه شراكته معه

.... كل ما كان يهمله الانتقام لشرف أخته

.... فسلم نفسه للشرطة ومعه كل أدلة جرائم

شريكه.... انقلبت حياتنا... وفر أعمامي الى

الخارج هربا من العار... لكنني صمدت...

تجلدت بالصبر وتحملت من أجلي عائلتي.... من

أجل أمي التي تكبدت عناء الغدر... ومن أجل

صدمته كانت ستؤدي بحياة جدي.... والأهم

من أجل شقيقي.... ما كنت لأدعها يضيعان

وسط زوبعة لا دخل لهما بها.... ومع كل

محاولتي وحربي من اجلهما.... إلا أن الأمر قد

وشم كل واحد منهما بوشم يصعب شفاؤه...).

ضرب عيسى على صدره، بقبضته يده. فوق

قلبه تحديدا يقول بألم... (الألم هنا يا

منصف لا يطاق... سواد الكره... وشعور الخزي

...صعب جدا تحملها معا... أنت محق... إنه

ينهش من احشائي بضراوة... لا أستطيع

التخلص منه... لا أستطيع... ربت منصف

على يده مهدئا يقول بهوادة....(سيهدأ

...صدقني ... الزمن كفيل بذلك ...وأنت

على اول الطريق ...).

رفعت رأسه لتنظر الى وجهه. لأول مرة في

حياتها توضع في موقف مماثل. فلم تعلم ما

الذي يجب عليها فعله؟، سوى اتباع احساسها.

لذا اقتربت من خده وقبلته بحنان تهمس

بحياء.... (الحنن يقهر القلب....وينهك القوى

...لن أدعي الشعور بما تشعر به.... لكن ما

أعلمه يقينا من خالقي ...أن الدنيا تبقى دفا

مهما حدث فيهاأيامها تتعاقب وتروح ولا

تعودولا شيئاً فيها يدوم ...والبلاء فيها

فرض على كل مؤمن ...والدنيا بنفسها برهنت

لي على ذلك ...أكبر المصائب يا ابراهيم هو

موت العبد على غير التوحيد بالله....غير

ذلكلا يجب ان يدعه المؤمن يتسلل الى

قلبه بألم مع استمراره ينقلب الى حزن غائر....

فيقتات على أحاسيسه الجميلت... الى أن

يستنزفها...ويصيبه باليأس وما دام الله

موجود فالأمل موجود ...لأن ما يغفل عنه

العبد ...ان بمجرد موته ...سينسى كل أحداث

الدنيا ويتحسر على ضياع كل لحظة فيها....

على حزن او تفكير في امور ليس بيده

تغيرها....ويتمنى العودة ليعيش في طاعة

الله فقط....).... بلع ريقه وقد غاصت جنباته

مع كلماتها في روحانية استلت فؤاده من ألمه،

بينما هي ترمقه بمقلتين رؤوفتين حنوتين،

يتعلق ندى الدموع برموشهما، مردفه بنبرتها

المنخفضة، المرتعشة بخجل....(أنت على

سبيل المثال لا تدع نعمة والدك

....تنسيك نعمة جدك السيد المهيب

...الوقور..والذي عاملكم بحنان لم تروه من

والدكمولا تنسى نعمة الأم المستعدة

لبدل الرخيص و الغالي من اجلكمكما لا

تنسى نعمة أخويك ...يقفان جوارك

...يوأزرانك...يحبانك و يحترمانكهذا

غير نعمة الصحة و المال وسلامة العقل و

الأهم من كل ذلك ...أنك تسجد لله موحدًا

اياهتلك النعمة لحالها أكبر وأهم من أي

شيء آخر).. ابتمس بإعجاب اختلط بحب

وتقدير، فاقترب من فمها يهمس بوله

... (وهناك نعمة نسيت ذكرها).... توترت

من تبدل نظراته، تتنفس بسرعة فأكمل

قبل أن يقبلها يضمها الى قلبه بقوة... (أنتِ

....حبيبتي ...).

تنفس عيسى بقوة كي يملأ رئتيه بالهواء،

ومنصف لا ينفك يكف عن

محاولاته... (استعذ بالله من الشيطانواهدأ

.... الزمن كفيل بكل شيءصدقني

..)...هم بالرد لينتفض كليهما على صياح

انثوي، أسرعاً متتبعين مصدره، ليقظا في

الحديقة الخلفية بأعين متسعة من مشهد لم

يكونا ليتخيلا رؤيته أبدا، من شدة اندهاشهما

توقفا جامدين مكانيهما، وكان منظر رواح

الممسكتة برأس نجوى تسحبه بقوة وهي

جالسة على بطن الأخيرة المسجاة على

الأرض، لا يمت للواقع بصلة.

.....

منزل أهل عزيز ...

تقوست حاجبيه بدهشة، وهو يرى اكالاته

المفضلة فابتسم قائلاً ... (ما هذه الوليمة يا

أمي؟ ... ما مناسبتها؟؟ ...). ... اقتربت منه تربت

على صدره، قائلة بسرور أصاب قلبها منذ أن

لمحت هيئة كنتها، تستبشر خيرا بأعمال

سيدها الفقيه ميلود... (بمناسبة عمل

زوجتك... أوليست مناسبة مفرحة؟!...)

رمقها بمكر يفهم هو والدته كراحة يده، او

هذا ما يظنه، يعلم أنها لا تحبها، ولا زالت تلومه

عن ترك ابنته خالته من اجل غريبة لا تعرف

عنها شيئاً. جلس مكانه بعد ان مر على والده

المسطح مرضا على السرير، يكاد لا يذكر

المكان و لا الناس من حوله. ..(بارك الله

فيك يا أميمنظره شهى ... خصوصا

الثريد...مهمم!! ..**أكلت محلية تسمى

بلهجتهم ...تقبز..وهو عبارة عن خبز التنور

اليابس مقطع الى قطع صغيرة....ويسقى

بمرق لحم بالبصل .. مع اليقطين الأحمر

والضف الحار**)... مد يده دون حتى بسملته،

وبدا في التهام طعامه المفضل. جلبت خالته

إناء تسلمته شقيقتها من بين يديها وهما

تتناظران بخبت. اخذت المزيد من المرق

تضعه في ما يليه، قائلة بمكر... (كل بني

...كثرت فيه القرع والفاصل كما تحب ...)..

التفتت الى حفصة المطرقة برأسها، بعد أن

سحبت كأس الماء تتلوى عنهم بالشرب منه،

وهي تشعر بنفور رهيب من كل ما يحدث

امامها. كرهت أولئك الناس من قلبها، لم

يسبق ان كرهت أحدا من قبل، لكنها تعلمت

الإحساس البشع على يدي زوجها وأبيها الذي

شعرت بكره نحوه هو الآخر....(لما لا

تأكلين يا حفصة...أم أن طعامنا لا يرقى الى

ذوقك الرفيع؟؟...)) بلعت جرعة الماء في

فمها تومئ بتوتر، فابتسمتا بشماتة حين هتف

زوجها بسخط أفرعها، وجعلها تلتقط الملعقة

بارتعاش تدعي الأكل... (كلي!!)...))

ضاقت انفاسه وتصيب العرق على جبينه،

فتتنفس بصعوبة وهو يرمي يسحب يده لاعقا

اياه يقول بلهات... (سلامت يداك أمي...إنه

لذيذ...))... أشارت والدته الى الطعام تضيف

له من المرق تحته... (كل ابني...كل

المزيد...))...اوأ بسلب وهو يمسد على صدره

الضائق.... (لا أمي...يكفي...شبعنا...بطني

مملوءة على آخرها...))... ابتسمت وأشارت

لأختها كي تلملم ما على الطاولة، فقام كي

يغسل يديه في الحمام. قامت هي الأخرى

لتساعدهما فأمسكت حماتها بيدها ترميها

بغضب أظهر مدى بشاعة وجهها، تهمس بغل
... (لا تلمسي شيئاً... لا تفكري أبداً بانك من
هذه العائلة... فسريراً جداً ستكونين خارجها
...)... قطبت حفصة بجهل ودهشة، انقلبت
إلى صدمة، حين صرخت شقيقة حماتها
تصيح باسم عزيز، الملقى على الأرض كجثة
خالية من الحياة.

.....
منزل آل عيسى ...

منذ ان تركت غرفة أختها، وهي عالقة بين
النسوة المتدفقة عليهم من كل حدب وصوب،

يباركون الحمل، ويعبرن عن حسدهن و
إعجابهن بالحمل المبكر دون خجل، مما
جعلها تقرأ المعوذتين طول الوقت بينها وبين
خالقها. لكن ما افسد مزاحها بالفضل، هي
نجوى التي لم تفوت عليها فرصة زيارة بيت آل
عيسى وطبعا الهدف معروف. حاولت تجنبها إلا
أنها لم تكف عن إلقاء نكات ساخرة تشير
إلى إعاقتها، وتنتقص من قدرها. ضاق بها
المكان فقامت منسحبة تتبعها نظراتها
الحارقة. لمحته وصديقه في الحديقة
الأمامية، فتسللت عائدة واتجهت إلى المطبخ

ومنه خرجت الى الحديقة الخلفية. تخلصت
وهي تحاول تدارك أنفاسها المتلاحقة تفر من
صدرها بسرعة، كما دموعها الحارة المتدفقة
على وجنتيها. ... (أنظروا من هنا؟؟... يضر
ليختبئ كالفأر المذعور... أووا تبكين
؟؟... مسكينتي!!)... أنها حديثها بتهكم،
فاستدارت إليها دون ان تكلف نفسها، عناء
مسح دموعها. رفعت راسها بكبرياء كالعادة
وقالت بجمود... (ماذا تريدن نجوى؟؟... على
فكرة.... هدفك في الحديقة الامامية...
إذهبي لتتوددي إليه... عسى أن يشفق عليك

بنظرة منه ...). زفرت نجوى بغضب تتذكر
اهماله لها حين القت عليه التحية سابقا، ولم
ينظر إليها، بل لم يبدو عليه ملاحظة أحد من
الأساس، فقالت بحقد... (الشفقة من نصيبك
عزيزتي ... وأنا متأكدة من انك تتلقينها
كل يوم في هذا البيت... أليس كذلك
؟؟)... شدت على فكها، تشعر بقلبها على
وشك الانفجار، تتساءل لما يؤلمها الأمر
بذلك الشكل، لما قلبها يحرق أحشاءها إن
فكرت في اهانتها لها هو من دون الخلق. لم
تجها وخطت متجهة الى الممر الجانبي كي

تخرج من البيت بأكمله، لكنها لحقت بها
توقفها قبل ان تصل الى نهايته، تقول بتشفي
... (إذن استسلمت للعبة الشفقة... انا لست
مصدومت .. كنت اعلم انك ستقبلين منه أي
نوع من العاطفة... حتى لو تسلى بك لبعض
الوقت... في النهاية أنت بيت وقف... من هذا
العاقل الذي سيفكر بك؟!) ... لهاثا
يرتفع مع كل كلمة تقولها الأخرى حتى
انسل منها تحكها في نفسها، وانقضت على
طرحتها تسحب رأسها بقوة. ألقى بيها على
الأرض وجذبت طرف شالها من مكان تباته،

ثم بقوة ليست لها لفته على عنقها و جلست
على بطنها، تهتف بهياج لم تعده، وكأنها
ليست هي (أنا بيت وقف! ... أنا!! ... بل
أنت الحقيرة... تتسول اهتمام الشباب
.... ابتعدي عني... لا اريد
رؤيتك... أكرهك!! ... أكرهك!! ...) لم
تشعر بنفسها إلا وهي تُبعد بقوة من علي نجوى
المزرق وجهها من قلّة الهواء. لتجد شمّة
بوجهها تهتف بصدمتها... (ستقتلينها يا رواح
.... هل جننت؟! ...) بلعت ريقها وقد بدأ
عقلها يعود الى قواعده بسلام.... (و أنتما!! ...)

ماذا كنتم تنتظران؟؟... لولا خروجي لجلب

النعناع من الحديقة... لما سمعتهما بسبب

ضجيج النساء في البيت).. اتسعت مقلتي

رواح وهي تكتشف حضوره مشهدها المخجل،

لتنسى ذلك حين قامت نجوى بمساعدة شمتة،

تسعل دون ان يمنعها ذلك من الهتاف بتوعد

.....(ايتها الحقيرة... أقسم ستدفعين ثمن ما

فعلته أيتها العرجاء !!...))... توقفت يديها

عن ترتيب مظهرها المزرى، حين تدخلت شمتة

تقول بمهادنته... (اهدئي يا ابنتيوأخفزي

صوتك...))... صاحت بغل واحتقار... (بل

سأفضحهاليعلموا من اي عائلة وضيعت

تزوجوا))... همت بالانقراض عليها من

جديد، فتدخل منصف الذي لم يتخلص من

صدمته بعد، يساعد شمتة في منع رواح على

الأخرى....(لا تذكرى عائلتي بلسانك الوسخ

... أنا من سيعلمك درسا لن تنسينه ...))...)

عيسى جامد مكانه بنفس الصدمة، عقله

يحلل كيفية ما شاهده من قبل. هذه الضئيلة

ذات الرجل الضعيفة، تتحول الى لبوة شرسة

تنقض على أعدائها دون رحمة. تحدث منصف

يقول بدهشة(اهدئا ... من فضلكمالا

يكتشفها، هو صديقه... (حقاً؟!)... لم تمهله

رواح تهتف في وجه عيسى بجمود.... (هي من

ظلمتني.... والبادئ أظلم!!).... تجاهل

عيسى نظرات منصف المتهكمت، وهو يقول

بحزم مزعوم يشير بيده اليمنى أعلى

اليسرى... (انت من اعلى الشجار.... إذن أنت

من ظلم....).... ابتسمت نجوى بتشفي ،

فتنفست رواح بشدة وخطت تقف أمامه تقول

بحزم اختلط بتهكم تحت انظار شمة القلقة،

ومنصف المترقبة.... (بما أنك تريد لعب دور

القاضي.... فمن الأفضل أن تعلم الحقيقة

يصح ما تفعلانه....).... صاحت الأخرى بسخط

تدافع... (وهل تفرق بين الصحيح والخطأ

؟؟.... تلك العرجاء....).... رمقها منصف بعتاب

يقول زاجرا... (من فضلك يا أنستة...)

تدخل عيسى أخيراً يقول بنبرة أخفى التسلية

فيها جيداً، يريد استفزازها من جديد، بعد ان

هدأت، شيئاً ما في صدره يلح عليه كي يخرج

تلك اللبوة من مخبئها... (أنستة رواح.... لما

أجهزت عليها؟؟.... تصرفك غير مسؤول

بالمرة...).... التفت إليه منصف، وقد تعرف

على نبرته المتسلية حتى إن أخفاها،

....والحاضر منذ ان قرر شقيقك الزواج بأختي

...في كفتة أخرى... لأن الأنتة المبعجلة

ولسبب ما آخر أجهله..تظن أنني ند

لها...وسأفوز بعجاب الدون جوان)

أشارت إليه بسخرية تقوس لها حاجبه الأيسر

الكث، ومنصف يكبت ضحكة لو أطلقها

لجاءت المكان حولهم. نجوى تستشيط

غضبا، ورواح تكمل بكل ثقة تتمكن من

قلبه رويدا رويدا....(حتى أنها لا تستطيع

الاعتراف بذلك...فتتهمني بتوسل الشفقة

منك.....لأحصل على أي عاطفة ... حتى لو

بكاملها....).... توترت نجوى وتململت في

وقفها، بينما عيسى يهز رأسه موافقا،

لتستطرد ببرود ساخط....(الأنسة اسمها نجوى

..... والجميع في الثانوية يعلم عن اعجابها

بك...)... شهقت نجوى بفزع والأخرى تكمل

بشماتة من ملامح عيسى المدهوشة. منصف

يضم يديه الى صدره والتسلية تزين وجهه

الباسم، اما شمة فتقبض على صدرها بنفس

فزع نجوى....(بسبب ما أنا لا أعلمه

....كرهتني منذ الصغر....تهينني بإعاقتي

في كل مناسبة....كل الماضي في كفتة

كانت تسليته....) تجمدت ملامح عيسى

حتى برزت العظمتين جانبي دقنه، كما

اختلف المرح من على ملامح منصف لتشهق

شمة بعنف تهتف بصدمته... (ماذا تقولين يا

ابنتي؟؟؟).... لم تُحد بعينيها من على مقلتي

عيسى الجامدتين، تردف بتحدي.... (أخبرتني

ذلك بالحرف.... وأضافت... لأنني بيت وقف

...ولا أحد سيلتفت الي على كل حال

...لذلك وبحسب شرعها.... يحق لك التسليته

بي... كما يحق لي الاستفادة من ذلك (...)

جمود، كل جامد مكانه، بعضهم بتوتر

والآخرين بغضب. ضمت ذراعيها الى صدرها

تقول بتهكم متوتر، زاد من ارتعاش نبرة

صوتها... (أما الآن فيمكنك الحكم.... بعد

ان علمت كل شيء... آه وبالمناسبة يمكنك

سؤال نهاد عنها وستخبرك... بعداوتنا الشهيرة

كما إعجابها بك... قاطعتها نجوى تقول

بدفاع... (لا تصدقوها انها مجنونة.... يبدو

أن الاعاقة قد اصابت ذهنها هو

(الآخر...). رمقاها منصف وشمة بامتعاض،

بينما عيسى يحاصر مقلتي رواح بتحد خفي

بينهما، ليقاطع الأخرى الهادرة بكلامها
الجراح (غادري!!).

..قطبت رواح في البداية حين ظننت أنه

يقصدها، فيلتفت الى التي يقصدها، مؤكدا
بغضب شع من ظلمتيه... (غادري!!)...

وأنصحك أن لا تذكرني ما حصل هنا في اي

مكان لأنك ستكونين الخاسرة الوحيدة

...كما أتمنى ان لا أراك مجددا ...أو حتى

أسمع عنك) ... شحبت سحنة نجوى، تغلي

من داخلها، فقد حدث ما كانت تخشاه، بدل

ان تفكر انها وقعت في شر أعمالها. حركت

مقلتيها لتغادر فأوقفها بنبرة مهددة، خطرة
... (أحذرك من التعرض لعائلي أو سمعتنا

...ورواح من عائليوالآن غادري!!)....

نظرت الى المندهشة ثم عادت ترمق عيسى

بكره، وغادرت تجر أذيال خيبتها. بلعت رواح

ريقها، تشعر بظماً رهيب تلاه وهن استولى على

أطرافها، لتكتشف أنها بدلت جهدا أكبر من

قوتها، فأسندت نفسها الى شمة التي التقطتها

بإشفاق، وهمست لها بخفوت(خذييني الى

غرفتي يا خالتي) ... رافقتها شمة تحثها

برفق، بينما منصف يزفر بعدم تصديق يقول

....(يا إلهي!!....ما كان كل هذا؟؟....)...

مسد خلف رأسه وحل العُصابتة، ليجيب بجمود

....(هناك بشر يقتاتون على إداء غيرهم...هذا

ما كان يا صديقي...)(...أوماً بأسف، ثم قرر

قلب الموقف ليرفه عن عيسى الواجم...)(لكن

رواح قويتة....لن أنسى منظرها فوق الفتاة أبدا

....)(... تقوس حاجبي منصف وعيسى ينفخ في

وجهه بسخط، ويستدير مغادرا، فيلاحق به

مسرعا ينادي...)(انتظر!!....عيسى!!...أنا امزح

يا صاح....انتظر!!...).

.....

المشفى

يقف بعيدا وهو يمسك بالهاتف يهتف بهمس

غاضب...)(أين انت يا براء؟؟...تأخرت ..)... زفر

بضجر ودس هاتفه في جيب سترته، ليعود

لمراقبته لتلك الفتاة المنكمشة على نفسها

تتنفس بهلع. فكر حتى أضناه التفكير،

فقرر مراقبة زوجها كي يعلم عنه كل

صغيرة وكبيرة قبل أن يقرر التصرف في امر

مساعدتها، لا تنفك كلماتها البائسة تدور

وتدور في سراديب عقله. انتظرهما أمام بيت

ظن انه لهما، ليتفاجأ بعد ساعتين بسيارة
اسعاف تُسعف زوجها بين نواح امرأتين حين
تقصى الأمر من الناس بعد مغادرتهم، علم
بكل ما حدث. يبدو أن عقاب الله قد سبق
قضاءه ما كان يفكر في فعله. لحق بهم الى
المشفى، وظل بعيدا يراقب الوضع.
تقف كتمثال نُحِت في مكانه، بمقلتين
متسعيتين و سحنة شاحبة، تتلاحق انفاسها
تسابق دقات قلبها، تشعر بهلع لم تشهده من
قبل. تتساءل إن كانت قد غادرتة الحياة، هل
تحررت بتلك البساطة؟، وهل تلك بالفعل

تعتبر حريتها؟. استغضرت بخفوت، تنتظر وهي
تكاد تفقد عقلها من نواح المرأتين أمامها.
انتفضتا حين هلّ عليهن الطبيب يرمقهن
بانزعاج واضح، وهي تراقبهم فاقدة التحكم
في رجليها... (ما به ابني يا دكتور؟؟؟ ...).
جعد انفه بسخط يرد بعملية لا علاقة لها
بملاحه... (المريض تعرض لتسمم قاتل
...نحن نظفنا المعدة والأمعاء... لكن القليل
منه تفشى في دمه ... يلزمه وقتا طويلا للشفاء
منه... لقد قمنا بإبلاغ الشرطة كي يحققوا
في الأمر....) ... شهقتا بفرع تتناظران فيما

بينهما بتوتر و خوف، ليقاطعهن شرطيان حدثا
الطبيب، ثم قال أحدهما يقصدهن(ما هي
اسمائكن بالكامل ...وما علاقتكن
بالمريض ؟...).تحدثت والدته أول واحدة فلم
يخفى عليه، توترها إن كانت هي أو الأخرى
بجانباها، أما المرعوبة الواقفة جانبا فقد
لفتت الأنظار بهيئتها التي اكتمل بؤسها
بصدمة أجمت لسانها حتى اقترب منها
الشرطي، يعيد سؤاله، لتجيبه بارتعاش.
دون المعلومات ثم سألهن عن الحادث، فكان
الجواب واحدا. أغمي عليه بعد ان تناول

غذاءه. هز الشرطي راسه قائلا بعملية... (هل
لديه أعداء ؟؟)... نغزتها شقيقتها تشير الى
حفصة، لتتهف ببهتان عظيم ... (هي !...)
رمقتها حفصة بعدم تصديق تتوالى عليها
المصائب، فقال الشرطي بحزم ... (ما
دليلك؟؟...) صاحت بحقد ... (منذ ان دخلت
حياة ابني لم يعيش معها يوما بسلام ... دائما
في شجار مستمر.... ألا ترى هيئتها ؟؟ ... أنا
متأكدة من انها انتقامت منه بسبب ضربه لها
...قتلت ابنيهي قتلت ابني !...) لم
تتحرك حفصة تراقبهم بصدمة، قضت على

الباقي من أعصابها، فقال الشرطي، بضجر

... (هل عندك دليل ؟... إن لم يكن

...فكأكن متهمات الى حين اثبات العكس

...)(... عبت حماتها بغل، انقلب الى رعب حين

استطرد حديثه(سترافقنا الى

المركز...الى ان ينتهي الفريق العلمي من

تفقد المكان الذي وقع فيه الحادث

...هيا!!)... هتفت بجزع ... (لكن أنا لن أترك

ابني لحاله هناانا (...)... (المريض ممنوع

من الزيارة ... تفضلن معنا بصمت ...أو اضطررنا

لجلبكن بالقوة ...).. لاحقنه باستسلام،

وحفصة تتساءل...ماذا بعد؟..

اشتر لبراء والسيد عمر حين لمحهما، ثم اسرع

اليهما قائلاً دون أن يسمح لهما بالترجل من

السيارة(لا وقت للشرحاتبعا سيارة

الشرطة تلك ...و سأقص عليكما كل شيء

حين نصل....هيا !!)... عاد الى سيارته وانطلق

خلفهم.

.....

في مكان ما

هاتف مجيد أمرا أحد العمال... (متى ستنتقلون
؟... لقد تأخر الوقت ...). ... اشار له من شاحنته
دلالة على انطلاقهم في الحال، فراقبهم الى
ان غابوا عن أنظاره، ثم استل الهاتف يدوس
على أزراره... (أجل سيد يونس ... طلباتك
ستجهز بعد أسبوع ... هذا يعني أن التنفيذ
قبل انتهاء الأسبوع ...). صمت للحظة ثم هز
رأسه يبتسم بمكر يجيب ... (اتفقنا الى
اللقاء). ... ركب سيارته وسار بها غير آبه

لمن لاحق خطواته، طوال اليوم، يهاتف

شخصا هو الآخر... (بلى يا حاج ... تفقدتها
بنفسي ... لا شيء غير قانوني ما فهمته ان
العملية المقصودة اثناء عودة الشاحنات
... اجل يا حاج ... بعد أسبوع ... لا تقلق
... هناك من يراقب الشاحنات .. وأنا لن أفارقه
الى أن تأمر بالعكس حاضر يا حاج
... وعليكم السلام...). ... رمى بالهاتف جانبا،
وركز على قيادته متباعدا بحرفية.

.....

أمام مركز الشرطة ...

انضم الى سيارة السيد عمر، وقص عليهم كل ما علم ثم أضاف ... (طلبت منك المجيء كي تقضي بجانبها فأنت فتاة ولا مشكلت في ذلك لكنك تأخرت ... وهن الآن في المركز... متهمت مع المرأتين بتسميم زوجها (... ظللهم الصمت بظله الواجم، فقال السيد عمر بحيرة... (هل تظن أنها...؟) ... نظرا اليه بعدم تقبل، فأردف مبررا... (ما أعنيه ... اننا لا نعلم شيئا عن حياتها و علاقتها

مبنى قصص من وحي الاعضاء

بزوجها ...). ... تدخلت براء تقول بثقتي (انا

لا اظنها تفعل ذلك ... لو اتصفت بالجرأة ... كانت لتقبل بعرضي ... لا ... هناك حلقتا مفقودة ...). ... أوما ياسين موافقا، فقال السيد عمر ... (على كل حال يجب أن نرسل لها محاميا ... كي يتولى الدفاع عنها ... ويخبرنا بالتفاصيل ...). ... وافقاه على ذلك وطلبوا من براء مرافقتي المحامي، بصفة صديقتي لها، دون ان يظهر في الصورة كي لا يسببا لها مشاكل إضافية.

والدها، حتى إن لم تألف منه الحماية من قبل،
تأملت فيه خيرا بعد ان يرى حالتها. توجه
اليها حين لمحها لتجمد للحظة وجيزة يتأمل
وجهها، قبل ان يسأل بسخط... (ماذا فعلت يا
وجه المصائب؟؟؟...) ... شهقت بحدة وكأنها لتو
صُدمت، ترمقه بمقلتين جاحظتين... (ظننت
أنني سأرتاح من همك بعد زواجك
... لكنك بلاء لا يبلى...). .. التففت الى التي
هتفت بشماتة... (لما بليتنا بها ؟... بما انك
تعرف عن نحسها لقد سممت ابني وأسجنها
...). .. اتسعت مقلتيه بدهشة، والتفت إليها

تململت في جلستها بتعب، تتوقع انهيارها في
اي لحظة. الجوع والعطش والتعب تمكنوا من
جسدها الضعيف، فلم تعد تستطيع تحمل
مزيديا من الصدمات. رفهت رأسها تنظر الى
مدخل المركز، تترقب وصول والدها، بعد ان
اتصلت بهم، لا تعلم لما فكرت في لحظة ان
تتصل ببراء، لكنها توسمت في والدها شيئا
من الندم، حين يرى مصيرها مع من وضع يده
في يده واتفق معه على ظلمها. انتفضت حين
لمحته والجا بملامح متغضنة، فقامت من
مكانها تنظر اليه بلهفة فتاة تتطلع الى

فأومات تنكر والدموع تنهمر على خديها

مدرارا. ظلت تنظر إليه باستجداء، أجاب عليه

بصفعة قضت على كل أمل في قلبها تجاه

الحياة بأكملها، لتقع على الأرض وللمرة

الثانية في يومها ذاك، إلا أنها لم تجد حينها

من يتلقف جسدها قبل ان يصطدم بالأرض.

بعد ثلاثة أيام

منزل المرابط

أعطتها قارورتين بين يديها تهمس بحذر

... (الفقيه يوصيك باستعمالهما اليوم أو الغد

على اكثر تقدير... إن أردت نتيجة مرضية

... كلاهما مكتوب عليه هدفه...).. أومات ثم

سألت بريبتة... (و الملابس؟؟)... أشارت بيدها

تفسر.. (استعملهم في سحر متقن... مدفون في

مكان لن يجده حتى العفريت بذات نفسه

....). ضمت شفيتها بامتعاض، ترمقها بتذبذب

لاحظته الأولى، فقالت تحثها... (فقط افعلي

كما اخبرتك ...حاولي اطعامهم من الخلطة

....ولا تقلقي ...). هزت رأسها وأشارت لها

بالانصراف، لتلتفت الى والدتها القائلة

بتوجس... (كيف ستطعمينهم منها ؟...)،

زمت شفيتها تفكيرا، ثم قالت ... (سأذهب

لزيارتهم محملة ببعض أطعمتهم المفضلة

...ابراهيم أعلم أنه يحب خبز التنور بالبصل و

الزيتونأما شقيقه فيحب التلبينة**حساء

الشعير بنخالته**.....سأصبر للغد كي أحمله

اليهم باكرا و يفطروا به). رمتها ببعض

الارتباك تسأل....(وماذا عن الحامل؟؟... ربما

قد يجهضها ..ابنتي...). قامت صباح من

مكانها بعنف تهتف بعدم تبات ... (أمي !...)

يجب أن تأكل منها ... ثم إن هذا الشيء قليل

.... لا اظنه سيؤثر على صحتها ...أريد لهم ان

يفترقا فقط ...لن يتأذيا جسديا على

الأقل...). زفرت نعيمة تهز رأسها، بعدم يقين.

فسألتها صباح وهي تتفقد وجهها في المرأة،

تتلمس على السواد تحت مقلتيها (أين سافر

أبي ؟...). ضمت شفيتها ترد بسخط ... (لا

أدري ... لم يخبرني.... اشعر أنه يخطط لأمر

ما هو وجدك ...).التفتت إليها مستفسرة

بريبتة .. (مثل ماذا ؟؟...) ..هزت كتفيها

بخفتة، ترد ... (لا أعلم ... لكنني سأعلم حين

يعود ...). ... عادت تنظر الى المرأة، تمسد تحت

مقلتيها بكريم ما، تقول بفتور (لا أحد

يعجبني حاله في هذا البيت مؤخرا أشعر

بالجميع مشغول بأمر ما حتى الغبي مجيد

... على أعصابه طوال الوقت ...).

.....

المشفى

تحركت الممرضة بخفتة، تتفقد مؤشراته

الحيوية، وهي تتحدث برقة تخص بها مرضاها

... (الحمد لله على سلامتكم انت في طور

الشفاء يا عزيز ...). لم تلق ردا لحديثها،

لكنها أكملت رغم ذلك ... (ستقوم منها

بإذن الله ... لكن يجب ان تتحلى

بالإرادة....). .. صمتت حين فُتح الباب لتلمح

زميلتها و صديقتها الصدوقية، تهمس

بمزاج... (ألن تكفي عن عادتك هذه ؟؟) ...

سحبته منصرفتين تقول بعتاب... (كم من
مرة اخبرتك ان تراعي حالة المرضى وتبعدي
عن السلبية... إنه يسمعك... ويشعر بك
....) ... ضمت شفيتها بسخط ترد... (الموضوع
بالفعل مستفز... كيف لأمر أن تسم ابنها...
ثم تنهم كبتها؟؟...). ... ابتسمت الأولى
بوجوم ترد... (من أخطاء النساء القاتلة
....) ... ثم سألت... (ألم تعلمي شيئاً عن زوجته
؟).... أوامات تقول باستغراب... (عبد العالي
أخبرني.... أنها اتفقت مع المفتش المسؤول
عن اخفاء مكان اقامتها... بعد أن أفرجوا

أوامات تقول باسمته... (إنها طريقة جيدة... في
مساعدة المرضى على التحلي بالأمل وبالتالي
الشفاء بسرعة...). ... نظرت صديقتها الى
الرجل المسطح على السرير، لا يؤتيبأدنى
حركة، فقط يفتح مقلتيه أو يغلقهما، كل ما
يدل على حياته تلاحق انفاسه بانتظام.
جسده ينحف كل يوم عن الآخر، وهم
يحاولون تنظيف دمه من السم القاتل يستنزف
الحياة من بدنه كل لحظة، ثم قالت
باشفاق... (مسكين.... من كان ليصدق... أم
تسم ابنها...). ... زجرتها بنظرة حادة، ثم

عنها اختفت ... والدها يبحث عنها دون جدوى

(... هزت صديقتها رأسها تقول بنفس

الاستغراب ... (غريب!!) ... لكنني متأكدة من

طيبته قلبها ... فهي لم تتخلى عن علاج زوجها

... تبعت من يتابع حالته ويدفع حساب المشفى

أولا بأول ...). تحدثت الأخرى وهما تلجان

استراحة الممرضات ... (كذلك قال عبد

العالي ... وهم الآن يحبسون حماتها و شقيقتها

الى ان تتم محاكمتها ... مع انه كان بقصد

السحر كما تبين لهم في التحليل بالمعمل

الجنائي ... وباعتراف المعنيتين بنفسهما

لكنه في القانون يعتبر تسميما وبالتالي

محاولة قتل ... كل يقع في شر أعماله ...).

قالت صديقتها بحنق ... (يا ليتهم يقبضون

على الدجال الحقير ... أصل المصائب ...).

جعدت انفها تجيب بقرف ... (عبد العالي

أخبرني انهما تتكتمان على اسمه ... ويدعيان

عدم معرفته ... بصفة شخصية ... كاذبتان

(... زفرت الأولى تهتف بامتعاض ... (لا

بارك الله في أمثالهم ... يتمتعون بأذيت

الناس ...). (عبد العالي قال

(... (ارحميني يا فتاة!! ... عبد العالي قال

...عبد العالی قال !!.....علمنا انه مساعد

مفتش وذو شأنیا ربی متی ستزوجان

لأرتاح أنا من موال عبد العالی سوی وفعل!!

...)... قلبت شفתיها بعبوس وصمتت، فاقتربت

منها تضمها قائلة بأسف مازح ... (أمزح أنا

...ألا تعرفینني؟؟.....أنت بمثابة أخت صغری

لی...وعزیزة علی قلبی سرع الله فی

جمعكما وبارک علیكما یا حبیبتی)

اختفی العبوس بسرعتی، تقبلها علی خدها،

وتقول بمرح ... (أعلم حبیبتی لکن من

اختک الصغری هذه؟؟...من یرانا یظننا من

نفس العمر ... لازلت صغیرة حبیبتی ...)

هزت رأسها تبتسم بحزن سریعًا ما نفضته عنها

تقول بمکر، جعل الأخری تتقد بحماس کی

تجیب (ها؟؟؟؟... ما أخبارک مع عبد العالی

؟؟...).

.....

مصنع المرابط ...

سلمه باقی الملفات، فنظر إلیه مرة أخرى یهم

بفتح فمه، فیقظه، فی محاولات فاشلة

للتحدث. لیرحمه السید عمر قائلاً بنبرة

غامضة... (لقد یئسنا من إخراج الفتاة

المسكينت من حالة الانهيار التي أصابتها...
كلنا نحاول معها... أنا زوجتي... حتى براء
بصخبها لم تصل معها لنتيجة... (.... وجمت
ملامحه يقول بجمود ..(ما مرت به صعب جدا
يا عمر... (.... او ما الأخير قاتلا وهو يستقيم
واقفا... (أجل.... براء لديها مزيد من الخطط
.... سنظل نحاول معها الى أن نصل الى
نتيجة... (.... هز ياسين رأسه بتفهم، فاستأذن
الآخر وانصرف. تنهد بعمق وهو يرخي رأسه ثم
اهدابه، ليرحل الخيال الى ذكرى قريبة،
حين هوت على الأرض بسبب صفعته لا يظن

أنها ستنساها أبدا، إن كان هو لن يفعل. كان
على المدخل حينها برفقتا السيد عمر وابنته،
في انتظار المحامي، حين هم بالركض
تجاهها، غير ان الذي بجانبه، منعه من فعل
متهور لو كان قد مضى فيه، لكان أضاف الى
جحيمها نارا. استعلموا عن الرجل الذي صفعها
ليتفاجأ من كونه والدها، ففهم اخيرا
كلماتها البائسة... *أنا يتيمتة أبوين على قيد
الحياة*... عُدمت السند في حياتها، فلا أب
راعى ولا زوج اهتم، فكيف لا يصيبها انهيار
عصبي. نقر على خشب مكتبه، متهربا من

فكره الذي ألح عليه بسؤال لم يلقى له

جواب، أو بالأحرى لا يريد ان يجد له جواب،

ما الذي يجعله مهتم الى تلك الدرجة؟ يكاد

لا ينساها، تشغل باله طوال الوقت، حتى انه

تفاجأ حين التقى بصباح، في المصنع

ليكتشف أنه لم يتذكرها منذ ما حدث مع

حفصة ولا لمرّة واحدة. استغرب بشدة كيف

لعاطفة عذبته لسنوات أن تختفي في أيام؟.

فلم يراها بنفس النظرة، ولم تتحمس أطرافه

كعاداته جوارها. بل تجاوز الأمر أن تذكر

وجه الأخرى بحزنه ووهنه، فنسي حتى أمر

وجود صباح معه في نفس المكان. ضرب علي

مكتبه براحة يده بدل اصبعه، ثم استعاذ

بالله من الشيطان، والتفت الى عمله، مؤجلاً

التفسير الى وقت لاحق.

.....

منزل عمر الرزقي ...

ضمت والدتها من الخلف تقول باسمته بشقاوة

... (ماما حبيبتي !! أين الحليب بالشوكولا

؟... تعلمين انني لا أحب الشاي ...)... أخضت

السيدة امينّة بسمتها الرائقة. امرأة في

ضربتها بخفة على رأسها تقول بيأس من
تصرفاتها... (ومن قال أنني صغيرة ... الحمد لله
أنا أحب مراحل حياتي فكل سن رونقه
... قليل الضنن فقط من يتشبت بماض لم يعد
له...)... قلبت براء مقلتها تقول باستسلام
... (ماما حبيبتي ... أعلم انني لن أغلبك في
حوار ... أرجوك ماما ... أحضري الحليب الى
غرفة حفصة ... سأسبقك وأحاول معها من
جديد ...)... رقت مقلتي السيدة أمينة تقول
بشفقة ... (إنه جاهز خديه معك ..).. أوامات
براء تفسر ... (لن تتقبله مني لكن أنت

منتصف الأربعين ، متوسطة القامة والوزن ،
تتصف بملامح بشوشة ، ومقلتين زرقاوتين
اورثتهما لابنتها. تدعي الحزم زاجرة ... (براء
... أنت في السادس و العشرين لست صغيرة
... فكفي عن تصرفات الصغار ...)... عبست
براء بطفوليتها ، تدعي الحزن هي الأخرى .. (هل
اصبح الحليب بالشوكولا للصغار فقط؟ ...)...
غلبتها بسمتها تقول بعتاب حاني ... (تعلمين
قصدي جيدا ...)... تحول الحزن المزعوم ، الى
مرح تقول بمكر ... (من مصاحبتك أن أبقى
صغيرة كي تبقي انت صغيرة ...)...

وأبي... لديها نقطة ضعف ما تجاهكما....)...
هزت رأسها بتفهم، فانصرفت براء، بينما هي
استدارت تفكر في الفتاة المسكينة، منذ ان
أحضرها زوجها وابنتها، في حالة يرثى لها،
أشفقت عليها و لهف قلبها على مصابها و قلت
حيلتها، ترى فيها ابنتها وإن كانت حفصة
أصغر. ابتسمت بوجودهم تهمس لنفسها... (لو
تمنيت بقاءك صغيرة يا ابنتي لن يكون من
أجلي... بل من اجل أن تبقي في حضني... ولا
تواجهي صعاب الحياة... لكن الله موجود
...أستغفر الله العظيم...)

دقت على الباب بسرعة واقتحمت الغرفة
بصخب كعادتها، لتجدها متسحطة على
السرير مدثرة نفسها بالغطاء، غير عابئة
بالحر، مما اضطرهم لتشغيل المكيف من
أجل راحتها. ارتمت بجانبها تهتف وهي تسحبها
اليها بعبث، بدأت حفصة بتقبله، بل و حبه
هناك في نقطة بعيدة وسط قلبها المكور.
... (هيا يا كسولتة... قومي احتاج اليك
... هيا!! (...).. تحركت بكأبة امتدت حتى
شملت اطرافها، واعتدلت ترمقها بملامح فارغة
من أي شعور... (أول حلقة من برنامجي

الإذاعي... سأقدمها بعد ثلاثة أيام فقط

...وأريد مساعدتك في ما تبقى من استعدادات

(... رفعت كفاها تمسداً على جبهتها، بصمت

فأكملت براء... (انت خير من سيساعدني في

أول موضوع للنقاش... ما رأيك؟؟... رمقتها

بوجود صامت، لا تجد في نفسها الجهد حتى

للنطق، يظنون أن الأمر بيدها، إنها هوة شعرت

بيها تزحف إليها شيئاً فشيئاً، حتى التهمتتها

برويتة، والجميع يراقب، عائلتها، زوجها، هي.

تشعر أنها في بطن تلك الهوة، بعيدة عن

الواقع. يتملكها وهن رهيب، ثقيل يشل

أطرافها وتفكيرها، لا تجد في نفسها ذرة

نشاط، أو أمل لأي شيء في حياتها. تدخلت

السيدة امينتا الوالجة، بين يديها صينية

عليها كأس حليب بالشوكولا، وكعك

سادة... (طبعاً ستساعدك... حفصة حبيبة

قلبي... طيبة ولن تردك أبدا...).. قامت براء

تحمل كأسها مع كعكة، ثم جلست والدتها

جوار حفصة، ووضعت الصينية على حجرها.

قبلت خدها بحنو، ثم أخذت كعكة

غمستها في الحليب، ورفعتها الى فمها تردف

برجاء... (أليس كذلك ابنتي؟؟)... فتحت

حفصت فمها ودموع ساخنة، تتدحرج على

خديها. تنهدت السيدة أمينة بعتاب، ومسحت

دموعها تقول برقة... (لما الدموع يا ابنتي؟؟

.... كفاك بكاء.... أنت فتاة مؤمنة.... و

الدليل أن مع كل ما أصابك... لم تنسي

فرائضك...).. استأنفت اطعامها بيدها، فقد

فهمت هي وزوجها أنها فاقدة لحنان ابوين لا

يُمَتَّان للأبوة بصلتها، وبشكل ما تضعف أمام أي

عطف أبوي يُقدم لها، لذا قررا استغلال ذلك

من أجل مصلحتها. تحدثت براء المراقبة بعين

عملية تدرس الحالة أمامها... (أرجوك حفصت

انا احتاج اليك.... فأنت عشت الحالة و

تستطيعين افادتي كي أساعد غيرك...)

نظرت إليها حفصت بحيرة، فأكملت براء تفسر

بحماس... (أول موضوع سأطرحه للنقاش... هو

الزوجات المعنفات.... وسبب صمتهن على

الظلم...). ضيقت السيدة أمينة مقلتيها

بتوجس، تخشى من ردة فعل عكسية، إلا أنها

فاجأتهما حين نطقت لأول مرة، منذ ان

استيقظت من انهيارها بعد صفعته والدها

الصادمة. تقول بنبرة ترتعش من الحزن واليأس

... (الأصح أن تناقشي.... العنف ضد الأبناء...

حينها ستجدين السبب الأساسي... للاستسلام
والصمت على الظلم كيف ما كان...
عادت تذرف دموعا حارة، وبراء تناظر والدتها
باشفاق، فاقتربت السيدة أمينة تضم حفصة
المستسلمة، الى صدرها تقول بحنو... (ابكي
بنيتي ابكي هذه آخر مرة سأسمح
لك فيها بالبكاء لأنك بعدها ستنفضين
عنك الضعف واليأس ستعودين الى عمالك
وتبنين نفسك بنفسك ... أنا أحببتك جدا
منذ أن رايتك اول مرة ... واطمني لو حصلت
على شقيقة لبراء مثلك ... تكون قلبا حنوناً

على وزوجي وعلى أختها... فهل تقبلين ان
تكوني أنت؟...)... نظرت اليها حفصة
بدهشة، فأومات مؤكدة تستطرد
بحزم.... (أنت نعمت الابنة يا حفصة ونحن
سنكون سندك بعد الله في الحياة
... نعاملك كبراء ... نحميك و نقف معك
ضد أي شخص يحاول التعدي عليك أنت
لازلت صغيرة ... والحياة أمامك ستشفين يا
حفصة وتنسين ... الزمن كفيل بذلك يا
ابنتي ... لكن الإرادة يجب أن تنبع من هنا
...)... وضعت كفها على موضع قلب حفصة،

صباح اليوم التالي

منزل آل عيسى

تسللت رواح بخفتة تختبئ، وجهتها المطبخ. لا تريد لقاء عيسى او منصف، تشعر بالخجل من فعلتها، فأصبحت تتخفى منذ ذلك اليوم، وقد نجحت في ذلك. لا تصدق ما فعلته يومها، مع أنها تشعر برضى غريب، وراحة نفسية عجيبة. لكنها لا تستطيع انكار شيئ من الندم تجاه من كانت عدوتها اللدودة. يهتف لها ضميرها، انها لم تكن يوما منتقمة أو ممن يأخذون

وهي تردف بتشجيع... (هل تريدن الشفاء يا

حفصة؟؟...هل تريدن بناء حياة لا علاقة

لها بما سبق؟؟...اخبريني ابنتي (...).. اومات

تنتحب بصمت، فضمت السيدة امينتا وجهها،

تقول بحنو فيه من الحزم ما يكفي... (اذن

كفي عن البكاء... وتجلدي بالقوة... كي

تقومي من جديد.... ابحتي داخلك حبيبتي

....ستجدينها.... واول الطريق ان تناقشي مع

براء كل ما يهم حول مصابك.... حين تلقين

بذلك الى خارجك.... ستكون البدايت

لطريق كله أمل و مستقبل مشرق....)..

جهاز الطعام إذن؟؟... هز كتفيه يقول
بإهمال... (الله اعلم... قد يكن جهّزته قبل
الرحيل... أو أمي فعلت....) ... أومات بتفهم،
وبدأت بتجهيز الأطباق. اقترب منها فتوترت،
يقول وهو يمد يده الى الخبز الساخن يقطع
طرفا منه... (أردت الاطمئنان عليك
.... لكنك اختفيت... ولا يصح أن أقصد
غرفتك...). دس الخبز في فمه يلكه
بتمهل، بينما يحاصرها بنظراته المظلمة،
فقالته بنبرة زاد ارتعاشها... (بخير.... الحمد
لله). ... لاح اشمئزاز على ملامح وجهه، فقطبت

حقهم بأيديهم. رفعت رأسها تزجر نفسها
هامسة لضميرها... (هي من تعدت علي.... وانا
دافعت عن نفسي).... (أنظروا من قرر الظهور
أخيرا....) ... شهقت بفرع واستدارت، لتجده
على مدخل المطبخ يرمقها بنظرة ساخرة
مشبعة بمكر، بللت شفثيها وقالت بارتباك
.... (أين شمته ونهاد؟؟... قرر مجاراتها كي
لا تفر منه، لتختبئ مرة اخرى، جزء منه اعتاد
عليها ويشتاق اليها... (أمي... منحتهما عطلة
اليوم...). ... قطبت رواح ترمق الخبز الجاهز،
مع باقي طعام الفطور تسأل بدهشة... (من

بريبتة، ليقول بقرف(مذاق هذا الخبز
متغير.... ليس النوع الذي تصنعه خالته شمة
... بلعه على مضض، ورواح تمد يدها هي
الأخرى كي تتذوقه... (حقاً؟؟؟) ... سألت،
فأوماً مؤكداً يرفع الخبز الى انفه مستنشقا،
ليقول بيقين....(هذا بالتأكيد ليس خبز
الخالته شمة ... بلعت رواح اللقمة الصغيرة،
لا تشعر بشيء سوى رائحة البصل و الزيتون،
ترد بتلقائية ... (لا أعلم ... إنه خبز بالبصل
والزيتونأختي وزوجها سيفرحان به جدا
...) ابتسم حين تذكر قولها السابق عن

شقيقه، فاحمرت بخجل تعلم في ما يفكر.
أخذت الأطباق وفرت كي ترتب مائدة الفطور،
لأن شمة ونهاد غائبتين فتطوعت بدلا منهما.
اتسعت بسمته وأخذ قطعة أخرى كي
يتأكد، لاكلها بقرف واضح كما بلعها،
ليقول باشمئزاز... (ليس خبز الخالته شمة
....مقرف!! ..) ... ثم أخذ باقي الأطباق ولحق
بها يعرج مثلها بسبب رجله المكسورة، التي
بدأت بالفعل تتماثل للشفاء. توترت من
ملاحظته لها بين المبطخ وغرفة الجلوس،
لتنفس الصعداء حين لمحت الحاج ابراهيم

أول من يلج الغرفة من خلفه اسماعيل. قبلت
يد الأول فتمتمه... (رضي الله عنك ..) ... ثم
اومات لإسماعيل، فتوقفت فجأة تشعر بنغزات
في معدتها، تلتها دوخت. امسكت برأسها،
فسأل منصف الوالج الى الغرفة
بريبتة.... (آنست رواح ما بك؟؟؟...) ...تشوش
نظرها بفعل الدوخت، فلم تجب ليقوم
اسماعيل و الحاج اليهما، يرمقان الفتاة
المستندة على الجدار بقلق، فاستدار منصف
مسرعا يهتف ... (سأحضر الماء). ... سحبها
الجد من ذراعها، ليجلسها فانتفضوا جميعا على

صياح منصف (اسماعيل عيسى غائب
عن الوعي لا يجيب.....) ... أسرعوا الى
المطبخ، لتتسع مقالهم بفزع، فسحب اسماعيل
الهاتف من سترته يطلب الإسعاف... (ماذا
حدث؟؟؟) ... كان ذاك صوت إبراهيم
المصدوم هو الآخر، من خلفه والدته التي
صرخت برعب على ابنها، وحق ترمقهم بنفس
صدمتهم. انحنى ابراهيم يحمله قائلا بحزم
.... (ساعدني ابراهيم لن ننتظر الاسعاف
.... هيا!!) ... هز راسه موافقا، وخرجوا به من
المطبخ ليهتف منصف حين تذكر (لقد

نسينا رواح....) ... شهقت حق تهمس

بخوف... (رواح ما بها؟؟) ... أشار اسماعيل

لشقيقه كي يتوجها بالذي يحملانه الى

غرفة الجلوس (أي ما أصاب عيسى ... فرواح

مصابتة به هي الأخرى... تغال لنسألها ماذا

حدث؟؟ ... ان لم يفهم عليها هي الأخرى..) ...

وضعه على الأريكة، بينما حق تتفقد أختها

المرتخية تترنح بدوار. اقترب اسماعيل يسأل

بجدية ... (رواح !..... انتبهي أرجوك ... رواح

!.... ماذا حدث منذ أن استيقظت ؟... هل أكلت

شيئاً ؟؟ ... أم لمست شيئاً ما غريب ...؟؟) ...

ضمت حق وجه أختها، بين كفيها ترمقها

بعينين دامعتين خائفتين. فصفق ابراهيم

الذي ترك شقيقه مع والدته المنتحبة، أمام

وجهها، يهتف بنبرة مرتفعة كي يلفت

انتباهها ... (رواح !!... ركزي!!) ... هل أكلتما

شيئاً ما؟؟ ... فتحت عينيها تحاول التميز،

ونطقت بوهن و عدم توازن (ال... خبز

.... عيسى قال الخ.... بز ليس خبز

.... الخا.... لت.... الخ.... بز....) ... جحظت مقلتي

إيجتة، فاستدار اسماعيل يقول... (انه الخبز

.... احضره منصف أسرع) ... ركض

مذاقه قليلا.... ليس أكثر)... قاطعهم الجد

يهتف بجديته.... (لا وقت لهذا الحديث

الآن.... يجب أن نسعهما....أسرعوا!!)....

حمل ابراهيم واسماعيل شقيقهما، وأسندت

حق أختها يساعدها الحاج ابراهيم. وقبل ان

يخرجوا همس اسماعيل بشيء ما في اذن

منصف، ليومئ الأخير بطاعته.

.....

بعد ساعات أمام المستعجلات....

تجلس على احد كراسي الانتظار، عقلا لا

يهدأ من التحديق بها في سماء الشك. هل فعلا

منصف، بينما هو يردد قاصدا أمه....(من أين

أحضرت الخبز يا أمي؟؟....فالخالته شمتة ليست

هنا.....).... ارتبكت وتوترت، فردت بكذب

... (انا خبزته.... ليس الخبز ما فعل هذا انا

متأكدة....).... عاد منصف بالخبز، وجذبه

اسماعيل من بين يديه يشمه، فقال بنفس

قرف عيسى.... (هذا ليس خبز بيتنا.... فيه

رائحة ما...).... قربه ابراهيم من أنه فأوماً

مؤكدًا، ونظر الى أمه التي هتفت تضيف

بكذب....(كل ما فعلته انني أضفت توابل

جديدة....من عند العطار....لذلك تغير

نبرتها، وهي تسأل عن سبب حديثها... (نحن في

المشفى يا صباح... ابني عيسى و تلك الفتاة

ابنة ميمونة... اكلا من الخبز... وأغمي

عليهما...)... عبت تقول بتهديد، بعد ان

انصتت لدفاعها المرتبك.... (أقسم يا صباح

... لو تأكدت من غدرك... ستدفعين الثمن

غاليا... احمدي ربك ان لا أحد يعلم بأن

الخبز أنت من أحضرته... أحذرك يا صباح إن

كنت السبب في ما حدث... لن اتردد

بإخبارهم... وداعا...).... استقامت واقضت حين

خرجت حق تسند اختها التي تحسن حالها،

الخبز الذي احضرته صباح هو السبب؟ أم أنها

محقة ولا علاقة للخبز بما حدث لعيسى

والفتاة. تتساءل في سرها عن مصالحة صباح في

أذية عائلتها، فهي لطالما ساعدتها، وأزرتها في

محنها. تافقت حولها لتجد ولديها منهمكان

في التحدث، بعد أن عاد اسماعيل من مكان

تجهله، ومنصف يجلس بجانب حماها. سحبت

الهاتف وطلبت رقم صباح، ثم تحدثت بهمس

... (مرحبا صباح.... اخبريني صباح ماذا

وضعت في الخبز الذي ارسلته لنا؟؟

....).... ضمت ما بين حاجبيها حين شعرت بتوتر

بحل الموضوع بشكل سري....لما سمحت
بخرق القوانين..).. بلعت الحاجة إيجت ريقها
بخوف، بينما تولى ابراهيم أمر شكر الطبيب،
بعدها انها الاجراءات وعادوا الى بيتهم.
اول ما فله اسماعيل هو التخلص من كل
الطعام في المطبخ، واتصل بالخالتة شمتة
يخبرها بمرض عيسى دون ذكر سببه، فذلك
كفيل بإعادتها بسرعة.
توجه الى والدته وحاول استدراجها في
الحديث، فهو على يقين من وجود حلقة
مفقودة، ووالدته أبدا ليست طبيعية، يئس من

ومن خلفهما الطبيب، يقول حين التفت العائلة
حوله..(الآنسة بخير...تعرضت لتسمم طفيف
...أثر على معدتها لكن الحمد لله لم يكن
بكمية كافية.... كي يصل الى الدم
...عيسى نفس الشيء.... إلا ان الكمية اكبر
بقليل من الآنسة...لذا قمنا بعملية غسيل
للمعدة....سيكون بخير بإذن الله
...ويمكنكم اصطحابه الى البيت....)
تجمدت ملامحهم، والطبيب يستطرد بجديته
... (في حالات مماثلة نقوم بإبلاغ الشرطة....
لولا الدكتور أمين....والمفتش طارق تعهدا

الله والموت علينا حقلذا ...أنا أوصيك
خيـرا بالعائلة...إن شاء القدر أن أسبقكم الى
دار الآخرة... ربت على كفه بيده الحرة
قائلا بوجوم... (لما هذا الحديث في هذا
الوقت بالذات؟؟؟...)... تنفس بعمق ثم قال
... (لا أعلم... ربما ما حدث في الجبل... او ما
حدث الآن مع عيسى... أشعر بالموت قريب
...يحوم حولنا...وقد يخطف أي منا في ايتـ
لحظة... إنه فرض ينتظرنا... لا مفر لنا منه
...لذا من الأفضل لو يتوخي الانسان الحذرو
يترك وصاياه...ووصيتي لك يا أخي...هي

نكرانها، وهروبها الى غرفة عيسى، تضمه الى
حضانها برعب أضاف الى ريبته الكثير.
تركها وعاد الى الشرفة، ليجد فيها ابراهيم
جالسا مستغرقا هو الآخر في سهوه المبالغ فيه
مؤخرا... (لا تقلق أخي... كل شيء سيكون
بخير... كيف هي رواح؟؟!).. هز رأسه ثم أشار
له كي يجلس بجانبه، قائلا.... (بخير...حق
معها...تعال...). لبي دعوته ليفاجأ به
يمسك يده يشد عليها قائلا بجديته... (أريد
ان اوصيك يا اسماعيل...). رمقه بقلق
مريب، بينما هو يردف بغموض... (الأعمار بيد

العائلة... أعلم أنك على قدر المسؤولية

(....) او ما إسماعيل وقد لمعت مقلتيه من

تحت نظارته الطبية، يقول.. (أطال الله في

عمرك يا أخي الموت حق كما تقول

... لكن الأمل في الله لا ينقطع أرجوك

أخي ... اعطني بنفسك ولا أريد سماع هذا

الحديث منك مرة أخرى ...)

ابتسم بحزن يربت على يده، ثم قال

ببرود.... (بعثت بالعينتة لطارق؟) .. هز رأسه

وتنهذ قائلاً.... (أجل ... النتيجة بعد يومين

(... تحداث ابراهيم بجديتة واجمته... (إن صح

ما ن فكر فيه سيتحتم علينا القيام

بموقف صارم تجاه الأمر....) ... أجا به

مؤكداً بجديتة ... (أجل ... موقف ... جداً صارم

...)

.....

في غرفة عيسى ...

تنفس منصف الصعداء، وزفر في وجه صديقه

قائلاً بمرح، بعد ان غادرت إيجتة (اخفتني

يا صاح ... ما بك والحوادث؟ ... كزوجتة

أخيگ ... مع أن أختها.... من آنسك في

الأقل...)... أوماً اسدل جفنيه، يقول بوجود
... (سأنام قليلاً.... أشعر بالتعب...)... ربت على
كتفه، وخرج من غرفة صديقه وقد اختفى
المرح من على وجهه، يسحب الهاتف ويحدث
أقرب انسان الى قلبه، من يحكي له عما
يظنيه، عنوان امانه في دنياه.... (مرحبا أبي
.... اشتقت اليك.... أجل أبي أنا حزين بل
غاضب... أجل من أجل صديقي... أنت دائماً ما
تفهمني ... طبعاً سأخبرك....).

.....

مصابك هذه المرة...)... تلاعب بحاجبيه
الشقراوين، فابتسم عيسى بوهن، ليستطرد
منصف مستظرف... (ماذا كنت تفعل في
المطبخ باكراً على فكرة؟.... أنت و الأنت
المختفية منذ ذلك المشهد.... ال...).. بتر
حديثه يضحك من عبوسه، ثم
استطرد... (حسناً.... آسف.... آسف... سأفضل
فمي...).. زم شفتيه دلالة على صمته، فسأل
بخفوت... (كيف هي؟؟).. قطب يدعي الجهل
... (من هي؟؟).. زفر عيسى بضجر، فأردف
ضاحكاً... (بخير... أفضل منك على

بعد يومين

خطى طارق يخرج من المركز الى وجهته،
بعد أن تأكد على سير العملية المهمة. أهم
عملية في حياته المهنية الى يومه ذاك.
أشعل محرك سيارته، لينطلق المذياع بشكل
آلي، وصدحت نبرة تعرفت عليها نفسه، لكن
عقله لم يسعفه في تذكرها، تتحدث بثقة و
قوة... (في ختام أول حلقة من البرنامج
اليومي ... * موضوع للنقاش * ...أبعث رسالت
لكل أب ...وكل أمأنتما تتحملان

مسؤولية أبنائكم ...أمام الله ...أمام المجتمع

...وأمام أبنائكم أنفسهم... ولا تنسوا ان ما
تزرعونه فيهم وأنتم شبابستحصدونه
وأنتم شيوخفاتقوا الله في أولادكم
....كي يتقوه هم فيكم). جعد دقنه
بإعجاب تحول لريبتة، ثم لصدمة بعدها
غضب، وهي تسترسل في ختام حلقتها
... (موضوعنا غدا بإذن الله ...جدا مهم
....سنلقي الضوء على حادث الجبل
الأبيض...كثرت الأقاويل و الظنونحاولت
لقاء المفتش المسؤول فكانت النتيجة

...الإهانة والطرده من مركز المدينة

....سننتظر مكالماتكم...أراءكم تهمنا

....فأنتم الجبل....والجبل انتم....معكم براء

الرزقي...من قلب مدينة الجبل....تحياتي

لكم مستمعينا الكرام....والى لقاء قريب

بإذن الله (...)... داس على مكابح سيارته

بعنف، يهتف بغضب برزت له عروق جبهته

... (أيتها ال.....)....

.....

منزل آل عيسى

توجهت الى المطبخ باكرا، بعد ليلة اخرى

من السهد، لا تنفك تفكر بما حدث، تريد

اثبات لتتأكد من غدر صباح. ساعدت شمت

المستغربة، في تحضير الفطور بصمت غريب

عليها، ثم حضرت المائدة. همت شمت

بالتحدث بعدما فاض بها الكيل من موقفها

الغريب، لكنها أجبرت على الصمت حين

انتفضتا على صياح اسماعيل الغاضب، الذي من

الظاهر أنه لم يكن في غرفته نائما. يلوح

بأوراق في يده....(السحريا

أمي؟؟...السحر؟؟...يا إلهي كنت ستقتلين

اولادك....بسبب تفاهات النساء؟؟..)

....شهقت والدته بصدمته، والجميع يلتفون

حولهم باستثناء ابراهيم الغائب....(اسماعيل

...لما تصيح هكذا بني؟؟)...سأل الجد

بحيرة ممتزجة بدهشة، فإسماعيل أكثر

اخوته هدوء، وغضبه نادريكاد ينعدم. سلمه

الأوراق، ثم تقدم أمام أمه الجامدة مكانها

يستطرد....(تحليل المعمل الجنائي...اظهر

وجود مادة سامته في الخبز...مكونته من مخ

ضبع...وزئبق ومواد أخرى...تأكسدت بفعل

الحرارة..فأصبحت سما قاتلا....)... اتسعت

مقلهم بعدم تصديق، فرفع وجه والدته

المطرق، يقول بألم....(تلك المواد معروفة يا

أمي....تستعمل في الشعوذة...وأنت قلت

بلسانك...انك من خبز العجين...ومن أضاف

التوابل الجديدة....لما يا أمي؟؟...لما سلمت

نفسك لشیطان؟...هل تعلمين ماذا كان

سيحدث لو أكلنا من الخبز كما ألفنا؟؟....

كنا سنموت...يا أمي...سنموت...من اجل

ماذا؟؟....غيرة نساء تافهته...)..هزت إيجته

راسها تنكر مرارا وهي تبكي بدموع حارقتة،

كانت ستقتل أبناءها بل كل عائلتها بنفسها،
أجل فهي من فتحت الأبواب للغريب، كي يلهو
بهم و بحياتهم. ...أمسك عيسى برأسه غير
مصدق، وروح ترمقه بإشفاق لا تصدق ما
تسمعه هي الأخرى. فتقدم الحاج يسأل بغضب
اسود له وجهه... (من أين أحضرت تلك
الخلطة؟... من هذا الدجال... الذي بعث
دينك و نفسك للشيطان من أجله؟؟...
وجلبت علينا هذه المصيبة؟؟... تحدثي!!
...أو أقسم أن أبلغ عنك الشرطة تماما كما
فعلت بزواجك القدر.... فأحضادي فلذات

كبيدي ولن اسمح لكما بتدميرهم.... أكثر
مما فعلتما... تحدثي!!)... شعرت إيجتاً بيدها
اليسرى تثقل كما لسانها، كأنه لُجم عن
النطق، بالتزامن مع ألم رهيب انطلق من
صدرها، ويمتد عبر جسدها، فبدأت رؤيتها
تتشوش. رغما عنه أشفق على والدته فربت
على كتف جده ليهدأ، لتقاطعهم نهاد تلهث
بفزع يوازي فزعهم.... (أبي!! اتصل بي
...يقول ان هناك اطلاق نار في وسط المدينة
.....).... التفت الأنظار حولها وهي تردف بهلع
.... (وان الناس تقول!.... تقول!..... يونس آل

الفصل التاسع

لا يصلح المرء حتى يترك ما لا يعنيه
ويشتغل بما يعنيه فإذا كان كذلك أوشك
أن يفتح الله تعالى قلبه لهالامام مالك
بن أنس...

المشفي

يديها تغوصان في حجرها، تتكوم على أحد
كراسي الانتظار، من يراها يظنها ساهمة في

عيسى قتل ابنه ابراهيم...).كان ذلك
آخر ما سمعته إيجتاً قبل أن يباعها ظلام، هي
من فتحت له ذراعيها مرحبة، غافلت عن آية
كريمة يخشى منها كل حكيمة ذو فطنة
.....(بسم الله الرحمن الرحيم

اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۗ وَلَا يَحِي
قَالَ مَكْرًا لَّسِيئًا إِنَّا بِأَهْلِهِ ۗ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِنَّا
سُنَّةَ الْأُولِينَ ۗ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۗ
وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا.....)الآية
٤٣...سورة فاطر.

صدمت، إلا أن التي بجانبها، تسمع همهمات
خافتة، وترمي كفيها المضمومين لتلمح
تحركهما الطفيف، فتتيقن من انشغالها
بذكر الله. تنهدت بتعب، والتفتت لتفقد
الأخر، المتجمد مكانه، ملامح وجهه لا
تُفسّر. يربض صديقه جواره بصمت، وماذا
سيقال في مثل هذا الموقف الصادم؟، وكان
المصائب اتفقت جميعها على يوم واحد لتتنزل
فوق رؤوسهم. تنبّهت لمنصف يسألها بوجود
... (سأجلب بعض المياه... هل أحضر لكما
شيئا معيناً؟..)... أومأت رواح برفض، بينما حق

مستغرقة في الذكر. راقبت ابتعاده ثم
همست لحق انها ستكون في الجوار، واقتربت
من الساهر بوجوده. جلست جواره وانكملت
على نفسها مترددة. لا تنكر غضبها من والدته
الغبية، التي كانت ستنتهي حياتهم جميعا
بسبب خزعبلات، لكنها تشعر بمصابه، بين
صدمته في أمه، وشقيقه الذي لا أحد يعرف
مصيره إلى الآن. نظرت إلى أختها متفقدة من
جديد، إنها تظهر هدوء وتماسك ظاهري،
لكنها الوحيدة التي تعلم جيدا مدى الخوف
الذي يُرعد قلبها اللحظة. انتزعت مقلتها من

أختها، تعيدها الى الرابض مكانه كمنحوتة
أثرية، غادرتها الحياة لسنوات بعيدة. تنحنحت
كي يتنبه إليها لكن عبث، وبدا لها في بئر
سحيق، بعيد عنها كليا. ضمت شفيتها تبحث
عن طريقة أخرى لتتواصل معه، علها تخرجه
من حالته الجامدة تلك. رفعت كفها وقربتها
من كتفه، لتلمس أعلاها بطرف سبابتها. لم
يتحرك، فأعادتها لتنتفض حين نطق بنبرة
باردة متباعدة، دون أن يتحرك من
جموده....(ماذا تريدين؟؟)... وضعت كفها
على صدرها، بدهشة فلم يسعها لسانها، من

التوتر والتلبك. لم يصف حرفا آخر، فحشت
نفسها تهمس بتردد... (هل أنت بخير؟؟)...
عض شفته فقطبت بريبت، تردف بقلق... (لا
تقلق... كل شيء سيكون بخير...). رفع
رأسه الى السقف، ثم تنهد وبعدها، ضحك.
ضحك بنبرة بدأت رزينة لتعلو بهستيرية
لفتت انتباه المارة وحق التي تناظرت مع اختها
بحيرة، فسكت فجأة كما ضحك. عاد يعض
شفته ويهز رأسه يومئ مؤكدا، يقول بيأس لا
علاقة له بكلماته... (أجل..... كل شيء
سيكون بخير....). ثم قام بعنف يختفي

داخل رواق جانبي. فرت رواح بخوف تهمس،
... (يا إلهي !... لقد فقد عقله ...). (لا ... هو
مصدوم ...). رفعت نظرها الى منصف يمد لها
بقنينة ماء، امسكتها، وجلس يستطرد بحزن
به شيئ من الغضب ... (وأنا الذي ظننت أنني
أفاحت أخيرا في وضعه على أول الطريق
... كي ينسى مآسي عائلته ... لنعود إلى
الصفير من جديد ...). ففرت رواح فمها تحاول
مواكبة حديثه، بينما هو يكمل بسخرية
واجمة ... (بل أسوء ... تحت الصفير ...).
فتحت القنينة تقول باعتراف ... (لو كنت

مكانه لجننت ... أنا أتمالك أعصابي
بأعجوبة ... تصور أنت ... والدتك تسمم
العائلة و والدك يقتل شقيقك ...). شهقت
تقشعر من قسوة الكلمات، فشربت القنينة
بأكملها، ليقول منصف بحزن ... (إنها ضربت
قوية ... وبحسب معرفتي بعيسى ... سيتعذب
كثيرا حتى يعود الى عاداته ...). قطبت
بحيرة، بينما هو يزفر بضجر يتساءل بقلق
... (أين اسماعيل؟؟ او الحاج إبراهيم ... لو
نطمئن على إبراهيم ... قد يسهل ما بعده
...). عبست رواح تقول بمقلتين لامعتين

... (إبراهيم بخير أنا متأكدة....) ... نظر إليها

منصف، فأردفت دامت، وهي تحديق

بأختها.... (لا أستطيع التفكير في غير ذلك

... لا أستطيع لذا!) ... مسحت دموعها

تقول بتصميم (هو بخير والحاجة إيجت

أيضا ستكون بخير ولن تعيد فعلتها بعد

أن كادت تفقد ابناءها وكل شيء

سيتحسن بإذن الله). ... ابتسم وإن كان

بحزن يقول ... (أمل ذلك حقا سأذهب

لرؤيته ... عن اذنك) ... هزت رأسها ثم عادت

تضم أختها، تهمس لها بكلمات مطمئنة. علا

رنين الهاتف فأسرعت حق تسحبه من جيبها،

تهمس بلهفة تحت انظار رواح المريبة

.... (إبراهيم!! ...) ... وكانت تلك اللحظة،

التي ذرفت فيها دموعا صامتة، احترقت خديها،

فتتسع مقلتي رواح بهلع، انقلب الى صدمة حين

اردفت حق بنبرة تشير الشفقة والرافة في آن

واحد (تعال الي الآن أعلم من

فضلك إبراهيم!! ...) ... صمتت قليلا

تنصت والدموع مدار على خديها، لتهز رأسها

كما لو ان محدثها يراها، ثم همست بطاعة

....(أستغفر الله العظيم أنا انتظرک ... لا
تتأخر ...).

.....

قبل ساعات ...

(هل تأكدت من الأمر؟؟...)... قالها إبراهيم

وهو يرتدي الواقي من الرصاص، ليرد عليه

طارق بالعا ريقه بغضب، يحاول كبته وإرجائه

الى وقته المحدد....(أجل لقد تحققنا من

كل ما أخبرنا به ...اليوم بعد موعدك

الأسبوعي مع العمالسيرسل من

يتصيدك...)....هز رأسه بوجوم، فلاحظ

مندی قصص من وحي الاعضاء

زفرات طارق المتوترة... (ما بك؟؟.... لست
في مزاجك....هل هناك شيء ما لا أعلم
عنه؟؟...)... مسد أعلى أنفه بإبهامه ثم قال
بحزم... (ليس الآن... كل تركيزك على ما
ستفعله.... لا أريد انفعالات إبراهيم... مفهوم
...؟؟...)... أوما بوجوم، ثم انطلقوا الى وجهتهم.
ظل على أعصابه في جولته الأسبوعية على
كافة المواقع، لم يستطع التركيز مع
العمال، يهز رأسه بسهولة، يتلفت بعينيه كل
حين. لام نفسه حين تأمل مجددا، في رجل لا
يريد أن يقتنع انه لا يمت للأبوة بصلة، لكنها

فوقه. والده قد أوصد آخر أبواب وده في أعماق
قلبه.

ربتات قوية على صدره أجفنته من تأمله
الواجم، يشعر بقناعة غريبة، كما يبأس
الأحياء من الأموات. نظر الى طارق الذي ابتسم
يقول بحزم ... (حمدا لله على سلامتكم ... هيا
قم ... الوقت ينفذ منا ...) ... تحرك وهو
يتلمس على صدره من ألم ليس بعميق، تماما
كألمه تجاه ذلك الرجل الذي أصبح وأخيرا
خارج دائرة قلبه. ... (سيزول قريبا ... لا تقلق
...) .. قالها طارق بخبرة، ثم أردف يسأل

فطرته السليمة، وقلبه المجدول على الرحمة،
يظل ينفي له استحالة قتل اب لابنه من أجل
مصالحه، مهما كانت. ومع كل لحظة تمضي،
كانت آماله تعلو وتعلو، بقلبه الياأس من
عاطفة لن ينالها أبدا.
بلى ... آماله تعلو وتعلو حتى اوشكت بلوغ
عنان السماء، ليعلو عليها صخب دوي تبعه ألم
في صدره. هوى على الأرض فلم يكثرث للهرج
والمرج، بل استسلم لحضن الأرض الرحب،
وفتح مقلتيه على اتساعهما يرمق السماء من

... (لازلت تريد مرافقتنا؟ ... أليس من الأفضل

لو تنتظر في المركز؟! ...)

أوما بإصرار يجيب بتصميمه... (لا لن يفلت

هذه المرة ...). حرك طارق رأسه بيأس ثم

أشار له ليتقدمه

.....

في نفس تلك اللحظات

أوقف سيارته يبتسم بسرور، أحد جواسيسه

أبلغه بتنفيذ يونس آل عيسى لشقه في

الاتفاق، أخيرا تخلص من نده، وسينفتح له

طريق النجاح على وسعيه. لن ينكر تفاجئه

من قتله لابنه، لقد ظنه سيتقيد باتفاقهما في

تشويه سمعته فيضمن ازاحته من طريقه

ليبقى المنصب من حق عائلته. لظالما كان

حجرة عثرة في مسعاه، إن كان في عمله أو

أفراد عائلته، أو حتى حبيبته الوحيدة كانت

ستكون له، وكأنه لم يكفه كل ما حصل

عليه ليحصل على صباح الغيبية، حبيبته منذ

الصبا، التي تظن نفسها تحب شقيقه الأحمق،

كما تظن انه يساندها. لا تعلم أنه وافقها على

خطتها الغيبية فقط كي تمده بوقت ليتخلص

من تلك العائلة نهائيا، فضربته الأخيرة

ستكون نسفا لأساس عائلة آل عيسى

بكاملها. تحرك يفرد قامته متكئا على

سيارته منتظرا، كي ينفذ هو شقه من

الاتفاق. وما هي إلا لحظات ووصلت الشاحنات

الى المقر، تسلم من العامل ما كان في

انتظاره، والتفت مسرعا الى وجهته .

تلفت حوله قبل ان يدخل الى البناية، فابتسم

طارق ببرود وهو يجهز مسدسه، ثم أشار

لمساعديه ليتخذوا أماكنهم حول البناية،

استدار الى ابراهيم يهمس بتحذير... (ابقي هنا

...أنا أحذرك ...).. أوما له ببرود، فانطلق كل

الى موقعه. لكن ابراهيم لم يكن ليضيع

عليه فرصة النظر الى عيني ذلك الرجل وهو

يقبض عليه.

فتح له الباب بسرعة ومد له بيده يتفقد

الأمانة، فقال مجيد... (كما طلبت ...أوراق

ثبوتية لن يكشف زورها أحدوهذه

البضاعة التي طلبتها ...). قطب مجيد يقول

بطمع ... (من هؤلاء الناس الذي ستهرب لهم

الماس؟؟ ...). ابتسم يونس بسماجة يقول

... (الطمع والشباب مهمم أحسدك

انتهت رحلتك، توتر وزاغت نظراته، بينما
مجيد الجبان يرفع يديه متنصلا... (أنا لا
علاقة لي به... كنت أبحث عنه مثلكم
...). اتسعت بسمت طارق يقول بتهكم
... (أجل اعترافاتك العظيمة سنسمعها
أثناء التحقيق ...). في تلك اللحظة،
حذفه يونس بما في يده ليضرب في لمح البصر،
وطارق في اثره. عض مجيد على شفته بغيض
وهو يستسلم للشرطة، بينما يونس يلهث فارا
عبر الدرج الخلفي للبنائة. تنفس الصعداء
حين حظ برجله على عتبة الباب الخلفي،

...). ضم مجيد شفثيه امتعاضا، ثم تفقد
المكان حوله وهو يقول بريبتة... (لما غيرت
مكان اختبائك؟؟... وجدت صعوبتة في
الوصول ...). رد عليه بضجر يتفحص الأوراق
بين يديه... (أنا لا أثق بأحد.... لذا أغير
مكان اختبائي دوما...). هز راسه يسأل
بحيرة... (حتى ابنك؟؟) ... رفع راسه قائلا
بقرف.. (خصوصا الأبناء... مجيد وداعا
... هيا!.. ولا تعد لأنني راحل الآن...). همهم
بالخروج ليجد المسدس في وجهه، وطارق
يقول بتهديد... (أخيرا يا يونس آل عيسى

وهم بالإسراع لتتنش أطرافه يرمق الذي أمامه
بمقلتين جاحظتين، فيبتسم ابراهيم بسخرية
مريرة يقول بنبرة غادرتها الروح... (هل تفاعت
برؤيتي؟؟... للأسف جريمتك لم تكتمل
... ولن تتخلص مني بسهولة...)... تلاحقت
انفاسه يهتف بسخط... (لطالما علمت أنك
ابن عاق... لا فائدة منك... حاولت صنع رجل
جبلي لا يقهر منك... لكن عبث... ستظل
تتبع المشاعر كالنساء وتولول مثلهن... وها
أنت تبيع الرجل الذي انجبك... من أجل
الغرب...)... ظل يرمقه بملامح فارغة، دون

حتى أن يتكبد عناء الرد عليه. ليمسكه
طارق من الخلف قائلاً، وهو يقيد
رسغيه... (أنت من يثرثر مثل النساء... ابنك
رجل بحق... يفضربه أهل الجبل جميعهم
...)... كلاهما يتناظران ببرود وجمود،
تحدث طارق حين وصل قربه قائلاً
بتهكم... (ذكرني ان لا أثق بك
... في ما يخص طاعة الأوامر...)...
لكنه لم يكن أبداً في مزاج للمزاح أو حتى
التحدث. اليوم فقد والده، اليوم سيقوم عزاء

ويعلن عن وفاة والده، اليوم فقط قد اقتنع
قناعة الأحياء من الأموات.

.....

لاحقا في المركز ...

تفاجأوا بكم الناس من أهل الجبل الذي
انتصبوا منتظرين بعد سماعهم لما حدث، وأول
من لمح هم عائلته برفقة الحاج عبد الله، و
ياسين وحتى الحاج زكريا و والده وأخوه يحيى.
كان المركز كموسم عيدي، من تجمع أهل
الجبل يتقصون حقيقة الأخبار. مال طارق
عليه يهمس بهدوء(سندخله من الباب

الخليفي.... وأنت أدخل من هنا كي يتلهاوا بك

(... نظر إليه بريبتة يرد... (طارقإياك

... إنه... (.... شد على فكيه، فقال طارق

مؤكدًا ... (لن يظلت من بين يدي ولن أفارقه

أبداتوكل على الله..) ... تنفس بعنف

يرمقه للحظة، ثم أوماً قبل أن يخرج.

عم الهرج والمرج وكل يسأل عن حقيقة ما

قيل، حتى أن اسماعيل وجدته تركا الحاجة

إيجتة في المشفى، حين أخبرهم أن إسعافها

سيأخذ وقت. زفر اسماعيل وهو يدس الهاتف

في حيب سترته، فرقم شقيقه لا يرد. يرفض

أن يصدق بموته، يعلم أن هناك امر ما وعظيم
لكن ليس موته، قلبه ينبض بقوة في صدره
رعبا، لم يخف هكذا من قبل، يومه ذاك
كان الأول في كل شيء لم يجربه من قبل،
نبرة صوة شقيقه لا تفارق أذنيه، وهو يوصيه
خيرا بالعائلة. حرك رأسه ينفض عنه الأمر،
فنظر الى جده يتلمس منه تفنيدا يساعده
على التأمل، فكان في انتظاره، يعلم بالزواج
في عقله، ألا يشعر بها هو الآخر؟؟ لقد مال
ظهره من عظم العباء، وكان سنوات أخرى
أضيفت الى عمره الطويل، لا يظن انه سيتحمل

هذه المرة إن تلقى ضربة أخرى، إن مني بفقد
آخر يكسر ظهره عن آخره.(ابراهيم
...!!)... التفتا يتتبعان نبرة ياسين، لينسى
إسماعيل كل من حوله، يهرول متجها إليه،
توقف أمامه يمسكه من ذراعيه يقول بدموع
حبيسة، رمشت لها مقلتيه كي يتأمل شقيقه
الحي... (أنت حي ...سالم ...أنتابراهيم
؟؟!!)....) ... ابتسم ابراهيم بإشفاق، كان يعلم
أي صدمة سيتلقونها، لكن لم يكن بيده
حيلته. سحبه يضمه بشدة يريد حمايتهم مما
سيعلمونه بعد قليل، كما ظن أنه فعل قبل

سنين ليكتشف أن الألم قد نخر في قلوبهم
مثله تماما.... (اهدي أخى... أنا بخير...)
أبعده بعد برهته، ليستدير الى جده، الذي ربت
على كتفه يبتسم بأمل أشرفت له قسمتات
وجهه التعب من هموم الزمن. صافح الباقي
ليبادره الحاج عبد الله بالسؤال العالق على
أفواههم.... (ماذا حصل يا بني؟؟... ما هذا
الذي يصرخ به الرجال؟؟... يقولون أن والدك
قتلك....) ... رفع ابراهيم دقنه بأنفته، ولمعت
مقلتيه بقوة يقول بتصميم.... (والدي توفي يا
حاج عبد الله.... ومن حاول قتلي اليوم.... رجل

لا يمت لعائلة آل عيسى بصلته.... مجرم قاتل
... سينال عقابه عن كل جرائمه....). ... ارتابوا
من معنى كلماته، بينما اسماعيل يجعد انفه
امتعاضا فقد فهم على شقيقه الذي اردف
بكبرياء.... (قد يكون ذلك الرجل
... يحمل لقب آل عيسى.... لكنه بالنسبة
إلينا مجرم.... لا أكثر.... لذا لا أريد لأحد ان
ينعته بلقبنا بعد اليوم....) ... جحظت مقلهم،
فالذي قيل حقيقة، والوالد قد حاول قتل
ابنه. تركهم ابراهيم يتماكون صدمتهم

ودخل بخطوات وثقته، عازما على طي صفحة

الماضي الى الأبد.

.....

المشفي ...

يراقب جموده بصمت، فهو أدري الناس به، لن

يستجيب لأي من محاولاته، مهما قال وتصرف.

سيعود عيسى المتجاهل لكل شيء من حوله،

سيدعي التهور مجددا، ويضيع بين أسوار

صدمته من جديد. لفتت انتباههم رواح تهتف

ببهجة، وهي تحاول تدارك لهفتها برجلها

الضعيفة... (ابرا... ابراهيم حي....لم

يحدث له شيء!!)... احتد تنفس عيسى،

بينما منصف يهتف باسمها... (حقا!!)... كيف

علمت؟؟)... تمالكت أنفاسها ترد بسرور

... (حدث أختي حالا....هو بخير...وسياتي

قريبا...)... هز منصف رأسه بنفس سرورها، إلا

ان بسمتها هي اختفت، حين لاحظت جمود

عيسى، وعدم تغيره. فأشار لها كي تحاول

معه، وابتعد معتمدا على مكانتها في قلبه وإن

انكرها. رمقته بصبر، ثم اقتربت تحته

... (ألم تسمعي؟؟...ابراهيم بخير...)... لم

يتحرك من جموده، وهي تردف بحنق... (يا

إلهي ما بك؟؟... اخوك بخير

...ووالدت....)... بترت كلماتها تشهق بحدة،

وهو يسحبها بعنف من رسغها، دفع باباً لغرفة

ما فارغت، ودفعها ليصطدم ظهرها بالحائط،

أنت بألم نست أمره سريعاً حين أمسك

بذراعيها يقترب منها سائلاً ببرود... (ماذا

تريدين يا رواح؟؟)... تلاحقت انفاسها بتوتر

وخوف، وهو قد تغيرت نظراته الى زيغ لم

تألفه منه، يردف ببسمة قاسية هي في

ظاهرها....(هل الفتاة الصغيرة...تشفق

علي؟؟...)... همت بالتحدث فشد على ذراعيها

يقترب أكثر، مردفاً بفحيح زاد من رعبها

فارتعشت... (أنت من بين كل الناس.... يجب

ان تعلمي عن الشفقة.... والكبرياء....)...

ثم لعق شفته السفلى قبل ان يعضاها، وهو

يتأملها من رجليها الى وجهها بوقاحة متعمدة،

يستطرد... (انقلبت الأدوار.... أليس كذلك

؟؟... لكنني على عكسك... قد أقبل بأي

شيئاً تقدميه لي.... ففي النهاية... أنا ابن

... لأب وأم مجرمين.... يقتلان بدماء باردة....

حتى أبناءهما...)... رفع يده ليلمس خدها،

فدمعت عينيها بخوف، تهمس برعب

....(عي.....سى !...!)... اتسعت مقلتيه وكأنه
وعى على أمر ما، كان صراعا للحظة وجيزة،
تبعه تصميم على ما قرره، فاحفض رأسه
محاو لا تقبيلها. لينسى، ليبعدا عن قلب لا
امل له من الشفاء، لينتقم من احد مهمن كان،
ليهون على الجحيم في قلبه. لا يعلم، لا
يفهم، كل ما فعله انه انقاد خلف رغبة طغت
على آلامه. تمللت بنحيب تريد الفرار، لكنه
سجنها بينه وبين الجدار من خلفها، يهمس
بنبرة تظهر غياب عقله عن ما يفعله... (ماذا
بك يا آنسة مشفقتة؟؟...هل تراجعت عن

شفقتك؟؟... لا... لا يمكنك.... انا أريد
تلك الشفقتة... وسأحصل عليها ...)... حاول
تقبيلها مرة اخرى، فرفعت يدها بقوة ليست
لها، بل نبعت من قلب أهين على يد من بدأت
بتلاته تتفتح على يده، لتحط بصفحة دوت و
لأول مرة على وجهه، أيقظته من ضياع، أقسم
ان لا يفلته ليشفى من مستنقع المميت.
انتفض يعود بخطوة الى الخلف، ورفعت دقنها
باستعلاء وان اختلطت بدموعها تقول بنبرة
مرتعشة تشوبها الخيبة و الصدمة... (تلك
الصفحة كي تعي على نفسك يا ابن آل

عيسى... لا أريد أن أرى وجهك بعد اليوم

....إلى الجحيم بكل عقدكيا

منحل!!)... ابتعدت وهو يراقبها بلهات،

وبطريقة ما قد أفلحت في إيقاظه، ليهمس

بنبرة مصدومة... (ابراهيم حي!.....يا إلهي

ماذا فعلت؟؟....رواح!!)....)

.....

قبل لحظات في نفس المكان ...

تمسك بالهاتف بين كفيها، تحمد الله على

فضله وكرمه، تتنفس الصعداء، شتان ما بين

لحظة واخرى. مسحت على وجهها لا تصدق أن

ما مرت به من جحيم انجلت غيمته السوداء، مع

انها تعلم عن كل المخطط، لكنها لم

تتحكم في قلبها الذي ارتعد في صدرها،

حين سمعت خبر وفاته. كذبتة وأحسنت ظنها

بربها، كما حادثت حماتها أضافت من توترها.

رفعت رأسها تستشعر وجود شخص ما، ليصدق

احساسها حين حدثتها صباح بارتباك واضح،

رغم النظارات السوداء الملتهمة لنصف وجهها.

....(كيف... حال....الحاجة؟؟....).... وقفت

حق ترد بهدوء... (لا نعلم بعد ..).... هزت رأسها

بتوتر مرات عدة، ثم فركت يديها ببعضهما،

قلبيها يكاد يتوقف من الخوف. بلغت عن
الذجال وقبضوا عليه، وارسلت من يهدده إن هو
ذكر اسم عائلتها في أي مكان. لكن خوفها
الأكبر هي الحاجة، لا تعلم ماذا حدث بعد
تهديديها لها؟ هل بلغت أولادها؟ وماذا سيحدث
مع كل الإشاعات عن موت إبراهيم؟... لقد
اختلط كل شيء في فوضى عارمة. وهي
.....هي لم تعد على طبيعتها، صدرها يؤلمها
طوال الوقت وتلاهث وكأنها تعدو بأقصى
سرعاتها. عقلها مشوش، يحثها على أمور
عظيمة، كقتل إيجة قبل أن تفضحها،

فتخسر حلم حياتها، وكقتل هذه الفتاة
أمامها، سبب المصائب من الأساس. تلبكت حق
من جمود الفتاة أمامها لا تعلم عن توترها سوى
من يديها الحمراءوتين من كثرة دعهما
بعض. فيقاطع صمتها قدوم منصف الذي
هتف بسرور... (حمدا لله على سلامة إبراهيم
....أدعو الله ان تشفى الخالطة إيجة....فتنقشع
ضبابة الغم...). ... شهقت صباح تسأل بارتعاد
مثير للريبة... (إبراهيم حي؟؟... احممممم
....اقصد.... ما قيل كله اشاعات بالطبع...)..
جعدت حق دقتها بتعجب، بينما منصف يجيب

بحمود... (الحمد لله... الله لطف وستر...)

هزت رأسها تخطو بروية لتهوي على المقعد

تقول.... (سأنتظر إذن.... لعلنا نسمع خبرا عن

الحاجة...)

تناظر منصف وحق التي هزت كتفيها بجهل،

ثم استدارا الى رواح التي ارتمت على أختها

تنتحب بصمت. ضمتها حق بحنو تسأل بخوف..

(ماذا حدث رواح؟؟...) اقترب منصف يسأل

بريبة جعلت صباح هي الأخرى ترمقهم

باهتمام.... (تركت مع عيسى.... هل علمتما

شيئا عن الخالتي؟؟...) ... اومأت بسلب ثم قالت

تقصد حق... (سأذهب إلى البيت أختي...)

قطبوا بحيرة فاستطردت بنبرة مستجديه

... (من فضلك أختي.... أنا تعبته... لازلتي

مريضة...)... (سأطلب لك سيارة أجرة....)

التفتوا إلى عيسى المترقب بتوتر، باستثناء

رواح التي ابتعدت عن حق تهتف بحزم

.... (سأهاتفك من بيت أهلي.... اهتمي

بنفسك.... وشفا الله الحاجة.... الى اللقاء

...)... اومأت حق بريبة ودهشت، بينما منصف

يرمق عيسى بيأس، فزفر الأخير مسرعا ليلحق

بها. مسحت دموعها وتنفست كي تتمالك

نفسها، ثم وقفت على ناصية الشارع كي
توقف سيارة أجرة....(انتظري!!)....رواح
...زفرت بغضب وتخصرت، تكرهه في
لحظتها تلك، ولا تريد حتى رؤيته وجهه،
تريد فقط لانزواء بنفسها كي تحلل ما تشعر
به تجاه فعلته الشنعاء. توقف امامها يهتف
بنبرة شابها التوتروان حاول إخفاءه....(رواح
...أنا...)...التفتت اليه تقول بنبرة هادئة
لكن مهددة، تتجنب جلب فضيحة
لنفسها....(ابتعد عني....ألا تفهم....لا أريد
رؤيتك...بل لا أريد معرفتك من الأساس

....حين تراني في المستقبل....قدم لي
معروفا وتجاهلني...). أشارت لسيارة أجرة
لمحتها، وأسرعت دون أن تترك له المجال
لينطق بحرف.
مسد على جبينه بتعب، ما فعله بها لا يغتفر.
لعن من بين أنفاسه المتلاحقة وهو يستدير
عائدا، ليلمح سيارات عائلته، فتجمدت
خطوته قبل أن يتأكد من هيئة شقيقه
ابراهيم ليطلق العنان لساقيه حتى المعطوبة،
ويرتمي بين ذراعيه يضمه إليه. إنه والده
....ليس ذلك الرجل الذي دمر طفولتهم و

لازال يحاول تدمير ما تبقى من عمرهم، بل هو،، ابراهيم من حرص على أن يتربوا بطبيعية وسط سلوك والدهم الشاذ، من حماهم بجلده هو، ومن ضحى من أجل مستقبلهم بمستقبله هو. إبراهيم من يستحق أن يحمل صيغته والد، ومن أجله هو قد يفعل أي شيء.

ربت ابراهيم على رأس شقيقه بحنو، يعلم مدى تأثير بتقليب المواجه والآم الماضي، لكنه يؤمن بشفائه، بل بشفائهم جميعا. سيجدون طريقهم كما وجده هو، يدعو الله أن يمدده

بالعمر كي يحرص على ذلك....(ماذا حدث؟؟... لقد ظننت...).. اوما ابراهيم يقاطعه بمهادنة... (ستعلم كل شيء.... لكن دعنا نطمئن على أمي....).. عيس عيسى حين تذكر أمر والدته، وهز رأسه بلا معنى. سمح له بالتقدم و تلكا خطوة يهمس لأخيه اسماعيل... (هل علم عن أمي؟؟...).. اوما بالسلب يرد هامسا... (يظن انها صدمت بما سمعت... لكنني لن أخفي عليه الأمر....).. تنفس عيسى بكرب وخطى خلفهم.

الكبيرة وإن كانت متباعدة، حتى والدتهم
ربما قد تكون آثمة بما فعلته، لكنها تحب
أولادها بل تعشقهم. بينما هو نشأ وحيدا مع
والده، لن ينكر أنه والد محب، يعشقه وبدل
عمره وحياته بهدف اسعاده و تأمين مصاريف
دراسته ومعيشته. لكنه بالمقابل كبر
وحيدا، دون إخوة أو عائلته، فهو أيضا كان
وحيد والدين من مدينة انقطعا عنها، حتى
انقطعت صلوات الرحم. لم يتزوج بعد وفاة
والدته، مكفيا به وبأعماله المتعددة ليؤمن
لها حياة كريمت. هو يعشق والده لكنه

تسمر منصف مكانه بتلك بين الفتاتين،
جاهلا بما يجب عليه التصرف. كما فضل
عدم التطفل على صديقه الغبي الذي من
الظاهر انه تسبب بجرح للفتاة سيندم عليه
كما لم يندم على ما فات من تهوره. يستغرب
حقا من مشاكل هذه العائلة التي تمنى ان
يتعرف على أفرادها، بعد أن أحب عيسى وتأثر
بصداقة شخصيته الفريدة من نوعها، وها هو
الآن ينغمس أكثر فأكثر في مشاكلهم، وبدأ
يألف عشرتهم. صديقه المتهور لا يعلم اي
محظوظ هو، بشقيقه وجده، وباقي عائلتهم

يغبط عيسى على عائلته الكبيرة، أصله و
فصله الذي يعلمه جذوره الى أعمق نقطة تحت
الجبل.

وعى على وقع خطوات كثيرة، ليرفع رأسه
الى شاغلي أفكاره. ابتسم حين لمح ابراهيم،
لتتسع بسمته حين انسلت الرزانتة من صاحبته
وهرولت ترتمي بين ذراعي زوجها.

استقبلها بين ذراعيه، فحلت عليه كنسمة
باردة أثلجت صدره. ابتسم بثقة بشأن جميع
قراراته في نسيان كل نقمة حلت عليه
كبلاء، وسيستمتع بكل نعمة أغدق بها الله

عليه، أولها هذه الفتاة على صدره، وفي قلب
صدره، تلك التي أحبته بصدق كشقيقه،
وجده، ووالدته التي تقبع في غرفة العناية
المركزة. رفعت وجهها إليه ترمقه بدموع
اغرقت ملامحها، تهمس باسمه دون ان تنطق به
بالفعل، ليومئ لها برسائل من أعظم قصص
الغرام، وأصدق أساطير الوفاء، حب لا يحتاج
لتعبير أو قول، ولا ورود وأشعار، بل حب
كعقدة جمعت بين قلوبهما برباط مقدس، لم
يلزمه وقت طويل كي يسقى بماء من ينبوع
الحياة.

حفظت مقلتيها حين سمعت تنحنحنا تعرفه
جيذا، يخص والدها، لتبتعد منتفضة تطرق
براسها من الخجل، ليخفي الجميع بسمت لا
تليق بالموقف إطلاقا، باستثناء اسماعيل
الواجه، يحدق منذ دخوله بتلك القابضة على
أحد الكراسي بتوتر ملحوظ. سأل ابراهيم
بجدية كي يخفف من توتر حبيبته
المرتعشة، والمحمرة وكأنها اقترفت فعلا
فاضحا وبمكان عام. (لما تأخر الأطباء
؟؟)... تحدث منصف بقلق يرد ... (أخبرنا
سابقا أنها جالطة في الدماغ... وسيحتاجون

وقت لإسعافها لازلنا ننتظر...)... نظر
الحاج عبدالله الى حق يسال ... (اين أختك
؟؟)... ردت بارتباك ونبرة هامسة ... (لقد
غادرت الى البيت ...)... رد بهتاف ساخط ... (لما
؟؟... ألم تستطع الانتظار حتى تطمئن على
الحاجة ؟ ... لم أربها على هذا ...)... ارتعدت
حق بزيادة، تحاول التفكير في رد لا يوقع
اختها في المشاكل مع والدهم دون ان تذكر
ما حدث من حماتها، وياسين يرمق والده بعتاب،
ليتدخل عيسى مدافعا (نحن طلبنا منها
المغادرة عمي هي تعبته و مريضة

...فأجبرناها على المغادرة...)... تنفس كل

واحد منهم الصعداء ولسبب مختلف، بينما

ابراهيم يشير الى الدكتور أمين يظهر أخيراً،

برفقتة أطباء آخرين،(ما الأخبار يا أمين

؟؟...من فضلك ...كيف هي أمي؟؟...)

تنفس بإعياء يرد ... (لا أخفي عليكم الأمر

خطيرارتفاع ضغط الدم المستمر دون

علاج ...سبب بجلطة في الدماغ...وهي نوبتة

مفاجئة وشدة يده يحدث فيها تمزق أو انسداد

في وعاء دموي دماغي، مما يقطع جريان الدم

في الدماغ للمنطقة التي يغذيها الوعاء

الدموي الذي حدث فيه الانسداد أو التمزق،

مما يؤدي إلى فقدان للوعي وشلل في وظيفة

يقوم بها جزء الدماغ الذي حدث له نقص

التروية... .وهنا الشلل أصاب نصف

جسدها....سنقوم بكل ما يلزماما الشفاء

فعلى الله وحده ...أدعوا لها ..)... تفضنت

ملا محهم بحزن شديد، وابراهيم يتساءل إن

قدر له فقدان والديه في يوم واحد، استغفر

سراً، وسأل الطبيب بوجوده(بما تنصحنا

بخصوص علاجها؟؟... ..)... أجابه يربت على

ذراعه ... (الدعاء يا ابراهيم ... كنت لأطلب

بتقطع... (حزنت جدا على حال الحاجة
...أسأل الله لها الشفاء العاجل...)
شفتيه يرمقها بترقب تكرهه، حين يستعين
بنظرته المختصرة، لينشر الخوف والرعشة
عبر أوردتها... (آنست صباح... أنا سأطلب
منك وللمرة الأخيرة... لا أريد رؤيتك بالقرب
من عائلتي...)
نظرت إليه بعد ان أزالته
نظارتها بغضب، ليضيق مقلتيه متحققا من
السواد تحت عينيها، والبشرة الشاحبة... (أنا
جئت اطمئن على الحاجة... يا ابن الأصل
والفصل...)
لم تتغير ملامحه يركز على

منك أن تسافر بها الى الخارج... لكن هناك
بعثة طبية مكونة من أهم المتخصصين
العالميين... قادمة الى هنا هذا الأسبوع...
هاضمت المتخصص في الأعصاب... فطلب مني
إرسال ملفها بالكامل... كي يطالع عليه وهو
قادم... (عن اذنكم...)
تجمعوا يتبادلون
الحديث عما ألم بهم، لتطرف عين اسماعيل
الى التي قامت تتسحب خفية فتتبع خطواتها
بتصميم... (آنست صباح...)
تجمدت
خطوتها، ليدوي قلبها بشدة، هل علم عنها؟
استدارت تخفي توترها بفشل ذريع، تنطق

الرعشة في يدها اليمنى، التي ضمتها في

قبضة تخفيها خلف ظهرها قائلاً

بهذوء... (إنذار لآخر مرة ... إن لمحت طيفك

بعد اليوم ... في بيتنا أو المشفى ... سيكون

حديثي مع والدك ... ولن يعجبه ما سأخبره

به أبدا ... هتفت بخوف أضافت من ريبته

... (ما هذا الذي ستخبر به أبي ولن يعجبه

؟...)... ابتسم بتهكم بارد، يرد بغموض

... (ستعرفين من والدك حين تعصين أمري

... وداعا ...)... واستدار عائدا الى المشفى،

بعد أن أوماً لياسين الخارج منشغل بمكالمة

هاتفية، ويقينه يؤكد له تورطها مع والدته.

أما هي فقد رفعت رأسها بتكبر تعيد النظارة

الشمسية، وزينت ثغرها ببسمة مزيضة. اقتربت

من ياسين تهتف بتحيةة مستعينة بنبرتها

المغرية ... (كيف حالك ياسين ؟؟...)...

أبعد الهاتف قليلا يعتذر ... (مرحبا أنست

صباح ... اعتذر ... المكالمة مهمة ... عن

اذنك ...)... زفرت بغضب اصطكت له

أسنانها تهمس بسخط وهي ترحل

... (غبي!!)..

استأنف حديثه مع السيد عمر....(طبعا عمر
.....يمكنها العودة الى العمل هل أخبرتها
بشأن زوجها؟؟...). اشتدت اعصابه عند ذكر
ذلك الرجل، يشعر برغبة في اهمال علاجه
الى ان يقضي نحبه، لولا السيد عمر الذي
اقنعه بالتبرع لعلاجه، كي تستطيع حفصة
التخلص من ذكرياتها كلها، فاذا مات قد
تكثر الأقاويل عنها وعن غموض موته، ومع
اتهامات حماتها وشقيقتها، ستبقى عرضة
للشبهة. استسلم لمنطقه فقط لأجلها هي،
وتكفل بسائر تكاليف علاجه. تحدث يقول

... (نفس المحامي الذي خلصها من القضية
.....ينتظر توكيلا منها و سيبدأ بإجراءات
الطلاق). هز رأسه وكان الآخر يراه، ثم
انهى المكالمات، ليالتفت باحث عن صباح.
تلفت حوله وهز كتفيه حين لم يجدها،
واستدار عائدا الى المشفى.
.....
بعد عدة ساعات ...
غادريا سين برفقة والده، من خلفهما باقي
الرجال من كبار المدينة والأقارب، بعد أن

طال انتظارهم، فاخبرهم الطبيب بعدم اهمية
بقاء احد، فالزيارة ممنوعة والمريضة لاتزال
في غرفة العناية المركزة. استسلموا أخيرا
فقال ابراهيم يحدث أفراد عائلته بحزم
....(أريدكم مجموعين في البيت بعد
ساعة.... سألتقي بالمفتش طارقثم ألحق
بكم إن شاء اللههناك موضوع مهم....
يجب أن تعلموه ...). رمقوه بريبتة، ليقول
الحاج ابراهيم شاكرا لرحيل الرجال... (بلى
بني اريد ان اعرف كل شيء...)نظر إليه
ابراهيم بشفقة، فمصيبتة في ابنه اكبر.

يدعو الله ان يتحمل تبعات فضائحه التي لا
تنتهي.(بالتأكيد جديكل شيء
....اذهبوا إلى البيت وانتظروني ...). ...همس
لحق بأن لا تقلق وان تغادر برفقة جده ثم
انسحب.
.....
مركز الشرطة
مسح على وجهه بضجر يهتف بسخط....(ألا
تخجل من نفسك يا رجل؟؟...أخبرتكم....
كل شيء لدينا مسجل صوت وصورة ...اعترف

ووقع لينتهي يوم الجحيم هذا!!)... تجعدت
ملامح مجيد، ينتفض قلبه رعبا، ضيع مستقبله
بيديه، وانهد المعبد على رأسه... (تحدث يا
مجيد!!)... انتفض بدنه فتمتم بما كان
معلوما، وزفر طارق بامتعاض يشير له الى موضع
التوقيع. خرج مكبل اليدين مطرق الرأس
عينيه يملئهما الخزي. امسكه والده يهتف به
والغضب أبرز عروق وجهه... (هل ارتحت
الآن؟؟... لماذا يا مجيد؟؟... ماذا كان
ينقصك بني؟؟... كان لك كل شيء

تمنيته.... لما جلبت لنا العار
بفعلتك؟؟.....لما؟؟)....
لم يتحمل فهتف بحقد ليسمع جده وعمه
كذلك... (كان ينقصني أهم شيء
....مكان بينكمأنتم عائلتي... لطالما
كنت نكرة... فلان افضل منك... ابن فلان
نجح... كن رجلا كابن فلان.... تمنيت
كلمة مشجعة او حتى نظرة اعجاب منكم
...لكن عبث...). سحبه العسكري قاطعا
هدره، فدمعت عيني يحي من ضياع ابنه، الذي
رحل بعد أن ترك ذنبا أثقل به على ضميره

الأبوي. ربت شقيقه على ظهره يقول باعتذار
... (سامحني أخي... لكن لو لم أخبر الشرطة
لتورطت أعمالنا.... وراحت سمعتنا...)... هز
رأسه بحزن يرد بألم لا يشعر به سوى من خسر
فلذة كبده أمام الضلال والضياع.. (لا عليك
أخي.... إنه ذنبي أنا.... وانا من سيدفع ثمنه
....) ... جذبه والده وضمه، يهمس له بحنو
.... (اصبر يا بني.... هو لم يمت.... سيعاقب
فقط... ومن يعلم؟؟... قد يعود رجلا بعد ان
يذوق طعم الحرمان... ويواجه قسوة الحياة
...)...

هموا بالرحيل فقال زكريا يقصد والده
.... (متى ستحدث الحاج ابراهيم أبي؟؟....) ...
رد بوجوم وهم يستقلون سيارتهم... (بعد أن
نطمئن على الحاجة إيجت.... وتهدأ الأمور
قليلا....).
.....
ارتقى طارق على المقعد يتنهد بتعب ثم
توجه لمساعدته بالحديث.... (أنجدي بطعام
وكأس شاي.... أشعر بجوع يظهر ك لي
كدجاجة محمرة جاهزة للأكل يا عبد
العالي....) ... ضحك مساعده لنوادره

من يحمل دمهم يتسم بالنخوة مهما حدث،
وهذا جعله يشك في انتماء يونس اليهم، أم
انه الحالة الشاذة عن كل قاعدة، تماما
كمجيد بالنسبة للمرابط. والأمر الآخر ان
ابراهيم آل عيسى ابن الجبل لا محالة يحمل
من صفاته الكثير...أصالته، شموخه،
وبالتأكيد صلابته.
جلس إبراهيم وهو يرمق كلا الموجودين
أمامه بحيرة وشعور بإشفاق لم يتحكم به،
ليقول أخوه الغير شقيق بنبرة مهما أرادها باردة
حد الصقيع شابها التوترو والتذبذب

المرحطة، وخرج من الباب الذي دخل منه شاب
وعد ووفى بوعدده. ابتسم له طارق بسمته
الباردة، وقام ليستقبله قائلاً... (ادخل
....ابراهيم على وصول ...).. التفت الشاب
خلفه ومد يده لشخص ما يدعوه، مال طارق
برأسه فضولا، لتتقوس حاجبيه ريبته ودهشته.
وصل ابراهيم بعد برهته واستأذن طارق متعمدا
تركهم على انفراد، يدعي توجهه الى مقهى
قرب المركز كي يسكت جوعه. يكفيه
ما علمه بفعل عمله، وما فرض عليه من تدخل.
إلا أنه تعلم أمورا مهمة عن عائلة آل عيسى. أن

....(المحامي أخبرني أن حبسي سيextend الى
عشر سنوات) ... اتكأ ابراهيم بكوعه
على طرف طاولة المكتب وأسند دقنه وفمه
بكفه يومئ بجمود، والآخر يستطرد وهو يهز
كتفيه بيأس(لا يهمني طالما فعلت
الصواب لمرة واحدة في حياتي البائسة
.... كل ما يهمني هي) ... التفت الى
الفتاة المتأهبة خلفه، ترمقه بملامح تنذر
بعاصفة ستلتهم الجميع، تهتف بسخط وغضب
شعت به مقلتيها السوداوين ... (أنت دائما تفعل
الصواب!!) ... ثم أكملت تقصد ابراهيم

دون أن تلتفت إليه، بسخرية مريرة ... (و لا
أحد له الحق في الحكم عليك خصوصا
من عاش في الأبراج العالية ...) ...
(تغريد!!) ... هتف الشاب زاجرا، فانتفضت
تهتف بحنق ... (ماذا أخي ماذا!!) ... إن
قررت أنت السكوت ... انا لن أفعل ... يكفي ما
فعله بنا والدهم أنا أكرهه و
أكرههم ...) ... لم يتزحزح ابراهيم عن
مكانه وكل ما يراه في الفتاة المراهقة، فتى
كان عليه هو، متأهب مثلها قبل سنوات
أصبحت بعيدة كليا عن ذكراه. وتحدث

أعواما ليست له، أضيفت لكاهله من غير حول
منه ولا قوة. في تلك اللحظة تذكر شقيقه
عيسى، ربما لتشابه بينهما في سواد الشعر و
المقلتين، أو لأنه قرين له وفي نفس عمره،
ليكتشف أن هذا الشاب هو أيضا أخ له، مثل
عيسى، بل مثلهم جميعهم، لا ذنب له إلا أنه
ابن آخر ليونس آل عيسى. التفت الى الأخرى
ليرق قلبه بحنو من حقها، ولم تحصل عليه.
هما مسؤوليته تماما كعيسى و اسماعيل. بل
أشد، لأن شقيقه قد حصل على عائلته،
وهذان الاثنان حصلوا على يونس، فما كان

الآخر مدافع من أجل مصاحتها.... (لا تنسى أنه
والدنا أيضا ... هم مثلنا ...). تغضنت ملامحها
توقّ ألما لا يشعر به أحدا، أو هكذا سولت لها
نفسها، ترد... (لا ليس لنا أب !!).... وليسوا
مثلنا لقد عاشوا في كنف جدّ
وأمرّ وعائلته ونحن أنا وأنت ... كنا أبناء
لآل عيسى في الظلام). عضّ ابراهيم على
شفتيه السفلى، يتساءل إلى متى سيظل مصاحا
لمفاسد والده؟ إلى متى سينظف وساخته،
ويعيد بناء ما يخلفه من دمار؟. هوى الشاب على
المقعد أمامه، بتعب أكسب ملامحه الضئيلة

بخطوة إلى الخلف، والتمرد شن هجومه على
تقاسيم وجهها الممتلئة بطفوليتها، على وشك
الرحيل. اعتدل ابراهيم في جلوسه يشعر بأن
يومه ذاك امتد ليعدل السنوات الطوال، ولم
يؤذن العصر بعد، ثم استطرد يرمقها بنظرات
أسبغ عليها رقّة أصبح يتقنها بصدق نبع من
قلبه ذو الرأفة.... (هل تظنين أنني قد أتخلى
عنك بعد أن علمت بوجودك؟؟....) ... قطبت
بعبوس مرتابة من حديثه، الحاني والمبطن
بتهديد حازم ... (إذن انت لا تعرفين شيئاً عن
آل عيسى يا صغيرتي) ... تفاجئ أخوه من

حالتها ليكون على أي حال؟؟.... (يا تغريد
من فضلك اسمعي كلامي ... أنا لن
أتركك إلا في عهدة أخوتك ولن يطمئن
بالي إلا وأنت في كنف عائلتك) ... نطقها
الشباب بانهازم واضح يرفع رايات استسلامه،
ويرمق ابراهيم باستجداء غلظه كبرياء إنسان
مهدور. (أي عائلة أخي؟؟.... هل كذبت
الكذبة وصدققتها؟؟.... أي) (تغريد ...)
نداءه الرزين الحازم والحنون في آن واحد، بتر
استرسالها الأليم لتنظر إليه أول مرة أو ثاني
مرة بعد دخوله المهيب عليهما، لتعود تلقائياً

كلمة التحبب كما فاجأ إبراهيم نفسه،

لكن ما الذي يُعدُّ بعدُ مفاجأة في قاع

كوابيس حياتهم. سيفعل أي شيء كي يعيد

الأمر إلى نصابها، وإن كانت بعض الكلمات

ستساعده فليكن، اللعنة على جفاء الجبل

وقسوته... (أوووه!!)...أنا أعلم عنهم جيدا

(... نطقها باحتقار فهم أخوها ليزجرها،

ليقاطعه إبراهيم بإشارة من يده، يستلم منه

مسئوليتها ومسؤوليته هو كذلك... (أنت

تعلمين عن يونس....)... نطقها بسلاسة

وكانه يتحدث عن غريب لا يمت لهم

بصلته... (صدقيني.... ذلك الرجل لا يمت

لآل عيسى.. سوى بدماء تبرأت منه..... واسم

له يشفع له بكل عظمت أصله...)... لمعت

مقلتي الشاب بحقد له يخض عن إبراهيم،

ليطغى شعور الحنو تجاهه، في قلبه. فلو تربي

بعيدا عن والده كان ليحظى بفرصة مثلهم.

أسترسل عازما على التخفيف عنه بما

يستطيعه....(في الحقيقة ما أراه أمامي الآن

هي نسخة مصغرة عن يونس....).... هتفت

بانفعال ترتعد....(لست مثله...ولن أكون

أبدا!!....ذلك المر...)...لاح شبح بسمته ظفر

يحظى بها، سوى أخوها الذي انتشلها من حياة
ظالمة، بين أفراد مجتمع لا يعترفون بأمثالها
وأخيها، دون ذنب يذكر لهما، لكنها تخشى
من صدمة أخرى، من رفض آخر، لن تستطيع
التحمل. تقدمت الى ان وقفت أمام ابراهيم
تهتف بملامح حرمت الدموع حتى وهي
تبكي، ليرتعد قلبه مرة أخرى يكتشف مدى
الشبه بينهما....(هل أنت على علم بالفضائح
التي ستجلبها على عائلتك؟؟....أنا وهو
لقيطين) (تغريد!!).. انتفض الشاب من
مكانه يهتف بغضب استبد به يستطرد مدافعا

على ثغر ابراهيم، وهو يقول(برهني على
أنك لست مثله...وتصرفي بحسن خلق...)
تنفس الآخر الصعداء وقد تأكد من قراره
الذي أضناه قبل أن يتخذه بعزم، هذا الرجل
أمامه يستحق الثقة، كما يستحق أن يحمل
لقب كبير عائلتهم. عائلة لن ينتمي إليها
يوما مهما فعل، فهو ابنٌ وُلد في الظلام بقعر
الضلال.
ارتعد بدنها تتميز غيظا، من محاصرة ابراهيم
لها بالمنطق، قلبها يشواق، يود لو يستسلم
لهذا الرجل الواثق أمامها، أن تمنحه مكانة لم

....(لا تصدقهاإنها ابنة شرعية...أوراقها
كاملتة ورسميتة...ولدت بشهادة ميلاد سليمة
بين زوجين). ... ظل ابراهيم على جموده،
والفتاة تضم ذراعيها الى صدرها ترد بتهكم
....(أجلتزوجها بعد أن فضحها بين الخلق
.....). ... ثم نظرت مباشرة الى عيني ابراهيم
تكمل بتشفي، يجهلان من تقصد به(أنا
ثمرة اغتصاب يا سيديعني هو أفضل مني
في الحقيقة). ... أشارت لأخيها المتسعة
مقلتيه بصدمتة، تردف(على
الأقل....والدته هو كانت موافقة وراضية

....). ... بترت حديثها الفج، حين أمسكها
أخوها من ذراعها بشدة، يهتف من بين أسنانه
.....(تأدبي يا تغريد!)... ضحكت ساخرة،
فقام ابراهيم ومد يده يخلصها من قبضته
الشديدة، ثم سحبها الى جانبه يقول بهدوء
لكن حازم ... (أنتما الاثنانمن آل عيسى
....شئتما أم أبيتمافمن الأفضل لكما أن
تبدءا في تصديق ذلكوالتصرف على
أساس ذلكفأنا لن أتخلي عن اي منكما
....ولا حتى جدنا وباقي عائلتنا بعد ان تعلموا
عنكماوحتى ان فعلواأنا لن أفعل

.....هذه بداية جيدةحان دوري للتحدث
.....وانتما ستنصتان إلي وتطبقان ما سأقوله
بالحرفولا أريد رفضا من أي نوع (...)
لازال الصمت يظللها بتوتره، وهو يستطرد
.....(أنتما أبناء يونس من زوجته الثانية
.....فهو معروف بحبه للنساءبالنسبة
لتغريد الأمر سهل لأن أوراقها جاهزةأما
أنتسأعمل على استخراج أوراق ثبوتية
لك ...حتى لو اضرت لتزوير عقد زواج قديم
بين والديك). ... أوما الشاب رافضا،
فأمسكه ابراهيم على كتفيه محذرا(بلى

.....وسأحارب من أجلكماشئتما أم أبيتما
.....). صمتت تغريد تبلع ريقها، والأحلام تدفع
الأبواب المؤصدة في أحشائها، كما صمت
الشاب يطرق برأسه خزيا يرفض نفس الأحلام
فهو ليس أهلا بها. جذب ابراهيم الفتاة أقرب،
ورفع راس الآخر لينظرا إليه، وهو يسأل بجديته
.....(هل سمعتني أنتَ وهي؟؟...). هذا رأسيهما
خشية من أخ استشعرا كبره عليهما، لأول مرة
يتذوقان أمرا مشابه، وان كانت الريبة تُغرق
نظراتهما في بحر الشك والضياغ. ربت على
أكتافهما يقول بنفس الحزم(جيد

دماء آل عيسى ويجب ان تنتسب اليهمنقطت
الى السطر.....) ... تسمرت الفتاة مكانها تراقب
الوضع والنظرات المحتدة المتبادلة، بينما
ابراهيم يسأل بحدة بعد أن هز بدن أخيه
....(اتفقنا؟؟؟؟) ... تنفس الآخر بحدة ثم
أوما ببرود، ليزفر ابراهيم قائلاً(أنتما ابناء
يونس آل عيسى من زوجة ثانية ...وأنت
أجبرك على العمل معهلكن حين علمت
بخطته لقتل أخيك لم تستطع التستر عليه
فاتفقت مع الشرطة لتوقعوا بهوبعد
دخولك السجن لقضاء السنوات المخفضت

.....ستحمل لقب عائلتك التي ستعترف بك
.....إن كنت بالفعل تريد مساعدتي وعائلتك
....فلا تخبر أيا كان غير الذي اتفقنا عليه
.....) ... نظر اليه بخجل يقول بلوغة ... (وهل
تظن الناس ستصدق الأمر؟؟؟) ... ضم شفثيه
انزعاجا ثم رد بتصميم... (لا تهمني اشاعات
القييل و القالالمهم هي الأوراق الثبوتية
.....تموت الثرثرة ...وتبقى الحقائق الموثقة
...أريد ضمان حقوقك بالقانونهذا الذي
تعترف به المحاكم و الشرعغير ذلك
يموت مع مضي الأيام....والحقيقة انك تحمل

بسبب تعاونك ...تركت أختك في عهدة
اخوتها.... فلم تكن لتترك فتاة صغيرة تعيش
لوحدها هل فهمت؟؟؟)...أوماً مرات عدة
مؤكدًا، فربت على رأسه، ليستدير الى
الأخرى التي هتفت بحنق ... (انا لست صغيرة
!!)... سأتم الخامس عشر هذا الشهر ...)
ابتسم ابراهيم يربت على رأسها هي الأخرى
يجيب بحنو... (إذن سأعتمد على ذكائك
...يا كبيرة).

جلس طارق على طاولته المعتادة في المقهى
المقابل للمركز، وشرع في تناول غداءه
المتأخر، بعد ان اشار لمساعدته ليضعه أمامه.
التهى بطعامه وشيء ما يحيره، كأنه نسي أمرا
ما مهم في خضم كل ما حدث معه في يومه
ذاك. ظل يقلب مقلتيه كما يقلب اللقمة في
فمه. رفع عينيه الى الشارع يتأمل المارة
والسيارات، وهم بارتشاف الشاي حين مرت
حافلة المدينة من امامه عليها اعلان بخط
عريض وواضح(برنامج *موضوع للنقاش*
...مع الإعلامية *براء الرزقي*كونوا في

الموعد ... كل يوم الساعة الثامنة صباحا

إذاعة *قلب الجبل*) ... بصق الشاي من فمه

متذكرا، لينتفض لاعنا من على كرسيه

مسرعا الى المركز

دق على باب مكتبه قبل أن يدخل، ليجد

ابراهيم يقف بالقرب من الشاب والفتاة

المتأهبين. ليقول بجرج) (ابراهيم هناك

موضوع مهم نسيت اخبارك به) ... قطب

الأخير يقترب منه مستفسرا، ليستطرد

بسخط... (هناك فتاة تعمل في إذاعة الجبل

...تبحث خلف موضوع الجبل الأبيض..

وستناقشه على الهواء غدا) ... زفر ابراهيم

بانزعاج واضح والتفت الى الاثنين لابد انهما

سمعا... يقول) (هذا ما قصده ... سيبحثون

خلف الأخبار... وكل ما أريده منكما التزام

قصة واحدة) ... ركز عليهما بأنظاره

المصممة مشيرا يستطرد بتأكيد

....) (الحقيقية فقط.... أنتما أخي و أختي الغير

شقيقين من زوجة أخرى ليونس آل عيسى

.....) ... تعمد نطقها أمام طارق المندهبش، فهو

على علم بهوية الشاب، منذ ان أتاه قبل أسبوع

معترفا بجرائه والده، لكن الفتاة!! أدهشه

الأمر بالفعل. هذا رأسيهما بتفهيم عابس، بينما
طارق يقول بحق... (تلك الفتاة سليطة
اللسان... ليست سهلة أبدا... لكنني سأقص
لسانها بنفسني...). تدخل ابراهيم زاجرا، وهو
يرمي ساعة يده بنظرة خاطفة... (لا يا
طارق... لا تُحل المشاكل بتلك الطريقة...
أنا مضطر للمغادرة الآن... سأعود مساء
... لنقصد الإذاعة معا... طبعا إذا أردت
مرافقتي لكن دون عنف...). حك جانب
فمه بسبابته مفكرا، ثم رد بعدم رضى
... (كما تشاء... لكن يجب أن آتي معك

... من حقي الدفاع ضد التهمة التي رمتنا بها
.....). ... حذق به ابراهيم بحيرة يسأل... (أي
تهمة؟ ... وما دخلكم انتم؟ ...). بسط كلا
ذراعيه يرد بانفعال ساخط... (الآنسة جاءت
الى هنا كي تتقصى عن الحادث... فقام بغل
يظن كل بسمته همسة من أجله... بالتحرش
بها... مسحت بكرامته الأرض... وحين تدخلت
طالتي سلاطة لسانها... بل تعدتني الى بني
الجبيل أجمع... تلقيه ببني الهمج...)
(حمم!!... محقة...). همست بها تغريد
فنظروا إليها بعبوس، وهزت كتفيها بتجاهل

تدس السماعات داخل أذنيها، ليستطرد طارق
بحنق... (طبعا طردتها لقلتها أدبها....ولكي
تنتقم... ذكرت الطرد دون السبب على الهواء
مباشرة....تصور!؟؟...)...تنهد ابراهيم بيأس
يقول بمهادنة....(سنحل الأمر مساء بإذن الله
...عن إذنك وشكرا لك....على كل
شيء...لن اوصيك على أخي يا
طارق....)...تأثر المعني مندهش، وطارق يرد
بثقة... (لا تقلق....هو شاهد مهم وسيعامل
على ذلك الأساس.... حذره انت من الشغب
.....حسن سلوكه سيساعد بالكثير....)

هز راسه واقترب من اخيه مودعا ومحذرا
....(اعتني بنفسك وابتعد عن المشاكل....
لازلت يافع....أمن برحمة خالقك....وحين
تخرج بإذن الله ستجد عائلتك في انتظارك
... لا تدع الشيطان يهزم عزيمتك باليأس....
سأزورك إن شاء الله.....)...يومئ بخفت كل
حين، غير مصدق لمعاملته الطيبة، بل معاملة
الأخ الأكبر. وضع يده على ظهرها يحثها
ففرت منه تتشبث بالآخر هامسة بذعر
....(أخي... لا تتركني....أتوسل إليك...أخي
!؟!....)... نظر الى ابراهيم مستنجا واستدار

شد على شفثيه غضبا من نفسه، غير قادر على
ترجمة فعلته المخزية الى كلمات.

اسماعيل يرمق نقطة وهمية ينسج حولها
شبكة تشمل نقطا كثيرة بين فعلته والدته
وعلاقتة صباح بها، كما هيئتها الغريبة. وبين
فعلته والده ومدى صحة الخبر. ثم ابراهيم
وموضوعه المهم.

الحاج ابراهيم لم يجد وقتا للتفكير يجيب
مكالمات الناس يطمئنون على حياة حفيده،
وصحة كنته. وبين هذا وذاك يتجول

عنها يُسدل جفنيه بأسى، فسحب ابراهيم
كف تغريد يأمرها بحزم(هيا بنا تغريد
...العائلة في انتظارنا !!(....).

منزل آل عيسى

مجتمعين في غرفة الجلوس في انتظار ابراهيم
كل واحد منهم في واد مختلف، عيسى خياله
في فوضى أحداثها رواح، لا يستطيع نسيان
نظرة الخيبة قبلها نظرة الرعب حين حاول...

الفضول في سؤال يُلقى بين كلمة وأخرى

حول ابنه وجرائمه.

منصف يتأفف بضجر كل حين يريد الانفراد

بصديقه كي يستنطقه عن ما حدث مع رواح،

بينما اخت الأخيرة تنتظر عودة زوجها، كي

يطمئن قلبها الملتاع.

أهل عليهم من على باب غرفة الصالون،

فنظروا إليه بترقب ليمد يده ساحبا فتاة في

يده، وقفوا جميعا مقطبين بريبتة، ليقول

ابراهيم قاصدا زوجته التي اسرعت اليه

مطيعتة... (من فضلك حق....رافقي تغريد الى

إحدى الغرف في الطابق الثاني....وابقي معها

حتى أدعوك....).. هزت رأسها وانتظرت الفتاة

بصبر حتى تحركت، لترافقها. بينما ابراهيم

يستطرد بأدب لكن حازم... (منصف....أرجو

منك المعذرة... عيسى سيخبرك بكل شيء

.... أريد الانفراد بهم... لو سمحت...)

ابتسم منصف بتفهم يقول وهو يغادر... (طبعاً

ابراهيم.... لا حرج في الأمر...)

تقدم وجلس ليجلسوا بالقرب منه يرمقونه

بحيرة، وعلى وجوههم الفضول. فتحدث قائلاً

....(سأخبركم بكل شيء....قبل أسبوع...)

حين اخبرنا عيسى عن الشاب الشبيه بيونس

(... تفاعاً من مدى تقبل صدره لمناداته

كشخص لا يمت له بصلة، كما استغربوا هم

من الأمر... (المفتش طارق استدعاني ليخبرني

أن الشاب قد أتاه بنضه قبل حتى ان يحظى

بوقت لتحرر عنه.... ليخبره عن خطط المجرم

...من بينها قتلي في اتفاق مع مجيد المرابط

...والمقابل ارساله في جلب بضاعة من عصابة

لتهريب الماس يتعامل معهم.... مع اوراق

ثبوتية مزورة ليضربها خارج الوطن...)

اتسعت مقلهم والجد يهتف بصدمته... (ولما

يريد مجيد قتلك؟؟)... رفع ابراهيم يده

مقاطعا بتعب... (أرجوك جدي... بل الأخرى

كيف لأب ان يقتل ابنه مهما كان السبب؟؟

(... تفضنت ملامحهم فاستطرد ابراهيم

بجمود.... (على العموم مجيد مهما بلغ به

الكره... فقد اتفق معه على أن يشوه سمعتي

كي يزيحني عن طريقه.... لم يكن يعلم ان

من انجبني كان سيقتلني..... والشاهد على

اتفاقهم أكد ذلك.... كما فعل الحاج

زكريا حين اكتشف فعلته ابن اخيه من

مراقبته له... بلغ عنه هو الآخر... تركنا

بدهشة فاستطرد مدافعا....(شئنا ام ابينا
....هو أخ لكم...وانقذ حياة ابراهيم
...سنظل ندين له بذلك...)... هز ابراهيم
رأسه بينما اسماعيل وعيسى لم يبدو عليهما
الاستيعاب بعد... (أنت محق جدي.... وهناك
أمر آخر...)... التفتت الانظار حوله من جديد،
فقال بتلبيك... (تلك الفتاة....)... تلكاً
قليلاً ثم اردف بعزم.... (أخت أخرى لنا...)...
انتفض عيسى يهتف بغضب.... (يا إلهي... ما
باله ذاك الرجل؟!.... يرمي بالبذور أينما حل
....)... أطرق الجد برأسه بين كفيه، بينما

خطت المجرم تسير كما وضعها كي يوقعوا
بمجيد.... والشاهد خُفضت سنوات سجنه
...).. ساد الصمت بفعل الدهشة، وابراهيم
يسترسل.... (لم استطع اخباركم.... كي لا
أعرض العملية للكشف... وما كنت لأجازف
بالقبض عليه.... الحمد لله سار كل شئ
بخير... سيتعفن في السجن... وسيدفع ثمن
كل ما اقترفت يداها....)... لزالوا على صمتهم
حين تدخل الجد يسأل بشفقة أصابت قلبه
تجاه حفيد لم يعرف عنه سوى الاشاعات... (ما
هو مصير أخيك يا ابراهيم؟؟....) رمقوه

فاض به الكيل، فهتف بغضب أسود أجم لسان

عيسى و أيقظه للمرة الثانية بعد صفت

رواح....(سنخبرهم ان والدنا العزيز زير نساء

...أو حتى مزواجماذا بيدي لأفعله؟؟!

...اخبرني!! .. أتكر لهما كما فعل المجتمع

الظالم الذي نعيش فيه... ونكون من أفراده...

...او ربما اقتلها و اقتله هو نفسه كي نرتاح

من جحيم أوقد نارها وأقسم علينا زيارتها

بالدور....أخبرني يا شقيقي العزيز!!...يا من

تنعمت بحضن ام وجد حنونين وشقيقين

محبين.... يا من سار بين الناس رافعا راسه

اسماعيل يجذب شقيقه من يده كي يعود

للجلوس، ليهتف ابراهيم بحزم(أخفض

صوتك عيسى ...كفانا من الفضائح....)..

أصدر ضحكت تهكم مريرة يرد ساخرا

... (الفضائح!!.... والدك تكفل بها

....ولازالت التبعات تظهر وتهل ما أدراك

أنه لم ينجب في ركن آخر من المدينة أو

خارجها.. ولم نعلم عنه بعد؟؟!!....ماذا

ستخبر الناس كل مرة تظهر فيها نتيجة

علاقت غير مسؤولة أقامها ذلك الرجل

؟؟...)... مسح ابراهيم على وجهه بتعب، لقد

متجددة واسماعيل يزفر بقلق ..(ما بها أمي

؟؟؟...)

... حل الصمت فقال عيسى بسخرية يقصد

جده(لما الصمت ؟؟... أخبره لنرى كيف

سيحافظ على أعصابه ...أقسم باللهأنا

أفكر في الهجرة لأترك هذه الأرض بأكملها

....)(... ضم جده فمه بانزعاج، وابراهيم يهتف

بنفاذ صبر... (ماذا تخفون عني ؟؟...))... تدخل

اسماعيل بهدوء يجيب ... (اهدئ اخي من

فضاكحصلت على نتيجة المعمل

الجنائي صباح اليوم)(... صمت من جديد

بلقبه و أصله المعروفرغم كل ما فعله

من انجبهلم يتجرأ أحد على وصمك بابن

حرام ...او يشكك في أصلك المتجذر في

اعماق هذا الجبلاخبرنى بالله عليك ماذا

علي فعله ؟؟)(... زفر بحنق، واسماعيل يضم

كتفيه مهدئا اياه، بينما جده يسحب عيسى

الى جانبه مستنكرا. ... (اهدئ يا عيسى

....وأنت يا ابراهيم اعذره يا بني كلما حدث

اليوم ليس هيناصدمته في امه و ابيه في

يوم واحد)(... رمقه ابراهيم يهتف بريبت

فأشار له اسماعيل يقول مهدئا بعد أن زجر
شقيقه بنظرة معاتبية....(أخي هدى نفسك
....كل شئ سينصح...يجب علينا الحفاظ
على راحة عقولنا كي نتمكن من مواجهة
هذه العاصفة.....)... مسد ابراهيم أعلى انفه
يقول بنبرة تهتز بوهن ويأس يكاد يتسلل الى
قلبه....(أنت محق....دعوني أكمل حديثي
.....).... سكن يتمالك هدير أعصابه المهددة
بالانفلات، ثم قال بعد برهة....(سنعلن ما
يفيدنا من الحقائق ... الشاب والفتاة اخوتنا
من زوجة أخرى لذلك الرجل.... تغريد

يبحث عن كلماته المناسبة ليكمل عيسى
بضحكة باردة....(السيدة الوالدة...كانت
ستتهي حياتنا جميعا.... استعانت بخالطرتي
دجال فيها من السموم ما يستدعي ملك الموت
من فوره....من أجل غيرة نساء سخيقتي....كي
تحتفظ بحبك من شراكتي زوجتك.....
كانت ستقام لنا جنازة جماعية....تصور
!!...والدك أراد تصفيتك في حين والدتك
كانت ستحقق له امنيته بكل سهولة
....وتصفي العائلة من أساسها...). ضرب
كفه بالأخرى، وابراهيم متجمد مكانه

اوراقها الرسمية حاضرة.... لا اعلم كيف

؟؟... لكنه تزوج من والدتها بعد أن حملت منه

....أما الآخر فسأسى لاستخراج أوراق رسميته

له..... ولن أحرمه من حقوقه الشرعية.... بعد

ان يخرج من السجن سيجدني في انتظاره بإذن

الله ان أطال في عمري (...). تفضنت ملامح

الجد بحزن، فربت ابراهيم على ركبته

يستطرد بنبرة يقصد بها الجميع خصوصا

عيسى... (هما مثلنا.... مظلومين حتى اكثر

منا.... نحن حظينا بك يا جدي... وبأمي التي

اظنها فقدت عقلها بسببه وتعاني من صدمته

متأخرة.... وحظينا بعائلة وقبيلة... لذا

اعلمكم منذ الآن.... لن اتخلى عنهما وعن اي

أخ أو أخت قد يظهر مع مضي الزمن (...). نظر

الى عيسى مع آخر كلماته فقام الأخير يزفر

بقنوط، أوقفه ابراهيم يشير له ليعود الى

مكانه... يردف.... (اتفقت معهما على ما

اخبرتك به.... وهذا ما سيقال لا غير

.... اتمنى منكم المساندة والصبر... الفتاة

فيها من العقد ما يكفي... سأعتمد عليك

بعد الله يا اسماعيل.... انها صعبة التعامل...

تقول أنها ثمرة اغتصاب (...). مسد الجد على

بأكملها تمر....السنون تتعاقب دون رحمة
....فلا تستعجل....) استقام ابراهيم يقول
بنبرة فائرة.....(جدي....ستخبر اصدقائك
من كبار المدينة....قبل ان اعلن هذا غدا
باذن الله في الاذاعة....) نظروا إليه بحيرة
فاستطرد يفسر... (مذيعته ما تبحث خلف
حادثة الجبل....وان لم احضر بنفسني
ستكثر الأقاويل والأحكام المسبقة....ومع
ما حدث مؤخرا....من الأفضل لو قطعت
الشك باليقين و أقفلت باب الاشاعات والثرثرة
.....سأذهب الى غرفتي لصلاة العصر التي

جبينه يهتف بألم... (يا ربي رحماك !!....)..
بينما عيسى يفغرفمه بعدم تصديق ، ليومئ
ابراهيم قائلاً بتهكم.....(بلى.... لست
المعقد الوحيد هنا....هناك من هي حالته
أصعب... لذا أتوسل الى أي منطق يتصف به
عقلك.... أن تستدعي بعضاً من تعقلك
لتساعدني... انا اشعر بظهري سينقسم من
أعبائه....) هز رأسه يرد بجمود....(أحتاج
لبعض الوقت....بل أحتاج لهذا اليوم اللعين ان
ينتهي....).... تدخل اسماعيل يقول بهدوء لا
يعلم من اين اشتراه.....(سيمر....الحياة

.....الزيارة ستفني صدقتيكما أفادك

رؤيته يُقبض عليهلقد تغير احساسك

تجاهه يا ابراهيمهذا ظاهر عليك

لم يعد يشكل ذا اهمية لا بالسلب ولا

بالإيجاب...اصبحت تتحدث عنه كغريب لا

يتم لك بصلتهلذا اريد ان احظى بنفس

الفرصةعلّ قلبي يبرأ من ألمه اوما

ابراهيم بتأكيد وقبل راسه قبل ان يستأنف

طريقه الى غرفته، وهو يطلب رقم زوجته.

.....

فاتني حضورها....بعدها سأزور المشفى في

طريقي الى الاذاعة كي اتفق معهم ... اعتنوا

بالفتاة ولا تضايقوها

تبعه جده ينادي عليه فاستدار اليه ... (بني

....أريدك ان تدبر لي تصريحاً بالزيارة.....)

رمش ابراهيم بجفنيه اعياء يسأل (زيارة

من منهما يا جدي.....) ... رفع دقنه بتصميم

يقول ... (كلاهما بنيكلاهما)

تأمله ابراهيم يحاول فهم نيته فاستطرد

مفسراً.... (ان كنت سأفتح ذراعي لحفيدي

الجديدين يجب ان أقفل باب الماضي يا بني

وهي تعلي من صوت الموسيقى تنغمس بين
نغمات الصخب، تتهرب بها من صخب الوجد في
أحشائها ، لتجد فيه انتشاء لحظيا تماما
كالمخدر، بعدها يصددها بجدار الواقع،
يرجها بقوة تفوق ما سبقها من ألم.
التقت به على اعتاب غرفتهما، فسحبها برفق
معه واقفل الباب، ثم ضمها اليه متنهدا بتعب و
حزن ومرارة. حاولت ابعاده كي تنظر اليه
لكنه شد على ضمها، فاستكانت بين ذراعيه
للحظات طالت فهمست بتوتر....(ابراهيم!)...
تحرك أخيرا يبتعد دون ان يطلق سراحها،

خرجت حق من الغرفة بجوار غرفتها، فزفرت
تغريد براحة، مع أنها شاكرة لصمت الفتاة
التي تكبرها. لم تحاول استدراجها للتحدث
بل ظلت ترمقها بين الفينة والأخرى بابتسامته
حانية، ثم تعود لتمتماتها الهامسة. لم يكن
فضولها هي الأخرى بالقوة الكافية لتسألها
عن ماهية القرابة بينهما، تستبعد قرابة
الأخوة لأنها استعلمت سابقا عن عائلتها.
فتأكدت من كونها الفتاة الوحيدة بين
أربعة رجال. اقشعر بدننها حين استشعرت
نفسها بين أفراد عائلتها. عادت تزفر بسخط،

إليه....(حبيبتي المستحيتة...أتمنى ان لا
تكوني غاضبة من والدتي...رمقته بحزن
فتركها يزفر بتعب يستطرد بوجوم....(إن
كنت غير قادر انا على مسامحتها....كلما
فكرت في نتيجة فعلتها لو أكل الجميع من
الخبز....حتى مرضها لم يشفع لها عندي.... يا
إلهي رحمتك !....) ...أسرعت إليه تضمه
بحب تهمس برقة..(لا تقل ذلك...انها
والدتك....الإنسان خطاء....وتحق له التوبة
....ادعي لها بالشفاء....فبعد أن اوشكت على
فقدان أولادها....لن تعود الى مثل ذلك

وتأمل وجهها السمع لبرهته وهو يلمس بشرة
خديها بأطراف أصابعه، ثم قال بوجع....(يا
إلهي....لو أصابك شر أو أصاب....).. تحركت
يده على بطنها، تتكوم ملامحه من الألم،
فقالت باسمته....(ألم اخبرك من قبل؟... أنا
و أنت وهو بين يدي الحق... أحسن به الظن
تجده عند ظنك....) ضم وجهها بحنان
بين كفيه يجيبها، وقد عادته ببسمتها
فوجدت طريقها الى ثغره... (ونعم بالله
....أنت محقة حبيبتي..).... احمرت تطرق
بجفنيها خجلا، فرفع راسها يحثها على النظر

...ارجوك هون عليك (...). ...ضمها بالمقابل

يبحث فيها عن الراحة، الطمأنينة، الحب،

الاحتواء، والسكينة. وكل زوجة أغدق الله

عليها بالصلاح، تكون مصدر كل ذلك و

أكثر. فتسر عين زوجها، ويستكين إليها

قلبه، لتكون جنته في الدنيا.

.....

منزل عمر الرزقي

اتسعت بسمته حين وجدها تتسامر مع زوجته

في غرفة الجلوس على غير عاداتها، فمند أن

مندى قصص مه وهي الاعضاء

جلبوها الى بيته وهي تعتكف في غرفة

الضيوف، لا تتحدث ولا تأكل إلا ما يقدمه لها

وزوجته بأيديهما فتقبله بخجل وجوع ليس

للأكل، بل للحنان والاهتمام. قبل راس زوجته

والقى عليه التحية وهو يجلس قبالتها،

لتردها بحياء ألفه منها. فبادرت زوجته تسال

بفضول(هل تعلم شيئاً عن ما قيل

صباحاً؟؟)...تنفس عمر بامتعاض يرد ... (سألت

ياسين قبل قليليقول أن ابن آل عيسى

تعرض لمحاولة قتل لكنه نجى بفضل الله

....وهو بخير ...). فرت منها دقت حين ذكر

اسمه، لكنها تجاهلت الأمر بسلطة طاغية،
من عقل مؤنب يُذكر القلب بجرحه الغائر،
أيها القلب الغبي ألم تتب بعد ؟؟ اجضت من
صراع أطرافها على سخط السيدة امينته
....(وماذا فعل المسكين؟؟ لقد سمعت ان
والدته اصببت بجلطة بسبب الصدمة.... وأن
والده من حاول قتله هل هذا صحيح؟؟....) ...
تنبتهت حواس حفصة والغافل عن تغير حالها
يرد بتلقائية... (أجل.... للأسف.... يونس آل
عيسى لم يتب عن جرائمه وحاول قتل ابنه
.... لكن الله انقذه.... وقبضوا على المجرم

....) ... أومات أمينته برفض، مستنكرة... (أي
نوع من الآباء هو؟؟.... ألا ذرة احساس تبقت في
صدره المتوحش؟؟....) ... فاجأهما الرد من
التي انتفضت مكانها واقضت قبل ان تنسحب
بعينين دامعتين .. (لا تتفاجئي يا خالته أمينته
....منهم الكثيرين... ولن يكون الأول أو
الأخير.... عن اذنكما).... همت أمينته
باللحاق بها، فأمسكها عمر يقول ناصحا... (من
الأفضل أن تنفرد بنفسها قليلا.... اجلسي ..
اخطأنا ونحن نذكر نوعيتها والدها....) ... هزت
راسها موافقة تجيب بحزن... (صدقته... لا زال

الجرح في صدرها ينزف....يلزمها الوقت

...الكثير من الوقت....).

.....

المشفى....

مال ابراهيم بجسده يسند جبهته بالنافذة

المطللة على غرفة العناية المركزة ، وقد

سمح له أمين بعد الحاح منه ووعد بأن لا يطيل

الزيارة، فقط يلقي عليها نظرة كي يطمئن

قلبه عليها. بلى قلبه الذي تمكنت منه

زوجته واكتشفت مفاتحه لتفتح ابوابه كيف

تشاء، اقنعتة بمدى الخطأ الذي كان

سيقترفه تجاه والدته، فمهما كان منها تبقى

والدته، لزام عليه برها ونصحها باللين اذا

أخطأت، لكن أبدا ليس بالقسوة عليها.

قد تتحمل أعباء أخطاء والدينا، لكن هل

ذاك مبرر لنلقي بهم خارج أسوار حياتنا؟. هل

لو كان أبناؤنا في محل والدينا واقترفوا

أخطاء مشابهة، سنعاملهم نفس المعاملة؟، أم

سنكتفي باللوم والعتاب أو حتى العقاب لكن

دون ان نسمح لهم بالخروج من حياتنا؟..كانت

كلها أسئلة ألقت بها حق على ضميره، ثم

فسرت حين لاحظت حيرته يهمس بريبت
..(لكن ذلك الرجل مجرم!! ...)(...هناك
حدود للأخطاء....حين يقترب الانسان جرم
في حق غيره...هنا يصبح العدل واجبا ولو على
ذوي القربى...أما والدتك فأظن أن ما فعلته
...اقترفته عن جهل إن كان بحكم السحر
في الشرع....أو مكونات تلك الخلطات
السامة....من حقها عليك منحها فرصة
للتوبة...لكن إن هي اعتدت على الناس
بالظلم بعد التحذير والانداز....حينها تدخل
في واجب العدل ولو على ذوي القربى....).

تنفس بعمق يهمس بصمت... (أدعو الله لك
بالشفاء يا أمي....أسأل الله ان لا تنتهي
حياتك على معصية.... وأي معصية!! ... انها
من السبع الموبقات... تأتي بعد الشرك مباشرة
يا أمي!!.....ادعو الله ان تحظي بفرصة
...لتتوبي الى خالقك....وأن لا نحرر من
حنانك علينا أبدا...).

.....

بعد ساعتين

مركز إذاعة قلب الجبل ...

ضم طارق شفتيه غلا ثم قال من بين فكيه

المطابقين على بعضهما ..(أخبرتكم ...إنها

قليلت أدب وذوقوستجعلنا ننتظر أكثر

(...).. دس ابراهيم كفيه داخل جيبي

بنطاله، وقال بمهادنته... (لا بأس يا طارق

....الصبر جميل ويفتح الأبواب المؤصدة

(....) ... هز رأسه بلا معنى يزفر بضجر، فبدأ

ينقر على سطح طاولته مكتبها، بنفاذ صبر

وهو يتأمل صورها المؤطرة بأناقة، واحدة تقف

مندى قصص من وحي الاعضاء

فيها وسط امرأة ورجل يظن بلا شك انهما

والديها، فهي تبتسم بطفولية شقية، لا تحمل

للدنيا من هم، وهما يضمنان بحنان وحمائية.

وأخرى تقف أمام البحر باسطة ذراعيها للسماء

وكأنها تعبر عن حررتها المطلقة. لكنه شيء

واحد يجمع بين الصورتين، تلك النظرة

اللعينة، نظرة تحمل من القوة والمكر والدهاء

ما يكفي لتفوز بخانة جلابة المشاكل

بجدارة. زفر مرة اخرى يتساءل في سره عن

كيفية تحمل والديها لها. ليزفر مجددا يلعن

الغباء الذي حظ عليه بغته، ما شأنه هو بها أو

بأهلها، يريد لها ان تعتذر على الهواء مباشرة،

كما اتهمته ولتذهب بعدها الى

الجحيم.....(طارق تما لك نفسك ...ما

بك؟؟).... نطقها ابراهيم بتسليته أدهشته

بعد كل ما مر به، لتقاطعهما بدخولها

العاصف تهتف بحنق وهي تنظر إليه... (أقسم

لك لو لم يجبرني رئيس الإذاعة شخصيا ...

على استقبالك لما أتيت ولتذهب الى

الجحيم...)... تجمدت ملامحها من الدهشة،

ابراهيم من عدوانيتها، أما هو فمن تشابه

أفكارهما، لصيح بها غضبا يرد(ذلك

الجحيم انت من سيزوره قريبا!!إن لم

تعتذري عن اتهامك الجائر للمركز!!

(...تخصرت وهي تقفز كي تقف على

أطراف أصابع رجلها الصغيرتين، يزعجها

حجمه الضخم ... (وهل كذبت انا يا حضرة

المفتش العظيم؟؟... ألم تطردني

بنفسك؟؟...) ... نطقها بتهكم صريح،

فاقترب منها مهددا، دون ان تتحرك من

مكانها، يقول بغل وهو مركز على صفاء

الزرقة في مقلتيها المتسعيتين، دلالة الوحيدة

على خوفها(ولما لم تذكر السبب؟!

... يا حضرة الإعلامية الصادقة؟؟ ... لما لم
تذكرى التفاصيل؟! ... آه!!! ... دعيني أجيب
أنا (...). قالها بنفس سخريتها، مستطردا
... (لأن أهل الجبل أجمع سيأخذونك
ويرمونك خارج أسوار مدينتهم ... مدينت بني
الهمج ... هل تذكرين؟؟ ... ام ان عقاك
الطائر هذا لم يحفظ سبتك المهينة ...)
عضت شفتها تتميز من الغيظ فحادت مقلتيه
ذات اللون الرمادي الغامق، إليها لبرهت قبل ان
يبتعد عنها، ليسمع ابراهيم المتدخل بينهما
بمهادنته..... (من فضلكما اهدئا لنتفاهم

... استدارت الى الرجل الآخر فلم تلاحظ
وجوده عند دخولها العاصف، وكل تركيزها
على كومة العضلات، دون عقل نافع. من
أجبرها على لقاء به لا تريده، وكانت ستفر
منه حتى تصيبه بجنون يفوق جنونه الحالي،
لكن رئيسها حال دون ذلك، يحذرهما من
المشاكل مع الشرطة أو ذوي السلطنة.
تمالكت أعصابها تقول وهي تبتسم بمجاملت
... (مرحبا بك سيد ابراهيم آل عيسى لم
أرك عند دخولي ...). أوما برسمة، والآخر
قد اشتاطت أحشائه بنيران الغل من تبدل

حالتها، ومن المجاملة التي اعتبرها ميوعتاً

وهيافتا، فيهمس بصوت تعمد أن تسمعه

... (وتستنكر حين يتحرش بها الرجال! ...

وهي تكاد تلقي بنفسها عليهم ...).. شهقت

بحدة ونظرت إليه مزمجره بغضب، فحال بينهما

ابراهيم يقول لصديقه المبتسم ببراءة

مزعومة ... (طارق ... من فضلك اجلس

وصمت! ...).. هز كتفيه يرمقها بتشفي،

بينما ابراهيم يشير لها الى المقعد خلف

مكتبها ... (تفضلي ... من فضلك يا آنست

... زفرت بحدة ثم خطت تهوي على المقعد

بعنف فادعى السعال يهمس ... (المقعد

المسكين! ...).. أشارت اليه بسبابتها محذرة

فعاد يهز كتفيه بإهمال، وابراهيم يخفي

بسمتة ماكرة، وهو يقول بجديتة احسن

تمثيلها ... (سمعت عن رغبتك في نقاش

حادث الجبل ...). لذا اتيت أعرض عليك

حضوري في الحلقة لتحصلي على الاجابات

الصحيحة ... فبعد الأحداث الأخيرة كثرت

الأقاويل ... ولا أريد لذلك أن يستمر ويتوسع

... (تنحنحت تحاول تجاهل نظرات طارق

الحادة، وهي ترد على ابراهيم برسمة

سطح مكتبها بكفيها، وهي تستقيم هاتفت
بغل.... (لا أسمح لك !!).... أسند دقنه تحت
يده المتكئة بكوعها على المكتب يرفع
اليها أنظاره المتسلية كإجابته..... (بماذا
بالضبط؟؟).... التزم ابراهيم الصمت، على
الأقل احدهما يتسلى على حساب همومهم،
والأخرى لا تحتاج لمحامي دفاع.... (لا أسمح
لك بإهانت عملي!!).... استقام هو الآخر
فاردا طوله، ليسجل هدفه من جديد..... (إذن
تعلمي احترام عمل الآخرين..... كي يحترموا
عمالك بالمقابل..... فنحن بنوا همج.... لا

... (طبعاً يسعدني...).. تنحنح الأول برفض،
فأعادت كلماتها بصيغة أخرى لا تدري حتى
لما!!... (يسعد الإذاعة استضافتك سيد
ابراهيم... فزي النهاية لا أسعى خلف نشر
الاشاعات المغرضة... (مهم!!).... تنهد
بتهكم فالتفتت اليه تقول بامتعاض.... (هل
تريد قول شيئ... يا حضرة المفتش؟؟).... أوماً
بسخط، يرد بنفس التهكم الممتعض
.... (وظيفتكم نقل الأخبار حتى دون التأكد
من صحتها... وذلك اذا لم لا تلاحظي معناه
تداول الاشاعات المغرضة....).... ضربت على

نفهم الا بمنطق التبادل) استنشقت

عدة انفاس، كي تستجلب هدوءها الذي يطير

أدراج الرياح في حضرة هذا الضخم، ثم قالت

بانفعال تحاول لجمه(اللقب أشعرك

بالإهانة أفهم ذلك أنا أسفت لأنني

لقبتكم ببني الهمج لم اقصدك ... بل

ذلك الغبي الذي تحرش بي ... وأنت وقفت

مكتوف اليدين ... بل وطردتني انا ... بدل ان

تحاسبه هو ... على فعلته الشنعاء).

.....(أوووووتش!!) ... ضربت موفقت يا فتاة

!!) ... فكر ابراهيم، وصديقه قد اختفت

التسليّة من على ملامحه يجيبها مدافعا(بل

طردتك لقلّة أدبك مع من لم يمسك بسوء

.....ولعلمك الغبي تحول للتحقيق مباشرة

بعد رحيلكوقد تبث بالفعل تحرشه

بالنساء.....وطرد من عمله).هتفت

كطفلة صغيرة حصلت على هديّة صعبت

المنال ... (حقا !!) ... هز رأسه بجديّة، فقالت

بسرور وكأنها لم يسبق ان تعرفت على شيء

اسمه الغضب(رائع !!) شكرا لك

.....(يستحق الغبي ...). ... رفع يديه قائلاً

بحزم.....(لا أريد شكرا...بل اعتذارا على

الهواء مباشرة....)... أومات بحماس فابتسم

ابراهيم، ليستطرد بحنق هجم عليه من

جديد، وهو يرمق جسدها البارزة منحنياته من

تحت ملابسها الغير واسعة اطلاقا....(ترجلي

قليلا!!)... (ها!!؟)... سألت ببلاهة فأردف

مفسرا بسخط... (لا تتميعي في حديثك مع

الرجال.... كي لا تستفزي رجولتهم... وبعد

ذلك تستنكرين نظرتهم لك...)... شهقت

مجددا والغضب عاد بأواجه العاتية تصيح

به، فأمسك ابراهيم رأسه بين كفيه، هامسا

بيأس.... (يا إلهي!!)....

بعد أسبوعين....

منزل آل عيسى ...

(اتركوني.... ابتعدوا عني.... لا أريد شيئا

منكم!!)... تنهدت الخالته شمتا، بتعب

يائس وهي ترمق حق باستنجاد، فهزت كتفيها

بقلة حيلة تقول بخفوت... (لن تفتح لأي احد

.... انت تعلمين ذلك...).. ردت بحزن وهي

تعود الى المطبخ برفقة حق بين يديها صينية

الأكل... (ابراهيم اوصاني بها خيرا... وهي لا

ان تحسنت قليلا، وقرر الطبيب إخراجها لتنتهي

العلاج في البيت، وحق هي من تكلفت

برعايتها، فبعد الشلل الذي أصاب نصف بدنها،

ولسانها. تسبب لها بالعجز عن النطق

والحركة، رؤيتها لإبراهيم حي يرزق، ساعد

في تحسنها الطفيف، لكن تظل عابسة حين

تذكر فعلتها وصباح التي لا تستطيع حتى ان

تخبرهم عنها، انه بالفعل عقاب صعب، أعاد

لها رشدها الذي فقدته لصالح شياطين منهم

الجن ومنهم الإنس، حتى أوشكت على

ارتكاب جريمة لا تغفر. نظرت الى حق

تأكل أبدا.... لو لم يكن لسانها سليط !..

لكنني اعذرها.... لازالت صبيته وما مرت به

ليس هينا (...). اومات حق بتأكيد، وقالت

برجاء.... (أرجوك يا خالتي.... لا تعيدي

فعلتك... كي لا تصرخ مرة اخرى.... أخشى

ان تسمعها أمي... لا نريد اخبارها عنها حتى

تتحسن صحتها جيدا... ربتت على كتفها

بحنو، تقول بتقدير... (صدقت يا ابنتي

...زادك الله من حكمته.... خذي

...طعامها... إنه جاهز...). ابتسمت حق

بامتنان، وتوجهت لغرفة حماتها بالطعام، منذ

الباسمة في وجهها بحنو، تهمس لها بنبرتها
الهادئة والباعثة للسكينة....(أمي
...أحضرت الطعام ...كي نأكل سويا أنا وأنت
...بعدها سنخرج الى الحديقة ...فالجو رائع
بعد المطر...ورائحة العشب مع رائحة المطر
منعشة....).. ابتسمت الحاجة إيجت، بحسرة
على كنت لا تستحقها، تستغرب حقا أين كان
عقلها؟ وهي تصدق عنها أقوال صباح وغيرها
من النساء، انها حتى لا ترى في عينيها اللوم و
العتاب الذي تراه في اعين ولديها وعمها،
باستثناء ابراهيم، والسبب طبعا هذه

الفتاة....(هل اخبرتك اني احب رائحة
التراب الممتزجة برائحة المطر؟؟...)) هزت
رأسها بخفت، على قدر استطاعتها فضحكت
حق بسرور تقول وهي تطعمها الحساء بروية
... (بسم اللهإنها رائحة تذكرني بأمي
حق رحمها الله).. غامت مقلتي حق تعترف
بما لم تخبر به أحدا، تحاول رأب الصدع بينها
وبين والدة زوجها، بفعل اوهام مدمرة، تستشعر
تقبلها أخيرا....(كنت أتسلل في صغري الى
خزانة قديمتةفيها جمعوا ملابس أمي
رحمها اللهوأمر اخي ياسين أن لا يمساها

أحد مهما حدث ... وخبأ الخزانة تحت

سريره...كلما اشتقت اليها....فتحتها ومرغت

أنفي بين طيات أثوابهاكانت رائحتها تماما

كرائحة التراب الممتزجة برائحة المطر

....وهكذا تعلقت بتلك الرائحة واصبحت

أنس بحضور والدتي...كلما أغدق الله علينا

بالمطر كرما منه ونعمته...فاخرج الى

الحديقة باحثا عن التراب.....).... ابتسمت

إيجة تشعر بالشفقة على تلك الفتاة الطيبة

القلب، التي فقدت حنان الأم حتى قبل ان

تفتح مقلتيها على الحياة، تتساءل بحيرة من

اين لها بكل تلك الطيبة. حافظ على صمته

مراقب المشهد المكرر مؤخرا، بين والدته و

زوجته الحنون، يحمد الله على نعمه كما

أخبرته قبلا. ان الإنسان يعنى عن النعم

الكثيرة في سبيل نعمته واحدة مفقودة، ولو

رُزقها لكانت له نعمة تحييه في عذاب دنوي

أليم. استدار منسحبا بهدوء، ليصاحب جده إلى

زيارة حصل له على تصريح لها.

.....

سجن مدينة الجبل

صاحبه أحد الحراس الى مكان الزيارة، وأشار
له الى طاولة ما كي يجلس ففعل ينتظر. ما
هي إلا لحظات فدخل عليه يونس يرمقه
بعبوس وغضب، يجلس قبالته دون خجل من
أفعاله. يقول بتهكم بارد(مرحبا
.....والدي ...)...تغضنت ملامح الحاج ابراهيم
يرد بانفعال وامتعاض(حتى الشيب في
رأسك لم يعلمك خالقا ...أو يكسبك وقارا
...)... ضحك حتى سعل وصدرة يئن بأزيز ينم
عن إصابته بالمرض، ثم قال بنفس سخريته

... (أرجوك أبيماذا يقولون؟؟.... من شب

على شيئ شاب عليه ...)... أوماً بياس يسأل
رغماً عنه، فهيتت ابنه مزريته، سواد تحت
العينين الغائرتين، وشحوب بشرته، كما هزال
بدنه، حتى ظهر عليه العمر بسنونه
الطويلة... (هل أنت مريض؟؟)... أختفى
التهكم يرد بحزم ... (انا لازلت على عهدي
...قويا وذو بأس ...تماما كجدي ...)... قال
والده بحنق من غبائه(مع اني ارفض جفاء
والدي ...إلا أنه ليس مثلك أبداانت لم
تفهم ما أرادته يا يونسفدمرت نفسك

بغبائك ... هتف يقترب منه قائلًا(بل
انا من فهمته جيدا ...أراد السلطنة القوة ...أن
يحقق ما لم يحققه أجداده ...أن يمتلك
الأرض بمن عليهاوكنت على وشك
تحقيق ذلك.... لولا خذلانكم ليأنتم
عائلي ..) تحدث الحاج بتهكم
يرد....(الأرض يا بني لا تمتلك بمن عليها
.....الناس تمتلك قلوبها بالصدق وحسن
الخلقوالأرض تمتلكها بالعمل الجد وعرق
الجبين.... اما أنت فاتخذت طريق الضلال
والظلم ...وما كنت لأتستر عليك

...فيفضحني الذي لا يخفى عليه شيء ... في
عقر داري ...يكفي ما ألحقته من أضرار
بأولادك ...وبزوجتك ...). عاد الى الخلف
يريح ظهره على مسند الكرسي، قائلًا
بسخرية مقبلة... (كيف حال ابنته الحسب و
النسب؟؟ ...سمعت انها شلت ...ابنته الأكابر...
(.. حرك والده رأسه بيأس، بينما هو يستطرد
بتشفي ... (حسبت نفسها ذكيرة وهي تخطط
لتوقع ببكري آل عيسى في شباكها لا
تعلم أنني وقعت في فخها راغبا ...في الزواج من
أجمل فتيات المدينة....استمتعت بها وانجبت

لك ولجدي صبيانا... ماذا تريد اكثر من
ذلك؟؟... و ضنيتم علي بأن أعيش نزواتي
كأي رجل حر... مال الحاج تجاهه يهمس
بغل... (نزوات دفعنا ثمنها غاليا ابن من
عاهرة واخرى ثمرة اغتصاب لشقيقت
صديقك يا عديم الأخلاق والله اعلم
بما خفي أقسم لولا خوفا على احفادي ...
لخطفتك من هنا وسجنتك في صحراء بعيدة
اعلقك من رجليك حتى تصبح رجلا
بحق..... أو تفنى هناك لحالك فأنا فشلت
في تربيتك يا متخلف!!... وقف بعنف

يهتف بالحارس (افتح الباب يا ولدي!!.... لا
نداء يوقظ الأموات... إنا لله وإنا اليه راجعون
.... اللهم أجرني في مصيبتى واخلفني خيرا
منها ...) انتفض يونس يهتف بغضب صاحبه
حزن عميق... (انا لم أمت بعد يا أبي!!....
حتى لو اعتبرتني كذلك لا يجعلني
ميثا!!.... أنا حي ... حي يا أبي!! هل
تسمعي؟؟) ... (أصمت وعد لزنزانتك!!) ...
صاح الحارس بسخط، فصمت على مضمض
مستسلما لمعاملة الحراس الفجئة.

استقبله ابراهيم بقنينت ماء، اخذها ممتنا

فقال بنظرة ذات معنى... (لازلت تريد لقاء

الثاني؟؟)... شرب نصف القنينت ورش القليل

على وجهه، ثم هز رأسه موافقا، ليشير ابراهيم

للحارس كي يرافقه إلى غرفة أخرى.

صدق حفيده عيسى، كانت أول جملة رنت

في قاع أفكاره بعد أن لمح أول مرة، إنه شبيه

بولده، يكاد يطابقه حين كان في سنه. لم

يشعر بذراعيه تسحبانه إلى صدره يضمه بحنو

أبوي حرمه الآخر بأفعاله الشنيعة، ف شعر

بتصلب أطراف الشاب بين يديه. ابعده بعد ان

ربت على راسه متجاهلا برودة تصرفاته

وملامحه المزريته هو الآخر.... (كيف حالك

بني ؟؟)... سأل الحاج بعد ان جلس، فرد

حفيده ببرود مبطن بتوتر... (بخير... الحمد

للله...)... ابتسم الجد متمتما خلفه.. (الحمد

للله الذي لا يحمد على مكروه سواه.... أحببت

التعرف عليك... قبل... لم اكن متأكدا من

وجودك.... كنت احسبه خيرا من ثرثرة

الناس... بعد فضيحتي يونس هداه الله...).. لم

يلقى ردا سوى نظرات جامدة، فاستطرد بحنو

.... (تعرفت على تغريد... إنها غاضبة... جدا

...جدا ..) نطقها باسمها بمرح حزين، فابتسم
حفيده متذكر رعونته أخته، ليردف الحاج
بتأكيد... (لكنها ستهدأ مع مرور الأيام....
الزمن كفيل بالجراح يا ولدي ..) ... تنحج
يجلي حنجرته ثم قال... (أنا لست غاضبا
...منكم على الأقل...). قاطعه جده بحماس
ساراً يقول... (جيد بني ... ولا تغضب من اي
شيء آخر ... كم ستسجن؟؟ ... عشر سنوات؟!
أقل مع حسن السلوك؟! انت لازلت يافعا
... وستجد عائلتك في انتظارك بإذن الله
... بارك الله في اعمارنا بني ... كي نعوضك

القليل مما حرمت منه ...). ابتسم بحزن
وحسرة، فقال الجد مسترسلا... (ما فعلته من
أجل اخيك لن يضيع أجره يا بني استعن
بالله ... و ابحث فيه وبه ومنه عن الأمل...
فتحيا راضيا بقضائه وسعيدا حتى داخل
زنزانتك لا تياس بني ... لن ينساك احد
منا سنقوم بزيارتك دوما بإذن الله ... وكل ما
يلزمك سيؤمن فقط أطلب). اوماً بتأثر،
فاعلمهم الحارس بنهاية الزيارة، ليسحبه جده
مجددا يضمه الى صدره مقبلا اعلى راسه
الخليق، فتلكأ حفيده حينها يشم رائحة

الأبوة كيف تكون، ولو لمرة واحدة في

حياته البائسة، فهو على عزم على الابتعاد

عنهم كي لا يمسه منه عار ولا خزي.

.....

منزل المرابط ...

ولجت منزل عائلتها، بعد ان تقصت عن أخبار

الحاجة إيجت من بعيد تتأكد من شلها الذي

طال لسانها، هي في غنى عن معصية إسماعيل،

غير متأكدة من ماهية تهديده. ابتسمت

بمكر تشكر القدر الذي أسكت الحاجة عن

أخبار ابنائها عنها، لينقلب المكر على وجهها

الى فضول وربيتة، حين سمعت صوت شجار

والديها يرج جدران البيت الكبير، هتفت

بالخدم المتجمعين بفضول ... (ماذا تفعلون

؟؟... الى أعمالكم هيا!!)... اسرعوا يختفي

كل خلف باب، فراحت متتبعة مصدر الصوت

لتجدهما برفقة جدها في غرفة الجلوس

... (لا تفعل بي ذلك يا زكريا ... أتوسل

أليك لا تجرحني في كبريائي).. هتفت

والدتها باكية، بينما المقصود لا يجيبها

متجاهلا إياها، تستطرد بلهفة حين لمحت

ابنتها... (ستجرح ابنتك هي

الأخرى... مد للتك... حبيبة قلبك...)

ابتسم ساخرا يرد بوجوم.... (لا شيء

ستقولينه سيغير من رأي يا نعيمة... لقد سألت

الفتاة ووافقت بطاعة دون نقاش... وقريبا جدا

سنتفق مع آل عيسى... اقتربت منهم صباح

تسأل وملامحها التعبت مقطبة باستفسار... (ما

بكما؟... الخدم تجمعوا على اثر شجاركما

...) أجابها الحاج زكريا بامتعاض

... (والدتك السبب... هي من كانت تصرخ

...).. قاطعته نعيمة تهتف بسخط... (ألست

من سيجعلنا علكة في أفواه الناس؟.... يلحق

بي العار وسط النساء؟؟... لن أسامحك يا

زكريا... ما حييت! (...). ضم شفثيه غضبا

و والده يرمقها بعدم رضى، لتهتف صباح بنفاذ

صبر علا عليه صوت والدها وهو يرد على

زوجته.... (اخبروني... ماذا...). (بل أنا من لن

يسامحك يا نعيمة! (...). لأنني انجرفت خلف

أنانيتك وطلباتك التي لا تنتهي... فضلمت

فتاة كل ذنبها انها فقيرة.... وانا استغلّيت

ذلك بجور... ابنتي من صلي تركتها في

رعاية والدتها دون أن أزورها يوما.... مكتفيا

بإرسال المال كي أخدر ضميري!...حتى بعد

موت والدتهاأطعت أنايتك مجددا ...

وتركتها في عهدة جدها (!.....) ... تجاهل

الريبة على وجه ابنته واقترب من زوجته يسأل

بمرار... (ألم تكن فكرتك وأنت تحثيني

على الزواج من اجل الصبي؟؟ ...رفضت مرارا

لأنني اعلم يقينا بأنك لن تقبلي شريكتي

لك في... وهذا يعني ظلم للزوجة الثانية

(... ..) شهقت صباح وقد بدا ادراكها بالزحف

الى خلايا دماغها، ووالدها مسترسل بسخط

... (لكنك لا تكفين حتى يُجاب طلبك

.... لا أعلم حتى كيف اقنعتني و كيف

شاركتك في ظلم اثقل كاهلي ...كل ما

فعلته انني علقت امرأة أخرى بي دون ان أكون

لها زوجا فعليا..... وتركتها مع ابنتي في رقبتها

... لا هي متزوجة ولا هي مطلقة كي تكمل

حياتهاالمرأة ماتت يا نعيمة ...قبل أن اطلب

منها السماحلذا انا لم يعد يهمني كل ما

تقولينه وان لم تنتهيأقسم ان اطلقك

كي تتذوقين معنى العار الذي تخشينه بالفعل

(... ..) ... امسكت على صدرها جاحظة العينين،

لتهتف صباح بنفاد صبر... (أبي!!).... التفت

.....(اسم...عيل....ستزوجها لاسما....عيل
.....أ...بي...يا إلهي....لديك ابنة غيري
.....احتلت مكاني وستأخذ كل ما هو لي...أنا
.....(لا أصدق....)..أشار إليها والدها وهو يحدث
زوجته... (هل رأيت؟؟ ... كل ما يهمها نفسها
.....علمتها أنا نيتك وأنا معك شريك في
ذلك....أحذركما!!)...يكفيانا ما خسرناه
بسبب مجيد...ولا أريد مصيبة أخرى تقضي
علينا!!)... ربت عليه والده بحنو مهدئا،
ونعيمة تهتف بغیظ فتك بقلبها وكبرياتها،
بينما صباح لاتزال جامدة مكانها تظن نفسها

إليها يقول بسخط... (اسمعاني أنت وهي
ابنتي طائعة..... طلبت منها ما طلبته منك
يوم خذلتني بين الرجال... فقبلت بحظي...
ألوم نفسي لا غيري....أما هي... فقد وافقت
دون مناقشة....ابنتي التي لم أدلها و لم تنعم
بقربي ورعايتي أطاعتني دون نقاش
....وستتزوج من ابن آل عيسى...ولا أريد أي
تصرف أهوج منكما....إلا أقسم برب العباد
....سيكون لي تصرف لن يعجبكما اطلاقا
... (.... نظرت نعيمة الى ابنتها المفجرة فمها
يرتسم على ملامحها الرعب، تقول بتقطع

يُكسب والده سوى الخزي والمرار... صمتت

تتميز كمدا، وصباح تحدثه بتوسل فتاة

صغيرة تقتلها الغيرة على والدها وألعابها التي

ستسرق منها... (أبي... هل تفضلها

علي؟؟... هي افضل مني؟؟... أنا صباح حبيبت

قلبك... مدلتك... رق قلبه لها واقترب

يمسد على خديها بحنو يرد... (الأب لا يفرق

بين أولاده... وانا فعلت ذلك سابقا وظلمتها

هي كي أدلك أنت... لست اتخلى عنك يا

ابنتي... أنت ستظلين دائما فلذة كبدي وهي

مثلك... ستحظى بما حرمت منه كل سنوات

في حلم... بل كابوس، تنتظر عليها تستفيق

من وهمه.... (طبعاً ستطيعك... هي طامعت

في أموالك... وكيف ستفرض زواجا من

عائلة غنية؟؟... ابتمس الجد قبل ابنه

الذي قال بفخر شعت به مقلتيه... (ابنتي

طامعت... في سنتها الدراسية الأخيرة

... تخصص الطب النفسي... يعني تماما كمن

اخترته زوجها لها... الأموال التي كنت أرسلها

لها والتي هي من حقها مثلكم... استغلتها

جيذا... لتصبح ابنة يفخر بها كل أب

... أفضل من ألف رجل مثل مجيد وأمثاله... لم

لساعات لا تعلم كم عددها. فنتشت قنينت
عطر من على منضدة الزينة وحذفت بها على
انعكاسها، لتشتت المرآة الى شظايا ثلمت.
وهوت على ركبتها تهمس بألم فاق كل
احتمالها (أتى بابنته أخرى وأعطاهها كل
شيئ أملكه مكائتي حقي حتى من
أحبه اسماعيل ضاع مني أبي ضاع مني
..... لا مستحيل أنا أحلم... أنا في
كابوس) تلفتت حولها وقد ضاقت بها
غرفتها بما رحبت، ليستلم شيطانها مقاليد
عقلها التي كان في انتظار تركها والتخلي

حياتها لذا أزيلتي تلك الأفكار من عقلك
.... ولا تنصتي لسموم والدتك) ... التفت
الى والده يقول بجديتة (هيا والدي !!) لا
أريد التأخر عن موعدنا معهم)
استدارت صباح مغيبتة كليا عن نداء والدتها
الباكي، وأوت الى غرفتها. نظرت الى
انعكاسها في المرآة، وكلمات والدها تدور في
حلقتة وسط راسها (ابنته يفخر بها كل أب
.... افضل من ألف رجل ستتزوج من
اسماعيل طبيبتة مثله ...) ... تكالبت
عليها الأصوات من خيالها، بعد لحظات امتدت

عن قيادتها. من كان يوما يساند قراراتها
الجائرة، بل وينميها بوسوسته فتستجيب له،
ظانه أنه في صفها، لم تكن تدري ان الشيطان
ليس له عزيز من بني الإنس، بل هو سكين
يمسكه خلف ظهر كل منا، ينتظر لحظة
ضعف ويأس، ليطعن طعنته الفادرة. مدت يدها
المرتعشة، وكأنها لا تتحكم بها تراقبها بلا
حول منها ولا قوة، وهي تقترب من رسغ الأخرى
المستسلمة بدورها، وتقطع شريان الحياة بلا
رحمة، لتنفجر الدماء الدافئة أمام مقلتيها،

وتهوي بجسدها على الأرض تتأمل حمرتها
القانية، الى أن سحبها اللاوعي الى ظلمته.
.....
قبل ساعاتمنزل آل عيسى
تعهد ابراهيم عدم حضور اي من شقيقيه
اجتماعه بالحاج أحمد المرابط و ابنه، كي
لا يقنع احدهما بما هو متأكد انه آت
ليقترحه عليه. فهو لن يسمح باستغلال عائلته
حتى من اجل مصلحته التي تصب في
مصلحتهم. انتبه الى الحاج زكريا يقول

تنهش في سمعتنا بضراوة....لذلك فوزك
سيسكت كل الأفواه... زمر حفيده شفثيه
على مضض، فقال زكريا بعد ان انتقى
كلمات مناسبة... (اسمعي بني
سأحدثك بصراحة.... كما سعيتم للحفاظ
على تراث اجدادكم.... في الحفاظ على
مكانتكم بين بني الجبل.... أنا ايضا
مثلكم اسعى للحفاظ على تراث جدي في
تثبيت انتمائنا لنفس الجبل.... لذا يهمني
نسبكم... وأنتم بالذات.... لأنك وشقيقك
نعم الشباب ... يستطيع الرجل ان يثمنكم على

بجدية وثقة استغريها ابراهيم... (أنا قررت
التنحي عن الترشح.... وسأترك لك الساحه
خالية....) ... أجابه ابراهيم بتصميم أبتسم
له زكريا باعجاب.... (يا حاج أقدر لك ذلك
... لكنني أومن بفوزي حسب نيتي... بتوفيق
من الله...)... تدخل جده يقول بهواده، يبتسم
هو الآخر بعد أن تلقى ربه استنجد من الحاج
أحمد.... (يا بني... دع زكريا يكمل حديثه
... بعدها ننظر في الأمر.... لا تنسى ان الأقاويل
كثرت.... والشياطين تدس سمومها.... مع
انك اجبت كل تساؤلاتهم... تظل الاشاعات

بناته... ويفخر بصلته يتشاركها معكم بالدم
...والرحم) ... سكن ابراهيم يلجمه مدحه
بعد صراحته، لكنه لم يقتنع ينتظر تتمت
لحديثه، بينما الفخر تلمع به مقلتي جده
....(قد تظن بي طامعا بك قبلا كي
أشاركك في السلطنة.... لكن الحقيقة يا
بني انني تمنيتك زوجا لابنتي.... فأنت رجل
يعتمد عليك... تخاف ربك... وفيك من
الصفات ما يتمناه كل أب لابنته.... لم يقدر
لنا... والله اعلم بحزني على ذلك.... لكنني
لازلت متأملا ... كي افوز بشقيقك

...الدكتور اسماعيل ..) ... رد ابراهيم
بانفعال وان لجمه هياجه... (أنا لن أفرض على أي
من شقيقي أمر يرفضه... ولو كان من أجلي
...أو من أجل العائلة....) ... هز رأسه بمهادنة
يقول... (سنعرض على شقيقك الأمر.... وهو
حرفي قراره... بالنهاية لا نستطيع تزويج أحد
رغما عنه...)... أجابه ابراهيم يخفي بسمته
مكر... (أخي لن يقبل بأي فتاة... سبق
ذكرها فقط كزوجة محتملة لي... أنا يقين
من ذلك...)... ابتسم جده لمكر حفيده،
وصمت مترقبا لذكريا الذي قال باسمها هو

الآخر، وكأنه علم بما كان ينتظره واستعد له....(وأنا أيضا لا أرضى بذلك....)... قطب ابراهيم بحيرة، يسأل....(هي فتاة أخرى من عائلتك؟؟...خارج المدينة...)... هز رأسه بسلب يرد بفخر... (بل هي ابنتي من صلبى.... أنا تزوجت مرة ثانية يا ابراهيم...ورزقني الله ابنة أخرى.... لكنها تربت مع والدتها في بلدتها في ضواحي مدينة الجبل.... اسمها طائفة تدرس الطب النفسي تبتت لها سنت واحدة بإذن الله وتخرج..... ما رأيك؟؟)... سكت مذهولا يفكر، لقد تغيرت اللعبة،

وأصبحت حجارة الشطرنج في أماكنها الصحيحة، ومقتربة من بعضها. طال صمته فقال جده بهدوء... (أظن يا بني أن الأمر يعني شقيقك الآن... هو من سيقدر...).

.....

مساء.... منزل آل طالب

نزعت الحاجة ميمونة جلابيتها وألقتها على المشجب قرب الباب الداخلي للبيت، تقول بسخط تقصد ابنتها التي اختلف طبعها واصبح معاند... (لا أدري سببا لعنادك؟؟... كل

قلبها شفقتاً لا من أجلها، ولا من أجل أي شخص

آخر، ربما هو جرحه لها....(بل لأن حب

حياتها ذهب الى اختها بلا أي مجهود....)...

قطبت ميمونة تسحبها الى غرفة الجلوس

تسأل بفضول... (ماذا؟؟... لم أفهم شيئاً... ماذا

تعرفين ولم تخبريني به؟؟...)... ضمتها رواح

تضحك قائلة بسخرية... (يا امي العزيزة

...صباح رفضت ابراهيم لأنها تحب شقيقه

اسماعيل.... لكنها أضاعت المشرق و المغرب

....لذا قررت اختصار الطريق الى الآخرة

....حمقاء...عالقت نفسها بحب رجل فخسرت

بنات المدينة...قمن بزيارة الحاجة إيجت إلا

أنت....مهمم!!... كل طامع في الدكتور

وحتى الصغير الذي لم ينهي دراسته بعد...)

هزت كتفها تقول بتهكم....(إن كان

اسماعيل ... الخبر انفجر في المدينة كقنبلة

غازية....وان كان الصغير المدلل فهنيئاً لهن

به... هزت راسها بامتعاض يشوبه الخوف

... (يا إلهي لقد سمعت ايضاً... كان حديث

النسوة في مجلس آل عيسى....ابنة المرابط

حاولت الانتحار بعدما علمت بوجود اخت لها

....) ضحكت رواح لا تعلم لما لا تجد في

دنياها وكانت ستخسر حتى آخرتهامن أجل

رجلغيبية! (...). ...هزت والدتها رأسها

بسهو، فقاطعهم ياسين قائلاً باستنكار... (هلا

تركتما الناس في حالها... واطعمتما العبد

للله؟؟؟) ...قامت رواح تقبله بطفولية، تعجبه

رغم ادعاء الرفض على ملامحه.... (ألذ طعام

لأفضل اخ في العالم أجمع...).. تنحنح والدها

فابتعدت تنصرف بحياء، بعد ان قبلت يده،

تبعثها ميمونة، فقال الحاج عبد الله يسبر

أغوار ابنه الغامضة... (سمعت ما حدث لابنت

المرابط؟؟؟) ... اوماً وهو يلتهي بآلة التحكم

عن بعد، يقلب بين القنوات، فاستطرد والده

... (لا اعلم كيف قبل آل عيسى بنسبهم

...بعد كل ما حدث من مجيد المجرم...).

التفت إليه يرد بتلقائية، كأي شخص لا يهمه

الأمر.... (إنها المصالح يا أبيابراهيم من

مصالحته ان تُخلى له الساحة.... مع كل

الأحداث الأخيرة... والفتاة تليق بإسماعيل

...يقولون عنها طبيبة نفسية... فلما لا؟؟؟ ..ما

دامت مناسبة... (و أنت يا ياسين!...).

نظر اليه ابنه بحيرة، فأردف... (متى ستجد من

تناسبك؟؟؟) ... قفزت صورتها رأساً الى دهنه،

... زفر والده يتأمله غير قادر على تحديد

نواياه، إلا أنه تأكد من انشغال قلب ابنه بفتاة

أخرى، أنسته ابنة المرابط كلياً. ويبقى

السؤال العالق، هل هي أفضل منها أو أسوء؟! ..

.....

منزل آل عيسى ...

جاوره في جلسته في الشرفة الأرضية تحت

أضواء خافتة، كعادتهما يرمقان الحديقة

الغارقة في الظلام... (لا تتسرع في قرارك

أخي خذ كل الوقت الذي تحتاجه ... وإذا

فتعلق شبح ابتسامته بثغره، متذكراً عودتها

إلى العمل. يسعده ذلك رغم تباعدها و برودة

تعاملها، إلا أنه سعيد برؤيتها كل يوم.

(ياسين!) ... (ها؟!؟!!) ... وعى على هتاف أبيه،

الذي استطرد بنفاذ صبر... (لا تخبرني

... أنك لازلت تفكر في جلابة الفضائح

لأهلها ... سأقتلك أنا بيدي وارتاح من غبائك

..). تقوس حاجبيه دهشة، من هجوم والده

فأسرع يفند ظنونه... (لا؟!?!...أبي اطمئن؟! ...

لا افكر فيمن تشغل بها بالك ... انساها ابي

... انساها؟!?!... كانت مجرد اوهام أوكد لك

والدته، يزعجه عدم تمكنه من التأكد،
ويؤجله بعد شفاء والدته. لكن مصاحته
شقيقه تهمة أكثر، وإن كان الزواج سيحل أمر
الأقاويل والمنصب إلى الأبد، فهو مستعد حتى
لو كانت صباح نفسها، تحدث وهو يتجاهل
شعوره بالتقزز من ذكر صباح كزوجة
محتملة له... (قد يكون دراسة الطب
النفسي أثر عليها... فلا تشبه اختها في شيء
...). ضحك ابراهيم قائلاً بمزاح... (كما
اثر عليك يا طبيب النفوس... فأصبحت هادئاً
حد البرود...). هز حاجبيه دهشة يهتف

وجدت في نفسك مانعا... فلا تستحي... أنت
اهم من أي مصاحته أو منصب... (ابتسم في
وجهه وربت على يده ممتنا، يرد بمرح... (لما
أشعرك تود رفضي لنسب المرابط...؟))... تنهد
ابراهيم يسترخي على كرسيه مجيباً... (لا
أدري... أظنني أخشى من شبهها بأختها...
حينها لن اتقبلها بيننا... (بلع اسما عيل
ريقه، فشقيقه يشعر به، وبمخاوفه. مجرد
قراصة الفتاة التي لم يرها بعد ولا يعلم عنها
شيئاً بصباح المرابط، جعله يرفضها مبدئياً،
لا زال يشك بعلاقة الأخيرة بما حدث من

بمرح ..(أنا بارد؟؟؟... سامحك الله أخيأنا
موافق اذن ...ما رأيك ؟؟)((... سأل ابراهيم
وقد اختفى المرح من على وجهه... (موافق على
ماذا ...؟؟؟ ...هل ستوافق كي تعاندني؟؟)...
ضحك ابراهيم بصدق في تلك اللحظة، ثم
أجابه بمكر حين تمالك ضحكاته... (على
الأقل دعني التقى بها ...و ليقدم الله ما فيه
من خير...أنا لست مثلك ..اتزوج على عمالي
...أم انك كنت على معرفة سابقة بزوجتك
...واخفيت عنا ذلك ؟؟..)...جعد دقنه
بامتعاض يرد ... (اخفي عليك ...منذ متى؟

...وكيف ؟ ...وأين؟؟...كل شيء حدث
أمامكم...))... تنهد اسماعيل يقول بجذل
... (إن كنت سأحظى بزوجة محبة مثلما
تحبك زوجتكفلا بأس بالزواج على
طريقتك... (أوما بسهولة، يستطعم الكلمة
... (زوجته تحبهحق تحبه ...)... أجفل من
سهوه على حديث شقيقه المسترسل، فبادله
الحوار قبل أن يقرر الانسحاب الى غرفته، فمر
بوالدته يطمئن عليها كالعادة، وكي يسحب
زوجته سحبا من عندها، ككل ليلة.

اندسا تحت الغطاء، بعد ان غيرا ثيابهما،

ليسحب رأسها على صدره يلهو بخصلات شعرها.

استسلمت للحركات الرتيبة على فروة راسها،

فنداها بهمس ..(حق؟؟؟) ... رفعت راسها ترمقه

بفضول، فلمس خدها يسأل باهتمام ... (هل

تحبينني؟؟) ... احمرت وجنتيها فدست وجهها

في صدره بحياء، ليضحك بصخب يرفع رأسها

فلا تستجيب له ... (حسنا حبيبتي الخجولت

....حركي راسك فقط كرد خجول سأرضى

بههل تحبينني يا حق؟؟).... أومأت على

صدره بإيجاب، فسحبها بشدة يديرها على

ظهرها، ليهل عليها بجسده قائلا بسرور وهي

تلهث من فيض الخجل و المشاعر القوية ... (أنا

ايضا أحبكلم اتخيل نفسي أخبر احد

بحبي له ...حتى شقيقي ... لكنني اشعر

بحاجة قوية لأسمعها منك ...قد لا اكررها

دائمالكنني احتاج لسماعها منك دوما

....اعتبريها أنانية منيلكن كوني

أكيدة من حبي لك ...حق ...هيا تشجعي

وانطقيها ...أتمنى سماعها من بين شفتيك

...وبنبرتك الهامسة الهادئة ...)... بلعت

ريقها ترمش بجفنيها بسرعة كأنفاسها

غرفة عيسى

رماه بالمخدة يقول بسخط مزعوم.... (لا تريد

اخباري؟! حسنا!... اتمنى أن تظل على

عقابها لك ... إلى ان تدفع ثمن القديم

والجديد....) ... ضم عيسى شفثيه يرد

ببرود.... (لن اخبرك بشيء.... واذهب لغرفتك

لقد تعدت الساعة منتصف الليل) ... هز

راسه وارتمى عليه في فراشه، يضرب رجله التي

أزال من عليها الجبس أخيرا ... (لا تتواثق معي

.... اريد ان اعرف ما الذي جعل الفتاة تنقطع

رجليها عن هنا؟!....) ... زفر عيسى بعد ان

المتلاحقة، ودقات قلبها الهادرة. فاقترب منها

أكثر، واحدى يديه تمتد لتطفئ النور... (ها

انا ذا أطفأت النور.... فلا تبخلي بها

علي...). ... داعب انفها بأنفه يأخذ من أنفاسها

الداقية، فهمست بخفوت متوتر... (أحبك

....) ... ابتسم في الظلام والمشاعر تكاد

تفتك بصدره من السرور، والحب يهمس

امام شفثيها، قبل أن يلتقطهما في قبلة طال

لتحلقا بهما في سماء الأحلام... (سأرضى بهذا

الاعتراف الخجول مبدئيا لكنني أنتظره

في النور.... وبنبرة اعلى بقليل ...)

قائلا بلهفة... (من؟؟... روح؟!... اين قابلتها
ولما لم تخبرني؟... تحدث منصف... مسد
على دقنه قائلا بمكر... (مهمم!!... اذن
يهمك أمرها... اعترف أولا...)... ربت على
كتفيه يقول بنبرة توسل للتفهم... (اسمع
منصف... انت صديقي... وأسراري كلها معك
... لكن ما حدث بيني وبينها أمر شخصي لن
تحب هي ان يعلم به أحد... من فضلك افهمني
..ولا تسرح بخيالك الى مناطق محظورة
... (لما لم يكن ليحازف بسمعتها، بعد كل ما
اقترفه تجاهها. حرك منصف راسه باستسلام

صرخ بألم يسحب رجله من هجومه... (أرح
نفسك لن أخبرك...).. نظر اليه بمكر
يقول... (انت حر... انا أيضا لن أخبرك
... عما رأيتك اليوم في سوق المدينة... اثناء
غيابك في المشفى كي تزيل الجبس...)
هز كتفيه بخفة يرد بإهمال... (لا يهمني
... لست فضوليا مثلك...).. هز كتفيه
بدوره، وقام من مكانه يهرج بالانصراف يقول
بلؤم... (انت حر... الأمر يخصها لذا ظننت
أنك مهتم... لكنني أخطأت... تصبح على
خير..).. وصل اليه بسرعة قياسية، يوقفه

يخبره بما رآه مضيئا عليه بعض البهارات
....(رأيتها في السوق تتبضع... ثم توقفت
لتجيب شابا وسيما أكبر منا... يقربها على ما
أظن... لأنه سألها عن أحوال أفراد عائلتها
بأسمائهم... ثم حمل عنها سلة الخضروات
....) ... ابتسم بمرح، يتأمل عظمتي فكه
البارزة بغضب، وقد شعت مقلتيه بغيرة حارقة.
فاستطرد ببراءة مزعومة وهو ينسحب... (لقد
تأخر الوقت.... سأذهب لإحضار الماء من
المطبخ وأوي إلى فراشي.... تصبح على خير
...)

أقفل الباب يضحك بخفوت، لتتجمد
كخطوته على باب المطبخ، بعد أن أناره.
يحدق بالأخرى التي شلت أطرافها على نفس
حركاتها الأخيرة. يدها تغوص داخل المبرد،
بينما الأخرى تحمل من الطعام الكثير. لأول
مرة يلتقي بها بعد دخولها الأول مع ابراهيم
إلى بيت عائلتها. تغريد آل عيسى، علم عنها
بعد ذلك من صديقه المصدوم، ليصطحب
كل يوم بعدها على صراخها وهي تصيح
بالمسكيننة الخالته شمتة، ذنبها الوحيد
اهتمامها بها و بإطعامها الذي ترفضه بقوة،

وقد علم سبب صبرها على الجوع. الماكرة
تقصد المطبخ في أنصاف الليالي، بعد ان
تتأكد من نوم الجميع. تأمل هيئتها، جسد
طفولي ممتلئ شيئاً ما، ابتسم بمرح، يفكر،
إنها محبة للطعام، والخدين الأحمرين امتلاءً
لا حياءً، خير برهان على ذلك. شعرُ
وحاجبين أسودين، مثل عيسى لذا يرجح
الأسود كلون عينيها. منامة قطنية زهرية،
وسماعات اذن مهملة على كتفيها،(هل
اكتفيت من تحديقك؟؟... أم تحب أن
أتموضع لك كي تقوم برسمي؟؟؟...)

....رفع يديه يقول بدهشة من جراتها
... (اووووه!!... الصغيرة ليست بصغيرة....
عمرك بالضبط؟؟...)... سحبت قنينة عصير،
ثم اقلقت المبرد، ترد بجفاء... (ليس من
شأنك... ازح نفسك من طريقي...)... ضم
ذراعيه الى صدره يقول وهو يسد عليها المنفذ
... (والا ماذا؟؟... انت الخاسرة هنا... حين يعلم
الجميع عن الأميرة المدللة نهارا .. ترفض كل
يد ممتدة لها من عائلتها بتأفف وقرف
لتتحول الى فأر متسلل أكل ليلاً ..) .. شهقت
تهتف بغضب... (أنا فأر أكل؟؟... كيف

تجرؤ؟؟... ثم من أنت بشعرك الأشقر هذا

(؟؟؟)... انتفخت أوداجه بشكل مسرحي، يقول

بفخر مشيرا إلى نفسه... (وسيم... أليس

كذلك ؟؟)... ضحكت بسخرية، ترد

... (أجل وسيم وسامت الفتيات...).. عبس

منصف بحنق طفولي، وهي تستطرد بسخرية

... (أنت لست من أهل الجبل... بشرتك شاحبة

ناعمة... وعينيك ملونة... مقارنة بخشونة

ملامح رجال الجبل و اسمرار ملامحهم... انت

أقرب للفتيات...).. ضيق زرقتيه يقول بذكاء

... (اصمت يا صغيرة... لا تتحدثي في أمور

الكبار... عيب... سأخبر أخوتك كي

يحسنوا تربيتك...).. شهقت من جديد

تجحظ عينيها قائلة بعدم تصديق.. (أنا

صغيرة ؟؟... ومن هؤلاء الذين سيعيدون تربيتي

؟؟...).. اتسعت بسمته فاقتربت منه ترفع

راسها بأنفه تهتف بتكبر... (أنا تغريد آل

عيسى... سأتمم الخامس عشر آخر هذا الشهر

... أحرق!...).. انصرفت تتخذ الباب الخلفي

للمطبخ، ليهمس بمرح انعش صدره... (صغيرة

... صغيرة جدا... يا تغريد آل عيسى...).

تمت بحمد الله ...

الى اللقاء مع الجزء الثاني

من سلسلة نساء صالحات

طوغ يدي الحق

باذن الله ورعايته.